رجل من أقصى المدينة

السيرة الذاتية للداعية الألماني بيير فوجل

تأليف: سالم القحطاني





دار الروافد الثقافية - ناشرون

ابن النديم للنشر والتوزيع

رجل من أقصى المدينة

«السيرة الذاتية للداعية الألماني بيير فوجل»

ابن النديم للنشر والتوزيع دار الروافد الثقافية - ناشرون

رجل من أقصى المدينة

«السيرة الذاتية للداعية الألماني بيير فوجل»

تأليف

سالم القحطاني





رجلٌ من أقصى المدينة
«السيرة الذاتية للداعية الألماني بيير فوجل»
تأليف: سالم القحطاني

الطبعة الأولى، 2021
عدد الصفحات: 327
القياس: 17 × 24
الترقيم الدولي ISBN: 978-614-466-103-1
الإيداع القانوني: السداسي الأول/2021

ابن النديم للنشر والتوزيع

الجزائر: حي 180 مسكن عمارة 3 محل رقم 1، المحمدية
خلــوي: 03 76 20 661 213+

وهــران: 51 شارع بلعيد قويدر
ص.ب. 357 السانيا زرباني محمد
تلفاكس: 88 97 25 41 213+
خلــوي: 03 76 20 661 213+
Email: nadimedition@yahoo.fr

دار الروافد الثقافية ـ ناشرون
خلوي: 28 28 69 3 961+
هاتف: 37 04 74 1 961+
ص. ب.: 113/6058
الحمـراء، بيروت–لبنان
Email: rw.culture@yahoo.com
info@dar-rawafed.com
www.dar-rawafed.com

المحتويات

قال النبي ﷺ:

«ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار»

إهداء...

إلى أمي العظيمة التي لم تقرأ كُتُبي،

ولن تقرأ هذا الكتاب!

إليها أهدي هذا العمل...

مقدمة الكاتب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد...

ففي صيف عام **٢٠١٦**م كنت في زيارة لمدينة (ميونخ) الألمانية، وقد أنتهيتُ قراءةَ سيرةٍ ذاتيةٍ لإعلامية ألمانية اعتنقت الإسلام وكتبتْ تجربتها في أربعمائة صفحة، فألهمني كتابها أن أعرض على أبي حمزة الألماني كتابة قصته وسيرته الذاتية، لأن ما أعرفه من أخباره وشأنه يفوق بكثير ما ذكرتْه السيدة في كتابها، فاتصلتُ بأبي حمزة وعرضت عليه فكرة هذا الكتاب الذي بين يديك فوافق دون تردد، واتفقنا على بدء العمل في هذا الكتاب الذي منحته ثلاث سنوات من عمري.

(١)

أعرف أبا حمزة جيداً منذ ثلاث عشرة سنة، إذ تعود علاقتي وصداقتي الوثيقة به إلى موسم الحج عام **٢٠٠٧**م، كنت حينها مقيماً في مكة المكرمة إقامة مؤقتة لبضعة أشهر، وهناك تهادى إلى سمعي اسم أبي حمزة عن طريق بعض طلاب العلم.

حدثني صديق يدرس في جامعة أم القرى عن أبي حمزة مراراً، وشوقني إلى لقائه، وحين التقيت به أول مرة في حي العزيزية وجدت الخبر صادف الخبر.

وجدت شاباً أوروبياً طويلاً جسيماً بعيد ما بين المنكبين، أشقر الرأس، أحمر الوجه، يلبس ثوباً عربياً، ويتوقد حماسةً وحباً لهذا الدين، وكان هذا اللقاء هو اللقاء الأول الذي آلف الله به بين الروحين.

ثم تبعه اللقاء الثاني الذي كان هذه المرة في مدينة الرياض، حيث حرصت على أن يتعرف أبو حمزة على أصحابي القطريين المبتعثين لدراسة الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وما زلتُ أذكر أننا حين جلسنا حول مائدة الغداء متحلقين قال لنا أبو حمزة كلمة ما زال صداها يرن في أذني، إذْ قال (نحن ننوي فتح ألمانيا بالدعوة إن شاء الله) رمقتُ وجوه القوم حين قالها، ووقع في خلدي أن بعضهم ظنها مزحة منه، ولكن الأيام أثبتتْ أن الرجل لم يكن يمزح قط، فقد كانت هذه حقاً نيته، وهذه همته.

ثم انقضت تلك السنون، وازدادت علاقتي به صلابة وقوةً، فزارني في قطر مراراً وزرته في ألمانيا مراراً.

(٢)

بعد أن وافق أبو حمزة على فكرة الكتاب شرّفني بزيارتي في قطر، فسجلت معه قرابة ثلاثين ساعة صوتية، سرد لي فيها قصة حياته منذ أن رأى النور وإلى وقت كتابة السطور.

استغرق منه هذا السرد أياماً وليالي، كنا نستيقظ في الصباح الباكر، ونشرع في التسجيل إلى أن تضعف قوانا ونتعب، وغالباً يكون ذلك آخر اليوم، ولا يوقفنا إلا صلاة أو طعام أو نحو ذلك من حاجة الإنسان.

كنا نسجل في المجلس والمكتبة والحديقة والسيارة رجالاً وركباناً، فأعجبُ تارةً وأُسبحُ تارة، وأضحكُ تارات، وأكتم عبرتي ودموعي مع مشاهد أخرى.

كان أبو حمزة دقيقاً جداً في سرده، حريصاً على إيصال الصورة الكاملة إليّ بدقة شديدة، وربما توقف عن السرد أحياناً ليُريني فيديو أو صورة في النت لأستوعب الأمر جيداً.

كانت اللغات الثلاث (الألمانية والعربية والإنجليزية) تتراقص في رأسه وتتزاحم، فمع كون السرد كان بلسان عربي مبين إلا أنه ربما احتاج أن يستعمل بعض المصطلحات الأعجمية.

خلال أيام السرد الجميلة تلك، كان عليّ أن أتقمص شخصية أبي حمزة وأغوص في أغوار شخصيته ونفسيته، لأني سأكتب الكتاب على لسانه، وهذا الأمر - كما ترى - ليس بالهين.

(٣)

حين فرغ أبو حمزة من سرد سيرته عليّ قال لي (أنت الآن تعرف عنّي كلَ شيء، ولا أعلم أحداً يعلم عنّي ما تعلمه أنت).

غادر أبو حمزة قطر، وبدأتُ أنا في الشق الأصعب من الكتاب وهو تحويل المادة المسموعة إلى مادة مكتوبة.

لم تكن مهمتي تنحصر في النقل الحرفي للكلام من التسجيل إلى الورق، وهو ما يُسمى الآن (التفريغ)، إذْ لو كان الأمر كذلك لهان وسهُل، لكنّ القضية أني أردتُ صياغة الكتاب بأسلوب ولغة كتابية صالحة للنشر، وعلى نمط كتب السير الذاتية المعاصرة، ولا يغيب عن ذهنك البونُ الشاسعُ بين لغة اللسان ولغة البنان.

سمعت المادة الصوتية، ووضعت الكتاب كاملاً دون مقدمة وخاتمة، وأرسلته إلى أبي حمزة فراجعه كله كلمةً كلمةً، وكان في مراجعته - كما هو في شأنه كله - دقيقاً جداً، يخشى ويتوقى الكذب والمبالغة والتشبع بما لم يُعطه.

(4)
لماذا هذا الكتاب؟

وهو سؤال مشروع، لأن هناك عشرات الكتب التي تتحدث عن قصص المتحولين إلى الإسلام، فما الجديد في كتابنا هذا؟

الجواب:

يعتبر أبو حمزة ركناً متيناً من أركان (الدعوة السلفية الألمانية) التي نشأت في (٢٠٠٢م - ٢٠٠٤م) واستطاعت في مدة قصيرة أن تُحدث زخماً كبيراً وصل إلى مسامع عموم الألمان، كما يُعد أبا حمزة من أشهر الدعاة إلى الإسلام في أوروبا، فهو "سميطُ" ألمانيا - إن جاز التعبير - ومن أكثر الدعاة تأثيراً على الناطقين باللغة الألمانية المنتشرين في ألمانيا وسويسرا والنمسا وغيرها، فهو ليس مجرد رجل أسلم وانزوى في بيته، بل نحن في هذا الكتاب نؤرخ لرجل كان الواجهة الإعلامية للسلفيين في ألمانيا برهة من الدهر، وشَغَل الحكومة والإعلام لسنين.

أبو حمزة من الرموز الإسلامية القلائل الذين دخلوا المعترك السياسي والاجتماعي في ألمانيا، وهذا يفسر لنا شيئاً من الضجة التي أحدثها الرجل في الأوساط الإعلامية الألمانية.

نحن في هذا الكتاب مع رمز من رموز الدعوة الألمانية، يعتبره الآلاف من المسلمين الأوروبين قدوة وملهماً لهم، فلا عجب أن نرى أبا حمزة يخطب في الجموع الغفيرة المؤلفة، ويستقبلونه كما لو كان أحد النجوم الموسيقيين بتعبيرِ باحثةٍ ألمانيةٍ في الشأن السلفي الألماني، سيأتي ذكرها قريباً.

وإذا تجاهلنا عشرات مقاطع الفيديو في النت التي تناولت سيرة أبي حمزة، وتجاهلنا القنوات الفضائية التي استضافته فإننا لا يمكن أن نتجاهل الكتب والدراسات والمقالات التي كُتبتْ عنه تحديداً أو عن السلفية الألمانية عموماً.

ألمانياً: هناك عشرات المقالات والأخبار المنثورة في الصحف الألمانية التي تناولت أبا حمزة نقداً أو عرضاً، وكانت تلك المقالات مادةً دسمةً لو تمكنتُ من جمعها ولكن حال بيني وبينها حاجز اللغة.

ومن أهم ما كُتب عن أبي حمزة: كتابٌ من تأليف باحثة ألمانية اسمها (نينا فيدل) - وهي بالمناسبة ليست مسلمة - بعنوان: (حول صناعة سلفية ألمانية: النشأة، التطور، والنشاط الدعوي للحركات السلفية في ألمانيا) وقد صدر باللغة الألمانية ثم تُرجم إلى الإنجليزية ثم تُرجم إلى العربية وصدر عن مركز (نماء) للبحوث والدراسات.

وهذا الكتاب وإن كان يدرس السلفية الألمانية عموماً إلا أن الكاتبة ركزت كثيراً على أبي حمزة، وكانت منصفة في بحثها وعرضها إلى حد كبير، وقد نقلتُ منها بعض المواضع ونثرته في حواشِ الكتاب كما ستراه في موضعه إن شاء الله.

عربياً: وقفت على كتاب من إصدارات دار سما في الكويت بعنوان (كنائس المسيح عليه السلام تبشر بمحمد ﷺ: منصرون اعتنقوا الإسلام فملؤوا الأرض بالدعوة) تأليف سامح أحمد شعبان.

ذكر فيه المؤلف مجموعة من المتحولين إلى الإسلام، ومنهم أبو حمزة، وقد وَهِم في عده لأبي حمزة من جملة المنصّرين إذْ لم يكن مُنصّراً قط.

ومنها كتاب بعنوان (هكذا عرفته) بعناية: إبراهيم عبد الغفار، وهو كتاب مفرد في سيرة أبي حمزة، طُبع في مصر، ولم أقف عليه.

تأتي ميزة كتابنا هذا بعد هذه الكتابات والدراسات أنه **الكتاب المعتمد في سيرة أبي حمزة**، حيث عملنا معاً على إنجازه ومراجعته، وكل ما فيه صحيح ودقيق.

وهنا تنبيهات قبل ختام المقام:

١ - اتضح لك مما سبق أن سرد القصة سيكون على لسان أبي حمزة، وأني سأستخدم ضمير المتكلم قاصداً به أبا حمزة، فالمعاني والمضمون له، والألفاظ والتراكيب والصياغة والأساليب لي.

وما كنت بدعاً من الكُتاب في هذا، فقد فعله قبلي جمعٌ من مشاهير الكُتاب في السير الذاتية، فهذا الأمريكي (والتر إيزا) كتب سيرةَ (ستيف جوبز) بهذه الطريقة، ونرى هذا أيضاً في صنيع الكاتبة الفرنسية (ميشيل فيتوسي) مع (مليكة أوفقير) في كتابها (سجينة)، وفعله كذلك الأردني د. أيمن العتوم في كتابه (يسمعون حسيسها) حين روى سيرة الدكتور السوري إياد أسعد، والأمريكي (أليكس هيلي) في كتابه عن (مالكوم أكس) رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ - كل ما ورد في الكتاب من آراء فإنها لا تعبر إلا عن رأي أبي حمزة ووجهة نظره.

٣ - حرصنا في هذا الكتاب على النافع المفيد للقارئ، وأهملنا تفاصيل نرى أنها غير مفيدة، وإن تتابع أرباب السير الذاتية على ذكرها.

وفي الختام...

لا يفوتني أن أشكر جميع الإخوة والأخوات الذين لم يبخلوا عليّ بمراجعتهم للكتاب وإبداء ملاحظاتهم واقتراحاتهم وتصويباتهم، منهم:

- ❖ الصديق حسن الجيدة الذي كان أول من قرأ الكتاب وأبدى ملاحظاته.
- ❖ وشيخي مختار مامو الشنقيطي الذي قرأ الكتاب وتأثر به وشجعني جداً على المسارعة في نشره، وسهر معي ليلة ليناقشني حول الكتاب، وأرسل إليّ أربعَ عشرةَ ورقة فيها تصويباته وملاحظاته الدقيقة.
- ❖ والصديق الشاعر الأديب سلطان الكامل الذي قرأ الكتاب بروحه ودمه وأفادني بملاحظات وتصويبات مهمة تتعلق بالتراكيب والأساليب.

- والصديق رائد العمادي الذي أرشدني إلى دقائق وخفايا ونصائح ما كان لغيره أن يحسنها.
- والصديق الشيخ محمد الساعي على نصائحه المتعلقة بالمضامين وصلب المادة.
- والأخت الكريمة الفاضلة (ن.خ) على الجهد العظيم الذي بذلته لتتبع الأخطاء المطبعية.

وغيرهم من الأصدقاء والأخفياء أثابهم الله وكتب أجرهم.

كتبه بيمينه:

سالم القحطاني

الدوحة- قطر

٨ ربيع الأول ١٤٤١هـ/ ٥ ديسمبر ٢٠١٩م

الإيميل: s.ma1985@hotmail.com

تويتر: salemqq

سناب: salemqq5

تلغرام: salem_qq

❖ ولدتُ في المرقص

اسمي «بيير فوجل»، ولدت في **٢٠** يوليو عام **١٩٧٨**م في مستشفى مدينة «فغشن» وهي بضواحي مدينة «كولن» التي تعد من كبرى مدن غرب ألمانيا، في أسرة صغيرة عمادها أب وأم وأخت وأنا،وقد كانت «ألمانيا» في ذاك الوقت مقسمة إلى قسمين اثنين «ألمانيا الشرقية» و«ألمانيا الغربية»، وكانت عاصمة الغرب مدينة «بون».

كان أبي واسمه - «ولتغ» - يعمل حينها حارساً في أحد المراقص وذلك أن أبي صاحب بنية قوية ومهاب الجانب من أصحاب العضلات المفتولة، وللكلام عنه موضع سيأتي، وقد جرت العادة عند كثير من المراقص أن يكون حراسها من أقوياء الأبدان كي يتدخلوا في الوقت المناسب عند حصول المضاربات والمشاجرات بين مرتادي المراقص من السكارى وغيرهم، فلما ولدتني أمي في اليوم السالف الذكر كان أبي حينها على رأس عمله، فأخذتني من المستشفى وذهبت بي وهي تكاد تطير فرحاً وجذلاً إلى المرقص حيث أبي، فدخلت المرقص وأنا وليد! هكذا إذن كانت بداية حياتي، وهكذا كانت الفاتحة.

نشأت محبوباً بين والديّ الذين فرحا بي كثيراً حيث كنت المولود الأول لهما، وقد اهتم بي والداي اهتماماً بالغاً وأحسنا تربيتي منذ الصغر وفق ما عندهم من تصورات وأسس تربوية، وهكذا كبرت وترعرعت إلى أن وصلت السن المناسبة لدخول «الروضة» وهي ثلاث سنوات، وقد كان والداي

مخيرين بين أن أدخل «روضة كاثوليكية» أو «روضة عامة» فاختارا الثاني،ثم لما بلغت الخامسة تقريباً أدخلني أهلي إلى «نادي الكراتيه» لأني كنت متأثراً بأفلام Bruce Lee وأمثاله التي كنت أشاهدها صغيراً فأحببت أن أكون قوياً مثلهم، هكذا كان تفكيري طفولياً مناسباً لسني آنذاك، وهذا الذي جعلني لا أهتم بكرة «القدم» ونحوها لأنها لا تجعلني قوياً[١].

على كل حال:

واظبت على لعبة «الكراتيه» سبع سنوات، ثم اتضح لي أن «الكراتيه» ليس فيها قتال حقيقي، كنت مجبولاً على حب المقاتلة ونمّى ذلك فيّ الأفلام كما قلتُ آنفاً.

لعبة «الكراتيه» يُمنع فيها الضرب بقوة - مثلاً -، وكذلك الضرب على الوجه، ومثل هذه الأمور كانت معيقة لي من أن أشبع نهمتي ورغبتي في أن أكون قوياً، فقد كانت فيّ رغبة جامحة في أن أحطم كل ما أمامي بكل ما أُوتيتُ من قوة.

فبحثتُ في الألعاب المتاحة ولم أجد أنسب لي من لعبة الملاكمة فوقع اختياري عليها، وغني عن القول ماذا تعني لعبة «الملاكمة»

كنت متأثراً جداً ببطل الملاكمة «مايك تايسون»[٢] حيث كنت أشاهد

---

(١) لقد كان لعنايتي بالرياضة البدنية المقوية للبدن أثر بالغ في حياتي وذلك أنك في الكراتيه تتعلم «الانضباط» و«الدقة» و«عدم اليأس والاستسلام» وتعلمك الكراتيه «الاستماتة في سبيل النصر» وتصنع فيك «العقلية القتالية» وكل هذا وغيره مما كان له دور كبير في تكوين شخصيتي، لذلك ينبغي للمسلمين أن يهتموا بتربية أولادهم بدنياً مع التربية العلمية والروحية، والمسلمون يقصرون في التربية البدنية كثيراً، بخلاف الغربيين فإنهم يهتمون كثيراً بالتربية البدنية لكنهم يهملون جوانب أساسية من التربية الروحية.

(٢) ملاكم أمريكي، حصل على لقب بطل العالم وهو في العشرين من عمره، اعتنق الإسلام وأحدث إسلامه ضجة كالضجة التي أحدثها محمد علي في الستينات.

مبارياته مع أبي، فأعجبتُ به كثيراً وكان مثلي الأعلى وقدوتي حينها فأحببت أن أكون مثله بل أقوى!

المشكلة التي صادفتني حينها أني لم أجد في مدينتي نادياً للملاكمة، وإنما كان هناك «نادي تاي بوكسنق» وهي ملاكمة خاصة وفدت علينا من «تايلند» يستعلمون فيها المرفق للضرب وكذلك الركبة والرجلين، وهكذا بدأت مسيرتي في «الملاكمة».

❖ أعود إلى حياتي المدرسية:

لما بلغت السابعة من عمري دخلت الصف الأول الابتدائي في قريتنا، ومدة الدراسة الابتدائية عندنا أربع سنوات وبعد ذلك يختار المعلمون المدرسة الإعدادية المناسبة لمستوى الطالب، فإن كان متفوقاً دخل مدرسة إعدادية يسمونها «جمنازيوم» وإن كان متوسطاً دخل مدرسة يسمونها «غيالشولا» وإن كان دون ذلك دخل مدرسة اسمها «هاوبتشولا» فأدخلوني في النوع الأول، وهي مدرسة المتفوقين، وذلك لأني كنت طالباً متفوقاً ومحبوباً لدى المعلمات وحصلت على شهادات تقدير، وما زلت أحتفظ بشهادة كُتب لي فيها «بيير طالبٌ محبوبٌ لدى الطلاب لأنه يمازحهم ويُضحكهم، وكذلك لأنه يحب العدل!»[١].

---

(١) وأنا أقول من باب التحدث بنعمة الله تعالى ليس غروراً ولا كبراً ولا حباً لمدح الناس، ولكنّ الله عز وجل قد ركّب فيّ هاتين الخصلتين منذ طفولتي: حب العدل والمزح، ولطالما انتفعت بهاتين الخصلتين في حياتي كلها ولا سيما بعد إسلامي، فبسبب حب العدل وصلت إلى الإسلام، وبسبب المزاح المباح وصلت إلى قلوب الناس، والله الهادي.

عموماً:

يمر الآن أمام عيني شريط ذكرياتي، وأستعرض فيه دراستي في المدرسة بمراحلها الثلاثة، لم يكن لي شغل وهمٌ حينها إلا الدراسة والرياضة.

كانت المدرسة الإعدادية التي دخلتها - والتي تُعد من أفضل المدارس في ولاية Nordrhein - Westfalen – قد أسسها جماعة من القساوسة والرهبان، وقد سُميت المدرسة على اسم قسيس اسمه « Norbert» لذلك كانت تتسم بطابع المحافظة والتدين، فهي مدرسة مخصصة للبنين فقط ولا اختلاط فيها بالبنات، وإضافة لذلك فقد كنا ملزمين بصلاة قصيرة نؤديها يومياً كل صباح، حيث نقوم في الطابور الصباحي ونتضرع قائلين «أبانا في السماء، تقدس اسمك، ملكك آت، وإرادتك نافذة، في السماء وفي الأرض، أنت الرازق لنا كل يوم، والغافر لكل ذنب، كما نغفر نحن ذنوب من ظلمنا، ربنا لا تفتنا في ديننا، وخلصنا من الشر فالملك لك، والقوة لك، والتقديس لك في الأبد - آمين».

كانت مدرستي بما عُرفت به من جدية وانضباط وسمعة حسنة في الولاية = تعتني كثيراً بالتربية، لم تكن تهتم بحشو المعلومات والمواد في أذهاننا فحسب، وإنما كانت التربية والانضباط والأخلاق والمسؤولية قبل كل شيء، فزرعوا فينا منذ الصغر مجموعة من القيم العظيمة التي هي موافقة للفطرة وللأديان، ولو أخذنا مثلاً قيمة من القيم «كالمسؤولية» مثلاً، فقد تربينا على ذلك وغرسوا فينا ذلك غرساً، فكل طالب في الفصل له وظيفة محددة ومهمة معينة، فأنت يا فلان مسؤول النظافة، وأنت عليك بجلب الحليب للطلبة، وأنت ترتب كذا، وهكذا فكل طالب له دور ومهمة، وهذا كان يجعل الطالب يشعر بأنه مهم، ولا يركن إلى الاتكالية والكسل، بل أذكر مرةً أن المدرسة كلفتنا بجمع التبرعات لصالح فقراء «البرازيل» ولا يخفى عليكم ما معنى أن يجمع الطلاب الأطفال التبرعات للناس وما معنى أن تغرس في الطالب في

هذا السن حب الخير والتعاطف مع المساكين والمحتاجين والشعور بالمسؤولية.

علمونا منذ الصغر أن كل طالب له دور في هذا العالم وليس في محيط المدرسة فحسب، كثيراً ما كانوا يقولون لنا «علينا أن نغير هذا العالم» و «علينا أن نحسّن هذا العالم» و «علينا أن نقدم شيئاً للعالم» وهكذا مثل هذه العبارات العظيمة المحفزة المشجعة التي تبعث الهمة وتذكي روح المنافسة في قلب الطالب الصغير.

وإن أنسَ فلا أنسى معلمة كانت تدرسنا في مدرستنا اسمها «أدنتال» كانت كثيراً ما تأتي إلى المدرسة «بالدراجة الهوائية»، وليس العجب هنا بل العجب أن بيتها كان يبعد عن المدرسة ما يقارب مسافة ١٠ كيلومتر! ولا يغيب عن ذهنك أن المعلم عندنا له مكانة عظيمة، كما أنه يتمتع بمرتب من الحكومة لا بأس به، فطبقة المعلم من الطبقات المحترمة في المجتمعات الغربية، فكنت أعجب من صنيعها هذا، وقد نمى إلى علمي أنها كانت تحمل رخصة قيادة للسيارة وتستطيع أن تقودها بسهولة، ولكنها عللت صنيعها فقالت:

«استعمالي للدراجة الهوائية يخفف من «تلوث البيئة»، وذلك لما تخرجه السيارة من دخان ملوث، فالسيارة تكون عند الضرورة فقط».

بل إننا مرة زرنا بيتها فتفاجأنا أنها لا تملك «غسالة»، وعللت ذلك قائلةً:

«الغسيل باليد أفضل، لأنه يساعد على قلة استعمال الكهرباء في البيت».

وهكذا مثل هذه المواقف الصغيرة التي قد يراها القارئ الآن عادية لا تدعو للغرابة، لكنها كانت تقع موقعاً من نفوسنا ونحن في ذلك السن،

ولذلك أعظم ما يؤثر في الطالب هو المعلم القدوة، الذي يكون مثالاً عملياً يراه الطالب أمامه ليقتدي به.

أيضاً من القيم العظيمة التي غرسوها فينا أنهم كانوا دائماً يقولون لنا «كن أنت الأول»! «كن أول من يبدأ» فغرسوا فينا روح المبادرة، إذ لو قال كل واحد منا: «أنا شخص واحد، ماذا يمكنني أن أغير أو أفعل» = لما تغير شيء، وهكذا تعلمنا أن «التغيير» يبدأ منك أنت، لذلك غرسوا فينا منذ الصغر «التفاؤل».

لقد كانت مدرستي متميزة حتى في «العقاب» وطرقه وأساليبه، فالعقاب أمرٌ ضروري لكل من أخطأ، ولكن مدرستي كانت تجعل العقاب تربيةً، ولم يكونوا يعاقبوننا لأجل العقاب فحسب، دون هدف ولا غاية، ولعلي أذكر مثالاً يوضح ذلك:

مرة من المرات تخاصمت مع طالب، فضربته ضرباً مبرحاً ورفستُ وجهه بقوة، حتى أنه غشي عليه ولم يفق إلا بعد مدة، وكان عمري وقتها **١٣** سنة، فماذا كان عقابي؟!

أولاً: مُنعت من الدراسة لمدة أسبوع كامل.

ثانياً: كان بجوار مدرستي «دارٌ للعجائز و المسنين»، وقد جرت العادة في مدرستنا أننا نحصل في الأسبوع على حصة واحدة تكون راحة، وهو ما يسمى أحياناً في بعض الدول العربية «بحصة الاحتياط» وهي حصة فارغة، تكون مرة في الأسبوع، فيتركون فيها الطلاب يستمتعون باللعب والأحاديث، فكان عقابي هو حرماني من الاستمتاع بهذه الحصة مع أصدقائي، وإلزامي بأن أذهب إلى «دار العجزة» وأمكث مع امرأة عجوز هناك، اسمها كما أذكر «فغاو كلوتش» ذات الثمانين أو التسعين سنة، وأظل أتحدث معها، ليست العقوبة هنا فحسب، بل إن هذا الأمر استمر معي إلى نصف سنة ! كانت تلك هي عقوبتي ونعمتْ العقوبةُ هي.

ولا حاجة أن أشرح لكم كم في هذه العقوبة من الفوائد التربوية التي تعود بالنفع على الطالب.

كنت كثيراً ما أتأمل في حال هذه العجوز المسكينة التي تعيش وحيدة غريبة في بلدها،حيث كانت ابنتها تعيش بعيدة عنها، ولا أحد يسأل عنها[١].

وقد كان منظر العجوز هذه التي تقضي ما تبقى لها من حياتها وحيدةً يبعث في قلبي حينها الأسى والشفقة والرحمة والعطف.

كانت تلك العجوز كثيرة الشكوى والتسخط والتذمر من الحياة وطولها ومن كل شيء، فتارةً تتسخط من الطقس، وتارة تتسخط على ابنتها التي هجرتها[٢].

وحين أسلمت عرفت أن كل تلك المعاني والقيم الجليلة «المسؤولية - التضحية - المبادرة - العناية بالمسنين - النظام والنظافة» التي تربينا عليها هي موجودة في الإسلام وأكثر منها،لذلك كم يؤلمني ويحزنني حين أرى كثيراً من المدن العربية المسلمة لا يبالي أهلها بتلوث البيئة مثلاً رغم النصوص الشرعية الصريحة في الحث على الطهارة والعناية بالبيئة.

وأحب أن أقول في ختام هذا المقام أني أسهبتُ قليلاً في وصف التربية المدرسية وذكرت كثيراً من محاسنها، وذلك كي لا يتهمني أحد أني متحامل

---

(١) وقد علمت بعد ذلك أن ٨٠٠ ألف في ألمانيا يعيشون في دار العجزة قد تخلى عنهم أهلهم وذويهم.

(٢) وحالة التسخط هذه تكاد تكون سمة عامة عند كبار السن في أوروبا، وذلك بسبب عدم إيمانهم بالله حقيقة وعدم تسليمهم وإيمانهم بالقضاء والقدر خيره وشره، وكثيراً ما أسأل كبار السن من أقاربي وغيرهم «كيف حالك» فيقولون: «كل شيء سيء»! وهذا يندر أن تجده عند كبار السن من المسلمين فترى الواحد منهم على ما هو فيه من فقر وضعف إذا سألته عن حاله فإنه يلهج مباشرة قائلاً «الحمد لله»!

على قومي، بل أنا أرجو الله تعالى أن يوفقني لأن أكون عادلاً ومنصفاً، فالحضارة الغربية لها ما لها وعليها ما عليها، فلها محاسن ومساوئ، وفي سيرتي الروائية هذه ستلاحظون الجانبين المشرق والمظلم فيها، فأنا لا أقول إنّ الحضارة الغربية كلها شر وسوء ولا ذرة خير فيها، وبالمقابل أيضاً لا أقول إن الحضارة الغربية كلها خير وسلام وجمال وتقدم ونور كما يقوله العلمانيون العرب متأثرين بالدعاية الغربية المضللة، بل الحق وسط بين ذلك، وعلى المسلمين أن يأخذوا من الغرب ما ينفعهم ويتركوا ما يضرهم، والله عدلٌ يحب العدل، ويبغض الظلم والظالمين، نسأل الله أن يجعلنا من المنصفين.

❖ أنا في البيت

لقد تربيت في أسرة متماسكة على خلاف كثير من الأسر الأوروبية والألمانية التي تكون متفككة ومتناحرة، فعلى العكس من ذلك كانت حياتي الطفولية ونشأتي في البيت جيدة إلى حد كبير، وكما أسلفتُ فقد كنت الابن البكر وكان والداي يهتمان بي كثيراً.

أما أبي وهو «نصراني بروتوستانتي» ولا حاجة إلى أن أسهب في وصف صورته الخَلقية وقوته البدنية فمشاهدة صورته تغني عن ذلك، كما أنه عضو في جماعة وإن شئت فقل «عصابة» اسمها «Hells Angels» ولها عشرات الأعوان الأشاوس البواسل حيث الواحد منهم أرخص ما يملك نفسه، وليس عنده شيء يخسره، كنت معجباً جداً بشخصية أبي المرعبة للأعداء، ولطالما رأيت الناس وهم يعظمونه ويحسبون له حساباً، فقد كان - وما زال - إذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع، وورثت منه الكثير من الصفات مثل قوة بدنه هذه التي ولّدت بطبيعة الحال قوة الشخصية، كان أبي كما أسلفتُ يعمل حارساً لأحد المراقص، ويدخن بشراهةٍ علبتين كاملتين في اليوم الواحد، لكنه في

يوم من الأيام عزم على ترك التدخين، فتركه في ليلة وضحاها**!** واستمر على هذا أكثر من عشرين سنة أي إلى يومنا هذا[١].

لذلك كان أبي ينصحني كثيراً فيقول: «**يا بُني، إذا أردت أن تكون قوياً ورياضياً فإياك وشربَ الخمر والمخدرات و التدخين**».

بسبب نصائح أبي وحرصاً مني على لياقتي الرياضية كنت أستحي من تعاطي هذه الأمور وكنت مشهوراً بين الناس بين زملائي بأني لا أتعاطى ذلك، رغم أن أصدقائي وأترابي كانوا يبدأون بتجربة هذه الأمور في سن مبكرة، فبعضهم يبدأ يجرب منذ ١٢ سنة وهكذا، لذلك كانوا يتندرون عليّ، يقول بعضهم لبعضهم «هل تصدق أن بيير لا يشرب»؟**!**

ومن العجيب أن أمي - واسمها زابينا - أيضاً لا تشرب، وهذا ليس ديانةً منها، ولكني حقاً لا أعرف السبب، وأما أبي فإنه لا يشرب الخمر أيضاً لسبب واحد: وهو أنه إذا شرب الخمر صار عدوانياً يدمر كل شيء أمامه**!**

وأما أنا فلم أتذوق طعم الخمر إلا مرة واحدة حين كنت مراهقاً فوجدت كأساً عند بيت جدتي، فأردتُ أن أتذوق طعم هذا المشروب الذي يتفاخر الناس بشربه، فذقت منه رشفة فوجدتُ طعمه مراً وقبيحاً جداً وغمرني شعور ورغبة بالتقيؤ، ثم لما بلغتُ ١٨ سنة، وهي السن القانونية لتعاطي هذه الأمور علناً شربته ربما خمس مرات متفرقات خلال سنة، ثم انقطعت عنه إلى يومنا هذا، وهذا الأمر عندنا معشر الأوربيين يكاد يكون معجزة، إذ يندر جداً أن تجد شاباً بلغ السن القانونية وهو لا يشرب الخمر[٢].

---

(١) ولطالما كنت أضرب المثال بأبي في محاضراتي الدعوية التي ألقيها على المسلمين فأقول هذا أبي ليس مسلماً وقد عزم على ترك التدخين وفعل ذلك، لأنه صاحب إرادة، فما عذرك يا مسلم؟!

(٢) وهذا يبين لكم أمراً مهماً أن هذه الأمور قد تتابع البشر على اعتبارها من الأمور المذمومة السيئة القبيحة، فالغربي العاقل يعلم أن هذه الأمور لا تنبغي للإنسان

وذكر الخمر يجرني إلى ذكر «الزنا» إذ هما قرينان، فقد نشأنا منذ الصغر على أن الشاب لا بد أن يبحث له عن صديقة، وكذلك الشابة، ونمط الحياة الأوربية يغرس في أذهاننا هذا كثيراً حتى صار مُسَلماً من المسلمات أن يزني الشاب مرات عديدة قبل زواجه، كان هذا يُغرس فينا من خلال الشارع والبيت والأفلام وكل شي يدعو إلى ترسيخ هذه الثقافة المنافية للفطرة قبل أن تكون منافية للأديان، فالشاب يهتم بصحته ومظهره لأجل أن يجد صديقة، ويجمع الأموال بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة لأجل أن يصطاد به النساء، وهكذا المرأة تكون أسيرة أمام هذا الهاجس، فتبالغ بالاهتمام بنفسها وتدفع الأموال الطائلة لعمليات التجميل وغير ذلك فقط كي تجد صديقاً يناسبها، وكي لا يزهد فيها الشباب، فجمال الصورة هو كل شي بالنسبة للمرأة الغربية.

إذا علمت هذا:

علمتَ مدى الصعقة الكهربائية التي تحدث للإنسان الغربي حين يقرأ في القرآن الكريم آيةً تقول ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢].

فهو أمر صعب جداً استيعابه لعقلية الرجل الغربي بسبب الفطرة التي انتكست وطُمست حتى صارت ترى حسناً ما ليس بالحسن.

أذكر مرةً أني كنت أتناقش مع صديقة لي قبل إسلامي، وكنت حينها أقرأ القرآن، فخلصنا في نهاية المطاف والنقاش أن الزنا حقاً أمر شنيع وقبيح وأنا لم أسلم بعدُ.

والفكرة المترسخة في أذهاننا منذ الطفولة أن الزنا قبل الزواج أمر

المجتهد والمهذب والعاقل، فمن محاسن شريعة الإسلام التي اكتشفتها لاحقاً أنه حرم على المسلمين كل ما هو ضار من مخدر ومسكر ونحوه، وتحضرني هنا كلمة دقيقة لمالكوم إكس١ يقول فيها «التدخين يجر إلى الخمر».

ضروري لا بد منه، ولا نتصور -عقلاً- أن يرتبط إنسان بامرأة قبل أن يكون قد جربها وجرب قبلها الكثيرات، وكنا مقتنعين أن هذا مهم لاكتساب الخبرة، قبل التورط بمشروع الزواج، وكنا مقتنعين ومتيقنين أنه لا يوجد سبيل ولا طريق أفضل ولا أنجع ولا أنجح من هذا، وأن الزواج الذي يكون دون خبرة سابقة فمصيره الفشل، ولكن الواقع الغربي الألماني يقول إن العكس هو الصحيح، ولست أنا الذي أقول هذا بل إن العالم الاجتماعي كلاوس فلدمن Dr. Klaus Feldmann في كتابه «كل شيء موجز عن علم الاجتماع» Soziologie Kompakt ينص صراحة على أن الطريقة الغربية في الزواج هي من أكبر أسباب الفشل والطلاق وتشتت الأسرة «أرفق إحصائيات حول نسب الطلاق والزنا وتشتت الأسر الخ».

❖ **أعود إلى الكلام عن أسرتي...**

ليس هناك من شي ذي أهمية بالغة كي أذكره عن مراحل طفولتي الأولى، إلا أنني أحب أن أذكر بعض الأمور التربوية التي نفعتني في حياتي كثيراً، فقد جرت العادة عند الصبيان أنهم إذا اعتدى عليهم أحد ذهبوا باكين إلى المسؤول أو إلى والديهم ليأخذوا لهم حقهم، ولكنني تربيت منذ الصغر على أن «آخذ حقي بيدي» وأن لا أطلب من أحد أن ينتزع لي حقي من أحد، أذكر أني لما كنت في السادسة تقريباً أو السابعة تشاجرت مع مجموعة من الصبيان، فذهبت إلى أمي طالباً منها أن تغيثني، فما كان منها إلا أن قالت «أنت اسمك «بيير فوجل»، بعبارة أخرى أنت عندك شرف وكرامة، فلا تخضع لأي أحد ولا تخنع، اذهب إليهم وخذ حقك منهم بنفسك ولا تبالِ» فأخذتني الحمية والأنفة وامتلأتُ غيرة وحماساً وأخذت من بيتنا عصا من حديد وذهبتُ إليهم وهددتهم، فلم يمر زمان حتى صار هؤلاء الصبيان يخافونني وباتوا أصحاباً لي.

وهكذا تعلمت منذ الصغر أن «الحقوق تُنتزع ولا تُوهب» وتعلمت «ألا أسكت عندما يلحقني ضيم» وكل هذه الأمور ونحوها نفعتني كثيراً في حياتي الدعوية لاحقاً.

كان أبي كثيراً ما يزرع الثقة في نفسي ويردد على مسامعي مثل هذه العبارات «أنت تستطيع» «كن قوياً» و «على قدر اجتهادك تحصل على بغيتك» وأمثال هذه العبارات.

ولست أنكر بالمقابل أنه كانت هناك أيضاً تربية على أمور سيئة شأننا في ذلك شأن جمهور الأوربيين، مثل التربية على الحياة المادية وأنك تعيش مرة واحدة فعليك أن تعيش الحياة بطولها وعرضها وبرجلك ويديك وبكل ما أوتيت من قوة، كما عليك أن تجمع مالاً جماً لتبذره في ملذاتك ولهوك إذ عليك أن تجرب كل شيء تطوله يدك في هذه الحياة، وإنما الأهم هو المال ثم المال فحسب، لأن المال سيجلب لنا بعد ذلك كل ما نريد، نعم لم يكن الدين حاضراً في بيتنا، ولا يشكل هاجساً لدينا، ولم يكن أهلي يذهبون بي إلى الكنيسة أصلاً، نعم كان أبي نصرانياً من البروتستانت، وأمي نصرانية من الكاثوليك، ولكن ذلك مجرد اسم ولا علاقة لهم بالدين، بل إنهما الآن أقرب إلى الإسلام من النصرانية،

وهذا المفهوم للحياة ليس قاصراً على بيتنا، بل تجده في الشارع والمدرسة وفي كل مناحي الحياة.

ومع ذلك كانت عندي بقايا فطرة، واستعداد فطري للدين، وإن كان شيئاً ضئيلاً جداً يكاد يختفي مع ظلمات الكفر، فمن ذلك أني كنت أحب كثيراً مادة «الدين» في المدرسة وكنت أحرز فيها درجات عالية جداً.

وأذكر هنا موقفاً حصل لي حين كنت في سن العاشرة تقريباً أني التقيت مصادفة بقوم مسلمين لا أتذكر الآن أين بالضبط ولا تفاصيل اللقاء، لكن كل الذي أذكره الآن أنهم ذكروني بالله وخوفوني من نار جهنم، ففزعت جداً من

ذلك وهرعتُ إلي بيتي، وظللت أردد الدعاء النصراني المشهور الذي ذكرته لكم سابقاً «أبانا في السماء» الخ.

عموماً تبدأ علاقة الطفل بالدين منذ ولادته وذلك بما يسمى عندنا ب «التعميد» ثم إذا بلغ الـ ١٤ يكون هناك ما يسمى ب«التثبيت» وهذه أمور أشبه ما تكون الآن بالثقافة المتوارثة والعادات والتقاليد.

التحقت بدروس خصوصية اختيارية منتظمة في الكنيسة «البروتستانتينية» مرة واحدة في الأسبوع، وكانت نيتي من ذلك هو الحصول على المال، وذلك أنني إذا ختمت هذه السنة على النحو المذكور جرت العادة أن يُقام احتفال لهذه المناسبة وتجلب له الهدايا والتحف والأموال، ولكن ويا للعجب فقد كانت هذه الدروس من نعم الله عليّ فمن خلالها وقفت على بعض الحقائق المتعلقة بالنصرانية والتي قادتني بعد ذلك إلى الإسلام!

❖ قصتي مع التدين

ولدتُ كما أسلفتُ بروتستانتينياً نصرانياً، وقد شرحت سابقاً ما يوضح لك أن الدين بالنسبة لمنزلنا ولملايين غيرنا لا يشكل هاجساً كبيراً ولا حضوراً قوياً، وإنما هو أشبه ما يكون بالموروث كالعادات والتقاليد التي يتوارثها الناس جيلاً عن جيل دون تمحيص ولا إدراك ولا اهتمام أصلاً بصحتها أو فسادها، كنا نعيش في حالة من «اللامبالاة».

أضف إلى هذا أن المذهب الذي كنت أتبناه هو مذهب «البروتستانت» وأنا أسميهم «مرجئة النصارى» فالعمل عندهم ليس مهماً وإنما المهم هو الإيمان الخالص واليقين.

وعلى ذكر مذهبي الديني أحب أن أبين للقارئ بعض الفروق الجوهرية

بين مذهبين رئيسين من مذاهب النصارى «البروتستانت والكاثوليك»[1] لأني على يقين أن كثيراً من القراء خصوصاً العرب يظنون أن النصارى كلهم ملة واحدة، ويغيب عن ذهنهم أنهم منقسمون انقساماً فظيعاً ويكفر بعضهم بعضاً ويبغي بعضهم على بعض بالتفسيق والتكفير بل والتقتيل، وإليك بعض الفروق بين المذهبين بشكل موجز:

١ - في كنائس الكاثوليك ستجد صوراً لعيسى بن مريم وأمه، وأما البروتستانت فلا يضعونه لأنهم يعدونه من الأصنام.

٢ - لا تجد عند البروتستانت طلب الشفاعة من الأولياء ويعدونه من الشرك وعبادة الأوثان، وتجده عند الكاثوليكيين.

٣ - الصليب الكاثوليكي عليه صورة عيسى ﵇ بخلاف البروتستانت.

٤ - العمل لا يدخلك الجنة عند البروتستانت وليس مهماً، ويكفي أن تؤمن أن عيسى مات لأجل ذنوبك، بخلاف الكاثوليك فعندهم مبالغة في الأعمال والتقرب، وعندهم مزارات وحج إلى قبور الأولياء والصالحين.

٥ - الرهبانية: وهي عدم الزواج بالنسبة للراهب والراهبة تجدها عند «الكاثوليك» بخلاف البروتسنانت.

٦ - في التعامل مع المرأة الكاثوليك يعتبرون متشددين في هذا الباب، فلا يسمحون للمرأة أن تخطب في الكنيسة مثلاً، وهذا بخلاف البروتستانت.

٧ - نقطة جوهرية كارثية: هناك خلاف كبير بينهم في نص «الكتاب المقدس» فهناك سبعة أبواب من العهد القديم لا يؤمن بها البروتستانت ويرون أنها ليست من كلام الله، وإذا أردت أن تتخيل شناعة هذا الأمر فتخيل أن فرقة إسلامية لا تؤمن بسبع سور من القرآن!

---

(١) تنبيه: الأرثوذكس قليلون جداً لا يكادون يذكرون في ألمانيا.

٨ - الكاثوليك كانوا لا يزوجون البروتستانت، وقد كانت أمي كاثوليكية، وأبي بروتستانتي، لذلك رفضت الكنيسة الكاثوليكية هذا الزواج.

إذا عرفت هذه الفروق بينهما عرفت الآن لماذا تجد كنيسة كاثوليكية وأخرى بروتستانتية، وكذلك مقابرهم منفصلة، ومدارسهم منفصلة، بل حتى روضات الأطفال منفصلة، طبعاً منفصلة من حيث النشأة والتأسيس، بالنسبة للكنائس بقيت على انفصالها، أما التعليم فمختلط الآن ولا يبالون بمذهب الطالب.

لذلك تاريخياً: كان بين القوم حروب طاحنة خلفت سبعة ملايين من القتلى! وهذا في حدود عام ١٦٠٠ ولا يغيب عن ذهنك قلة سكان الأرض في ذاك الزمن، ولن تجد حروباً دينية دموية مدمرة وقعت على مر التاريخ في مثل فظاعة الحروب التي دارت رحاها بين هاتين الطائفتين، ثم يأتون بعد ذلك ليقولوا إن الإسلام دين الإرهاب والدموية[١].

وكانت فطرتي جيدة إلى حد كبير فمنذ صغري وأنا في قلبي تعظيم للخالق سبحانه، وهذا التعظيم والإجلال لا أعلم له تفسيراً ولا مصدراً إلا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله.

في المدرسة الابتدائية سمعت فيها لأول مرة بدين جديد اسمه «الإسلام» حيث علمتُ بوجود طالبين مسلمين تركيين معنا، وكل ما عرفته عنهما أنهما لا يأكلان لحم الخنزير، لكني لم ألق لدينهما بالاً.

ولما بلغت سن الثانية عشر تعرفت على طالب معي في المدرسة وهو ألماني ملحد، لك أن تتخيل أن إنساناً في هذا العمر يتلبس بجريمة الإلحاد بل ويدعو إليها بتفانٍ، وكثيراً ما كان يكلمني ويطرح علي شبهاتهم وأسئلتهم المعروفة حول الشر ووجود الخالق وما شابه ذلك.

---

(١) اقرأ إن شئت عن حرب الثلاثين عاماً من ١٦١٨م إلى ١٦٤٧م

ثم لما بلغت الرابعة عشر حصل لي موقف هزني هزاً، ويمكن أن أقول إنّ هذه القصة هي التي جعلتني أطلق النصرانية طلاقاً بائناً بلا رجعة إلى يومي هذا.

❖ قصتي مع القسيس

كل شخص اعتنق الإسلام له بعض المواقف الفيصلية التي تجعله يتخذ قراراً حاسماً في حياته ومعتقداته، تزيد هذه المواقف أو تقل، لكن يبقى هناك موقف واحد هو الفيصل في مسيرة الإنسان.

وهذا الموقف الذي حصل لي مع «القسيس» يعد من أبرز الأحداث التي غيّرت مجرى حياتي.

وإليك ما حدث بالتفصيل:

ذكرت سابقاً أنه لما بلغت الرابعة عشر أخذني أهلي إلى الكنيسة لأجل «التثبيت».

وفي درس من دروس الكنيسة كانت هناك مناقشة عن تاريخ عيسى عليه السلام، وكان دائماً يقال لنا ويعلموننا منذ الصغر أن عيسى وُلد في مدينة «ناصرة»[1]، في هذا السياق قال لنا القسيس في درسه «إن الإنسان يُنسب إلى البلد التي ولد فيها».

فقلت له: «ولكن عيسى لم يولد في مدينة «ناصرة» وإنما ولد في «بيت لحم»[2] كما ينص على ذلك الكتاب المقدس».

فقال لي «إن علماء المخطوطات - أعني مخطوطات الكتاب المقدس -

---

(١) تبعد ١٥٠ كيلو شمال القدس.

(٢) على بعد ١٠ كيلو جنوب القدس.

يعتبرون هذه القصة مزورة ومكذوبة ومقحمة في النص، وإنما أقحمت كي تتناسق مع بشارة وردت في العهد القديم تقول: إنه سيولد في «بيت لحم»، وإلا فالصواب أنه ولد في مدينة ناصرة».

لما سمعت هذا الكلام ركبني من الهم والغم والحزن ما لا يعلمه إلا الله، ولن تتصور عظم مصيبتي حينها إلا حينما تقف موقفي، لقد اسودت الدنيا في عيني، وأصبت بصدمة نفسية حادة لا أستطيع وصفها، إنّ كتابي المقدس الذي بنينا ديننا عليه أنا وآبائي وأجدادي = يعترف لي الآن رجل يمثل رأس الهرم في الكنيسة بأنه قد دخله التحريف!

إنها كارثة حقاً بكل المعايير، إذن كيف لي أن أثق بعد ذلك في أي نص من نصوص الكتاب المقدس سواء منها «العهد القديم -ويشمل التوراة- أو العهد الجديد -ويشمل الإنجيل-»؟!

وأنا أقرب لك صورة هذه الكارثة كي تستوعبها بصورة أوضح:

تخيل أنك أنت أيها القارئ المسلم الذي تؤمن بالقرآن وتقدسه منذ الصغر، وترى كل من حوله يعظمه ويجله، ثم تذهب إلى المسجد عند عالم من العلماء أو فقيه من الفقهاء الكبار ويقول لك بصريح العبارة إن الآية الفلانية من سورة كذا: مكذوبة!

بالله قل لي كيف سيكون وقع ذلك عليك؟!

هل ستثق بعد ذلك في هذا الكتاب؟

هل ستثق بعد ذلك في القساوسة والكنيسة؟

هل ستثق في هذا الدين برمته أصلاً؟

لا أظنك فاعلاً ذلك، لأن العقل يقول: إنّ الذين استطاعوا أن يزوّروا آيةً = لقادرون على أنّ يزوروا آيات، وما الله بغافل عما يعملون.

نعم لم أكن حينها متديناً حقاً، ولكني كنت أحب ديني النصراني، وكنت أحب الله في قلبي وأعظمه وأجله، وكنت أحب «مادة الدين» في المدرسة كما شرحت لك سابقاً، فكوني لست متديناً ولا ممارساً لديني واقعياً لا يعني أن أقبل بفكرة دخول التحريف والتزوير فيه، ثم هذا الاعتراف ليس من رجل من عامة الناس، بل من القسيس الذي كنت أتعلم منه ديني.

إذن ولادة عيسى في «بيت لحم» كذب.

والكريسمس **٢٥** ديسمبر كذب ولا يوجد في أي إنجيل.

والشجرة كذب.

حينها اتخذت قرارين:

أن أكمل حصص «التثبيت» كي تُقام لي حفلة وأحصل على الهدايا والأموال بعد مرور سنة، وأن أترك النصرانية.

❖ حياتي مع الملاكمة

بدأت حياتي مع الملاكمة كما أسلفتُ وقد ناهزتُ سن الاحتلام، أي حوالى ١٤ سنة عام **١٩٩٢**م، كانت بدايتي بداية محرقة حيث كانت همتي وغاية مُناي أن أكون «بطلاً للعالم في هذه الملاكمة» وذلك لما وجدتُ فيها من إشباع لنَهمتي وفطرتي في أن أكون قوياً مهاباً أولاً، وثانياً لأني إذا نجحت سأصبح مشهوراً، والشهرة ستجلب لي أموراً كثيرة.

وعالم الملاكمة هو عالم عجيب مليء بالتحدي والحماس والشجاعة والإقدام، فهي لعبة لا تصلح للجبناء ولا الضعفاء، والملاكمة - على ما فيها - إلا أنني لست أنكر أني استفدت منها كثيراً في تقوية شخصيتي وحب الشجاعة وبغض الجبن، وهي تعلمك الدقة والانضباط والالتزام بقواعد اللعبة والحدود المتاحة لك للتحرك والضرب، كما تعلمك السيطرة على نفسك

وغضبك وأنت في قمة الحنق والاندفاع والرغبة الجامحة في الانتصار على خصمك والدفاع عن نفسك، ومع ذلك فأنت مطالب بأن تلتزم بالقوانين الدولية لهذه اللعبة، فلا يحق لك أن ترفسه مثلاً أو أن تعضه ونحو ذلك.

أدركت مبكراً في الملاكمة أنه على الإنسان أن يتحمل «الألم» و«المشاق والمكاره» كي يصل إلى النجاح، لقد تعلمتُ مبكراً أن النجاح لا يأتي بل يجب أن تذهب إليه.

ومن زاولَ هذه الرياضة يعلم علم اليقين ما أعنيه فإن هذه الرياضة تُعد من أصعب الرياضات لأنك مطالب بأن تستعمل أكثر من طاقتك ووسعك لتصل إلى غايتك.

كان المدربون يغرسون فينا دائماً أن «لا مستحيل» ولا تقل «لا أستطيع» بل «أنت تستطيع» وكان هذا يؤثر في عقليتي كثيراً[١].

لم يمض وقت طويل على شروعي في هذه اللعبة حتى شاركت بعد سنة ونصف في «البطولة الألمانية للشباب» وهي بطولة لمن كان تحت سنة **١٦** سنة، وحصلت على المركز الثاني على مستوى ألمانيا، وقد كان هذا فتحاً عظيماً حينها، فأنا أتكلم عن عام **١٩٩٤** م أي بعد اتحاد ألمانيا «الشرقية والغربية»، فالبطولة إذن كانت على مستوى كل ألمانيا وليست على مستوى

---

(١) وقد كنت أتأمل كثيراً في حالي قبل الإسلام وبعده، وأتأمل في حكمة الله البالغة التي جعلتني أشتغل بهذه اللعبة سنين عدداً، فإن قضاء الله كله خير، لقد نفعتني العقلية التي كونتها من هذه اللعبة في حياتي الدعوية لاحقاً، في حين كنت أرى كثيراً من إخواني المسلمين ينهزمون من الجولة الأولى في الدعوة، ويتراجعون في أول هجوم يأتيهم من هنا أو هناك، ولكني من خلال ما فهمته من تعاليم الإسلام بعد إسلامي أن أول ما يجب على «الداعية» أن يخلعه من قلبه هو «اليأس والقنوط» وأن النتيجة تكون على قدر الجد والسعي والاجتهاد «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى»، الشي الذي تطابق كثيراً مع ما تعلمته في سنين من لعبة «الملاكمة»، سواءً تعلمته من «الميدان» أو من المدربين.

«ألمانيا الغربية» التي أنا منها، أضف إلى ذلك أن الرياضة في «ألمانيا الشرقية» تحظى بعناية فائقة جداً، فتجد الأندية الرياضية بسهولة في كل مكان، ولا تألو حكومتها جهداً في تشجيع الناس على الرياضة ودعمها بشتى الوسائل، بل إنها فتحت مدراس خاصة بالرياضة، ولا يغيب عن ذهنك أن هذا الانتصار الباهر حققته بعد سنة ونصف من التدريب فقط، لذلك كان جُل الفائزين من «ألمانيا الشرقية» ويندر أن يفوز بالمراتب الأولى ملاكم من «ألمانيا الغربية»، ولما نظرتُ في أحوال الملاكمين الشرقيين وجدتُ كثيراً منهم قد تخرج من «مدارس رياضية» وهي مدرسة يتعلم فيها المناهج والمقررات الحكومية المعتادة لكن مع اهتمام وعناية بالغة بالرياضة، فمثلاً إذا كانت عنده مباراة في فترة الدراسة فإنهم يعطونه إجازة من المدرسة ليحضر المباراة ثم إذا رجع يعوضونه ما فاته من دراسته.

لذلك قررت أن أنتقل إلى «الشرق» لكي ألتحق بإحدى هذه المدارس، وعزمت السفر إلى شرق «برلين» - العاصمة، وقد كانت قبل «الاتحاد» عاصمة أيضاً، وكانت «برلين» نفسها مقسمة أيضاً إلى «برلين الشرقية» و«برلين الغربية» وهذا كله قبل الاتحاد،سافرتُ والتحقتُ بمدرسة هناك اسمها «werner seelenbinder- schule -» وهي مدرسة عريقة وشهيرة، تخرج منها مشاهير الرياضة الألمانية.

وهناك شاركت في «بطولة» وحصلت على المركز الثالث على مستوى ألمانيا لمن كان تحت سن ١٨.

كانت هذه المدرسة مختلطة شأنها شأن أغلب المدارس في أوروبا، وكانت تلك هي المرة الأولى التي أدرس فيها مع طالبات، وقد شعرتُ أن المدرسة المنفصلة التي كنت فيها تساعد كثيراً على تقوية العلاقة بين الشباب، وتنمي رابطة الأخوة والنجدة والتعاون المشترك، وهذا يكون بصورة أضعف وأقل في المدارس المختلطة كمدرستي هذه، فالاختلاط في نظري

يدمر الأخوة، فتجد كل شاب يحاول أن يلفت نظر الفتيات،الأمر الذي من شأنه أن يزرع الشحناء والبغضاء بين الطلاب.

مكثتُ في هذه المدرسة خمس سنوات، وخضعتُ فيها لتدريبات قاسية جداً، وقد كنت أرى أني ضحيت كثيراً لأجل أن أصل إلى هدفي الأعظم «بطل العالم» فهجرتي من «الغرب» إلى «الشرق» في ذاك الوقت وفي مثل تلك السن المراهقة لم تكن سهلة.

أضف إلى ذلك أيضاً أمراً مهماً: وهو أنه تلك الأيام عام **١٩٩٤**م إبان انتقالي إلى ألمانيا الشرقية كنت قد أُصبتُ بصدمة حضارية كبيرة، نظراً للبون الحضاري الشاسع بيننا وبينهم، فقد كنت كالذي انتقل من «مدينة» إلى «قرية»، أو من دولة متقدمة صناعياً في أوروبا إلى دولة فقيرة في «شرق آسيا»

حقيقةً كانت ألمانيا الشرقية الشيوعية التي اتحدت معنا حديثاً = تعاني من شيء من الفقر والتخلف في مختلف مناحي الحياة، وتعاني من البطالة ومشاكل اجتماعية وسياسية كثيرة يطول شرحها وبسطها، وما زال الفرق الحضاري بيننا وبينهم إلى يومنا هذا، مع التغيير الكبير الذي حققوه، ولكنها تظل دون «غرب ألمانيا».

عموماً... أعود إلى «مدرستي الرياضية» التي دخلتها برغبتي، ووجدتُ فرقاً كبيراً بينها وبين مدرستي التي كنت فيها في «الغرب» فمدرستي الغربية أكثر طلابها هم من الطبقة العليا، ويغلب عليهم طابع الجد والاجتهاد وحب التفوق في الدراسة مع التزام النظام والاحترام والانضباط السلوكي، الأمر الذي فقدته كثيراً في مدرستي الجديدة الرياضية: حيث تفاجأت بأقوام يختلفون عني في أمور كثيرة:

أولاً: معتقداتهم وأفكارهم وطريقة تفكيرهم كانت مختلفة عما ألفته، فقد كان الطلاب في «الغرب» كلهم نصارى، ولا أذكر في فترة دراستي هناك أنه درس معنا طالب يدين بدين غير النصرانية اللهم إلا طالبين كانا مسلمين،

وكان شيئاً غريباً وقتها وحالة استثنائية نادرة، أما في باقي السنوات وإلى أن سافرت إلى «الشرق» لم أصادف إلا طلاباً نصارى من شكلي وشاكلتي وطينتي ونمط تفكيري، الشيء الذي جعلني ضيق الأفق ومحدود النظرة والخبرة بالناس وأصنافهم وألوانهم ومشاربهم، إذا فهمتَ هذا جيداً فالغرابة كانت بالنسبة لي حين انتقلت إلى مدرستي في «الشرق» حيث كان طلاب فصلي الدراسي كلهم ملاحدة عن بكرة أبيهم! ليس فيهم نصراني واحد[١].

وأنا هنا أتحدث عن فصلي تحديداً وعن مدرستي، فلا أذكر أني قابلت فيها نصرانياً، ما خلا طالبة واحدة كانت نصرانية.

طبعاً هذا كان أمراً شنيعاً عندي، وكنت أعد هذا عيباً وشناراً أن يكون الإنسان ملحداً لا يؤمن بشيء رغم أني كنت حينها في شك كبير من النصرانية، وكنت قد تركتها خلفي بسبب موقفي مع القسيس، وكان هذا قبل سفري أصلاً إلى برلين، ولكن مع ذلك لم أستسغ الإلحاد، وكنت أرى النصرانية المحرفة أهون منه بكثير بلا شك، فالنصرانية على ما فيها من باطل إلا أنها تربي الناس على الأخلاق والشفقة والرحمة والإحسان للناس، وكنت أرى أن هؤلاء الطلاب الملاحدة يفتقدون أشياء كثيرة في حياتهم، وأن حياتهم أقرب إلى البهيمية منها بالإنسانية.

تاريخياً: كان كثير من زملائي الطلاب في هذه المدرسة يعيشون تحت ظل الحكومة الشيوعية الملحدة القمعية - أعني قبل الاتحاد - ونتيجة للقمع الذي كانوا فيه غاب الوعي والاستقلالية في التفكير لدى كثير من الألمان الشرقيين، وقد لمستُ هذا فيهم كثيراً حين يُطرح موضوع ما للنقاش فإنهم لا يجدون القدرة للتفكير بأنفسهم دون إملاءات تُملى عليهم.

---

(١) المقصود أن أهل الغرب على الأقل ينتسبون إلى النصرانية ويلحدون في الواقع، وأما هؤلاء في الشرق فهم ملحدون في الانتساب وفي الواقع أيضاً.

ثانياً: وهو نتيجة للأمر الأول من الفروق: لمست في كثير منهم حالة عارمة من التسخط والتذمر على كل شيء في الحياة، وإذا كان هذا موجوداً عندنا بالغرب لدى كبار السن كثيراً فإنه هنا عند الشرقيين يعد أشد وأقوى، وهي نتيجة طبيعية للإلحاد الذي لا يجيبهم أجوبة مقنعة عن قضايا كثيرة في الحياة كسؤال «العلة من وجود الشر» وسؤال «كيف نواجه المصائب والمشاكل في حياتنا» الخ، لذلك قلت في أكثر من مناسبة «النصرانية خير من الإلحاد ألف مرة».

ثالثاً: قضية العنصرية، وجدتها ضاربة بأطنابها عندهم بشكل فظيع، لذلك أقوى حزب عنصري اسمه « AFD بديل لألمانيا» وهو مع وجوده في عموم ألمانيا إلا أنه نشيط جداً في ألمانيا الشرقية.

هذه أبرز الفروق الرئيسة التي لاحظتها، وهنا أحب أن ألفت نظر بعض الإخوة المسلمين لا سيما الدعاة العرب: الذين يتحدثون عن الغرب كله فيجعلونه في «سلة واحدة» فتجد بعض الدعاة يطلق إطلاقات عجيبة فيها تعميم وعدم دقة فيقولون «الغرب كله ملحد» أو «الغرب كله متقدم» ونحو ذلك، وإذا كانت هناك فروق جسيمة عميقة بين ألمانيا الشرقية والغربية فما ظنك بالفروق نفسها بين ألمانيا والدول الأوروبية الأخرى؟! لذلك أعتب كثيراً على الإخوة الذين يتكلمون عن واقع أوروبا دون دراية ولا اطلاع دقيق على حقيقة الأمر، هذا أمر.

الأمر الآخر بما أننا في سياق الكلام عن ألمانيا الشرقية والغربية: أحب أن أسجل هنا كلمة تاريخية فيها مفارقة عجيبة ومؤلمة:

لقد كان عمري ١١ سنة حينما سقط جدار برلين في التاسع من نوفمبر عام ١٩٨٩م، وقد قُسمتْ ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، فالقسم الشرقي يتبع الإتحاد السوفيتي، والقسم الغربي يخضع لنفوذ أمريكا وبريطانيا وفرنسا، وكان الغرض من بناء الجدار هو وضع قيود لحركة التنقل بين الألمان في

القسمين، فأنا كان لي أقارب يعيشون في الشرق ولا يستطيعون أن يزورونا بسهولة ويسر، فمثلاً جدتي - أعني أم أبي - أصلها من قرية قريبة من مدينة «دان سيك» وكانت وقتها ضمن «ألمانيا الشرقية» لكنها الآن وقت كتابة هذه السطور **٢٠١٧**م جزء من دولة «بولندا» وليست من التراب الألماني - حدث هذا بعد الحرب العالمية الثانية – وقد فرّت من الروس ولها من العمر **١٤** سنة إلى دولة «الدينمارك» ومنها إلى مدينة «كولن» - حيث أقيم أنا وأسرتي حالياً –، وأخت جدتي أيضاً تعيش في ولاية بشرق ألمانيا، فالشاهد أن الجدار لما سقط: فرحنا لذلك، وأنا شخصياً على صغر سني حينها - **١٢** سنة - فرحتُ جداً، وقد شاهدت فرحة عارمة للناس–خصوصاً الشرقيين– عبر شاشات التلفاز ويهتفون بالحرية، وأذكر أن ألمانيا لما انتصرت في بطولة كأس العالم بإيطاليا سنة **١٩٩٠**م، وكان هذا الحدث بعد سقوط الجدار وقبل الاتحاد بأشهر، فكانت أحاديث الناس تقول «لقد انتصرنا قبل الاتحاد، وها نحن الآن اتحدنا إذن سنصبح أمة أقوى».

ولا شك أن حادثة سقوط الجدار كانت من أعظم حوادث هذا القرن الماضي، وكانت له تداعيات عظيمة على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وصدرت عنه عشرات الكتب والمقالات، وفيما ذكرته للقارئ كفاية.

إذن اتحدت ألمانيا رغم شدة الاختلاف بينهما، إلا أن القوم أدركوا سنة الله الكونية التي لا تتبدل ولا تتحول أن الاتحاد قوة، وأن التفرق ضعف، وكما اتحدت ألمانيا: اتحدت أوروبا فيما عرف لاحقاً «بالاتحاد الأوروبي» الذي يضم أكثر من عشرين دولة على ما كان بينهم من خلافات عقدية ومذهبية وعرقية وتاريخية وثارات ومذابح يندى لها الجبين، وما الحربان العالميتان عنا ببعيد والتي راح ضحيتها أكثر من **٥٥** مليون إنسان، أقول: رغم هذا كله اتحدوا ورموا كل خلافاتهم ظهرياً ورفعوا الحدود بينهم ووحدوا العملة والجواز، وكما اتحدت أوروبا: اتحدت قبلها الولايات المتفرقة لتصبح بعد ذلك «الولايات المتحدة الأمريكية» وكما اتحدت أوروبا:

اتحدت قبلها روسيا فيما عرف «بالاتحاد السوفيتي» وهكذا يُسمح لكل الأمم والبشر أن يتحدوا إلا المسلمين فممنوعٌ أن يتحدوا، ويُراد لهم أن يظلوا هكذا متفرقين متناحرين، وزرع لهم المستعمر هذه الحدود التي هي كالقنابل الموقوتة إمعاناً في التفريق بينهم بعد أن نَعِم المسلمون لقرون طويلة متحدين تحت ظل المؤسسة الإسلامية للحكم وهي «الخلافة»، وقد كانت أمنية الأماني أن نرى المسلمين يجتمعون ويتحدون ثم صرنا نتمنى أن يتحد العرب فحسب، ثم اتضح لنا أن هذا الآن في ظل الظروف الراهنة والخلافات السياسية التي لا تنتهي يكاد يكون ضرباً من الخيال فصارت غاية أمانينا أن يتحد الخليجيون فحسب، ويبدو أن ليله طويل ٌ نسأل الله أن يلم شمل المسلمين وأن يتحدوا ليعودوا كما كانوا أمة مهابة.

❖ ما بعد الاتحاد

كانت فرحة الشرقيين بالاتحاد أعظم منّا وذلك أن الصورة النمطية التي ترسخت في أذهانهم أن غرب ألمانيا هي الجنة وأن شرق ألمانيا هي الجحيم، تماماً كما يظن الشرقيون العرب حيث يظنون أن الدجاج يطير مشوياً إلى فم الألماني وأن الألماني يرى الثمرة في البستان فتعجبه فتتدلى له أغصانها وتقول له «هيتَ لك» ونسوا أن هذه دار دنيا، فيها خير وشر، ومحاسن ومساوئ، ولا يوجد نعيم تام إلا في الفردوس ولا جحيم تام إلا نار الله الموقدة، وجد الشرقيون أنفسهم أمام عقبات كثيرة، وكذلك الغربيون، أما الشرقيون فاكتشفوا وجود ثغرات ومساوئ كثيرة في نظام الحياة الغربية، وأما الغربيون فقد اضطروا أن يدفعوا مليارات في سبيل نهضة الشرق[١].

---

(١) للفائدة: اللغة الألمانية يُتحدث بها في «ألمانيا والنمسا وسويسرا وليشتان»، ولو

أخذت اللهجة النمساوية الدارجة لوجدتني أفهمها أفضل وأكثر من اللغة الألمانية الدارجة في «زاكسن» شرق ألمانيا، وثقافة النمساويين أقرب إلينا من ثقافة شرق ألمانيا، لذلك لا تستطيع التفريق بين النمساوي والألماني،فقد كانت ألمانيا والنمسا شيئاً واحداً تاريخياً.

❖ **أعود إلى «مدرستي الرياضية»**

كما قلت سابقاً مكثت في هذه المدرسة خمس سنين، حتى بلغ عمري إلى **٢١** لأني دخلتها وأنا في **١٦**، وأرى أنه من فضل الله عليّ أن جعلني أنخرط في هذه المدرسة الرياضية فقد حفظني الله بالرياضة من أمور كثيرة، فبسبب الرياضة كنت ملزماً بالابتعاد عن الخمور والمخدرات وكل ما يضر بجسمي وعقلي.

قضيت هذه الخمس سنوات «من سن **١٦** إلى **٢١**» بين مدينتَي «كولن» و«برلين» وكنت أسافر كثيراً في عطلة الأسبوع لزيارة أهلي وأعود، وهذه السنوات الخمس هي من أخطر سنوات الشاب عموماً، فهي أشبه بالمنحنى في حياة الإنسان الذي من خلاله سيحدد مصيره غالباً، ففي هذه السن تبدأ تتشكل ملامحه وعقليته واهتماماته وشخصيته، هي سن خطيرة وحساسة جداً، وأي شاب غربي في هذا العمر لا يكون عنده هم إلا استنفاذ كامل طاقته ووقته وجهده وتفكيره وسعيه في الملذات والشهوات ومتع الدنيا: من نساء ومراقص وخمور وسفر وصداقات ومغامرات ولهو ولعب.

وأنا أحاول أن أعصر ذاكرتي وأن أستعرض شريط ذكرياتي في هذه الخمس سنوات لأتذكر أمراً مهماً ومفيداً للقارئ كي أذكره، كل ما أذكره تلك الفترة أني كنت منغمساً في الرياضة إلى النخاع وهي شغلي الشاغل فقد مارست في حياتي أنواعاً من الرياضات علاوة على تركيزي على «الملاكمة» فقد مارست «كرة القدم» وكذلك مارست لعبة «الركبي» لما كان عمري **١٢** سنة وحصلت فيها على لقب «أفضل لاعب» وكتبوا عني في الجريدة المحلية

وكنت موهوباً جداً فيها لكني تركتها لأنها لعبة غير مرغوبة ولا محبوبة في ألمانيا.

كما أني كنت تلك الفترة مهوساً جداً بمشاهدة الأفلام السينمائية لذلك ما تركت فلماً قديماً ولا حديثاً إلا شاهدته فقد كنت معتكفاً في السينما، ولم أكن أحمل هم المال آن ذاك حيث كنت اعتبر غنياً، فأمي كانت تعمل في مطعم بمرتب جيد، وأبي كان يعمل في التجارة الحرة وتدر عليه دخلاً جيداً، وما قصّرا معي في شيء من النفقة.

وكل ما أذكره أني كنت أحياناً أزور خمسة مراقص في ليلة واحدة، خصوصاً في «كولن» لأن كثيراً من حراس المراقص هم من أصحابي، وهكذا من لهو إلى لعب إلى ضحك إلى مغامرة إلى مشاجرة إلى رقص وغناء وهلم جراً.

❖ من أخباري في الجاهلية

كنت مدمناً على الموسيقى والغناء، وأعشق المراقص، مرةً ذهبت إلى مرقص في ألمانيا وعمري عشرون سنة، وكنت أدخله مجاناً كثيراً، وكانت معي صديقتي، فأوقفنا الحارس ويبدو أنه لم يعرفني، وسأل صديقتي كم عمرك؟ وطلب الهوية كي يتأكد من عمرها القانوني؟ وهي طريقة استفزازية لا غير، فاشتد الحوار بيننا، واشتعلت غضباً، وكنت حينها أبدو مخيفاً بسبب أسناني المكسورة من الأمام، فأريته أسناني الأمامية الثلاثة المكسورة بسبب الملاكمة، وصرختُ له أن تعال إَنْ كنت رجلاً!

فلما رأى ذلك خاف جداً، ودخل المرقص وأقفل الباب وراءه، هنا ازداد غضبي، وأخذت أضرب الباب وأصرخ وأطلب منه الخروج للمضاربة حتى مللت، فرجعت إلى البيت وأنا لا أرى الطريق من شدة الحنق والغضب.

فلما رآني أبي جاءني وقال:

ما بك ؟ لماذا تصرخ غضبانَ؟

فحكيت له ما حصل.

فقال: ولماذا لم تضربه وتدمره؟

فقلت له معتذراً: لقد أردتُ ذلك يا أبي، ولكنه هرب مني، وأغلق الباب.

فقال: لا تقلق، سنذهب الآن ونلقنه درساً لن ينساه.

اتصل أبي بأصحابه، واستغاث برجل من المقربين عنده، اسمه «فولفجانج» قد أعدّهُ أبي للمهمات الخاصة، طوله متران، ووزنه **١٢٠** كلها عضلات.

حين وصلنا إلى المرقص دبّ الرعب في قلوب الحراس حين وقعت أبصارهم علينا.

وقد كان أبي يرتدي سروالاً لا يناسب المرقص، فجاء أحد الحراس إلى أبي وهو ترتعد فرائصه وقال له بكل أدب واحترام:

لو سمحت يا سيد، هذا اللباس غير مسموح لبسه داخل المرقص.

فقال له أبي: يا مغفل، وهل تظن أني جئتُ كي أرقص هنا؟!

ساعتها التفتَ إليّ «فولفجانج» وقال:

من الذي منعك من الدخول إلى المرقص؟

فأشرتُ بيدي إليه أن هذا هو!

فأقبل إليه «فولفجانج» مزمجراً وقال:

اخرج خارج المرقص، وتبارز مع «بيير فوجل» رجلاً لرجل.

فرفض الرجل مذعوراً.

فأعاد عليه الكلام بصوت مرتفع وبصيغة الآمر الناهي:

قلتُ لك، اخرج، فهو أفضل لك.

فرفض.

فما كان من «فولفجانج» إلا أن أمسكه بشدة من تلابيبه ورماه رمياً خارج المرقص، وحين رأيت ذلك لم أهدر الوقت = وانقضضت على الرجل ونلتُ منه حتى قضيت عليه وأشبعت نهمتي.

وفي اليوم التالي: غيّرت إدارة المرقص كل الحراس.

❖ هل كنتُ سعيداً؟

لو سألتني وقتها وقلت لي: «هل أنت سعيد يا بيير»؟

لأجبتك بلا تردد: نعم أنا سعيد جداً، لأني حقاً كنت أتوهم أني قد بلغت من السعادة ذروتها ومن الدنيا غايتها ومن الحياة متعتها، وكنت أظن أنه لا أجمل ولا أسعد ولا ألذ من حياةٍ كهذه التي أنا فيها، فما الذي ينقصني؟

لا شيء ينقصني، فأنا شاب رياضي في كامل قواي البدنية والعقلية، وعندي المال والفراغ، ولا تجمع هذه الثلاث عند إنسان «الشباب والفراغ والمال» = إلا ولّدت له السعادة!

هكذا كنت أظن، وهذا قبل أن أفيق من سكرتي وتفتح بصيرتي ويزول الغشاء عني لأدرك أنني كنت أفقد أمراً، وهو أمر عظيم حقاً.

❖ موجز مسيرتي في عالم الملاكمة

أختم هذا المقام بسرد موجز لمسيرتي الرياضية في الملاكمة وذلك لمن يمهه الأمر من هواة الرياضة، وأما من كان لا يهمه الأمر فله أن يتجاوز هذا الموجز إلى ما بعده من الفصول:

١ - **١٩٩٢**م بدأت التمرين على الملاكمة.

٢ - **١٩٩٣** مارس - فزت في بطولة.

٣ - **١٩٩٤**م حصلت على المركز الثاني في بطولةٍ على مستوى ألمانيا لمن كان دون ١٦.

٤ - **١٩٩٤**م وفي نهايته: انتقلت إلى برلين وشاركت في بطولة لمن كان دون ١٨ سنة، وحصلت على المركز الثالث، وكان معي حينها في نفس الوزن الملاكم «يوغجن بغامغ» الذي أصبح بعد ذلك بطل العالم.

٥ - **١٩٩٥**م انتصرت على بطل «بلاروسيا» وحصلت على المركز الثاني لمن دون ١٨.

٦ - **١٩٩٦**م أصبحتُ بطل ألمانيا لمن كان دون سن **١٩** عاماً، ووقع الاختيار عليّ لأكون لاعباً في المنتخب الألماني.

٧ - **١٩٩٧**م انتصرتُ في «الدينمارك» على ملاكم دينماركي وملاكم روماني أيضاً، وحصلت على جائزة «أفضل تكنيك» وكان «ميكل كسلر» مشاركاً معي في نفس البطولة الذي أصبح بطلاً للعالم، لكنه بوزن آخر.

٨ - **١٩٩٨**م توقفت عن الملاكمة لمدة سنة لم أشارك في بطولات، واكتفيت بالتدريب، لأني كنت حينها مشغولاً بالمذاكرة للحصول على الشهادة الثانوية.

٩ - بعد تخرجي من الثانوية سافرت إلى أمريكا «مدينة شيكاغو» للتدريب.

١٠ - ثم أصبحت لاعباً محترفاً.

١١ - **٢٠٠٠**م حصلت على عقد، وتدربت عند واحد من أشهر المدربين.

١٢ - بسبب عوائق صحية لم أستطع المبارزة خلال هذه السنوات «من **٢٠٠١**م إلى **٢٠٠٢**م»

١٣ - خلال مسيرتي انتصرت على بطل إيطاليا وبولندا وبلاروسيا وغيرهم، وهذا قبل أن أصبح ملاكماً محترفاً.

١٤ - انتهى عقدي بعد عام **٢٠٠٢**م وفقدت محبة هذه الرياضة، وكان ذهني مشغولاً جداً بالدين الجديد الذي اكتشفته، وبهذا تركتُ الملاكمة وقررت أن أصبح «مدرساً» لمادتي «الجغرافيا - علم الاجتماع»، كما أني علمت لاحقاً أن الإسلام ينهى عن الضرب على الوجه.

١٥ - من حيث الشهرة في عالم الملاكمة: كنت مشهوراً لمن يعرف هذه اللعبة في ألمانيا، ومشهوراً في مدينتي «كولن» لكثرة وضع صوري في وسائل الإعلام، وحين تركت الملاكمة كنت قد قطعتُ شوطاً كبيراً فيها.

❖ ما بعد الثانوية

تخرجت في المدرسة الثانوية وحصلت على الشهادة، ورجعت إلى ألمانيا الغربية، ولا أصف لك سعادتي حينها لأني سأرجع إلى بلدي الحقيقي ووطني ومسقط رأسي ومرابع صباي حيث أهلي وجيراني وأصحابي القدماء.

❖ ظهور الفنون القتالية المختلطة

لما تخرجت في الثانوية كانت الرؤية عندي واضحة فقد وجدتُ نفسي حقاً في «الملاكمة» وأحببتها من صميم قلبي، لذلك عليّ أن أبذل كل ما في وسعي كي أصبح «محترفاً» ولأجل أن أكسب المزيد من الخبرة عزمت على السفر إلى أمريكا فهي التي قدمت للعالم عمالقة الملاكمة «كمايك تايسون - ومحمد علي كلاي» وغيرهم، وهذا ما حصل.

لكن قبل سفري إلى «أمريكا» سافرت إلى العديد من الدول وحصلت أحداث غيرت في مسار حياتي الرياضية، أوجزها لكم في السطور التالية دون الخوض في التفاصيل التي قد لا تفيد كثيراً من القراء، فأقول:

من «الولايات المتحدة الأمريكية» وفي عام **١٩٩٣**م انتشرت في العالم فنون القتال المتنوع»، وبالإنجليزية: (Mixed martial arts) تُختصر في (MMA)[١].

صارت «الفنون القتالية المختلطة» هي حديث الشباب والناس، وكنت أظن أن «الملاكمة» هي أقوى فنون القتال، فإذا بي أجد في هذه الفنون ما هو أقوى وأنكى، فقررت أن ألتحق بها، فبدأت أولاً بمشاهدة «فيديوهات» لمدرب برازيلي يعلم هذه الفنون، وكنت أمارس ذلك عملياً مع زملائي ونتدرب معاً.

ومما أعجبني في هذه الفنون القتالية أنك تُعطى مساحة واسعة للضرب، فيُسمح لك بأن تضرب في كل مكان وكيفما شئت إلا إتلاف العين بالأصبع والضرب على المنطقة الحساسة وأمور محدودة جداً، الشيء الذي جعلني

---

(١) وهي رياضة قتالية مزيج بين كثير من فنون الدفاع عن النفس، وتقنيات ومهارات مختلفة، تسمح القوانين فيها باستخدام تقنيات الضربات المباشرة (Striking) والمسكات (Grappling) في وضعية الوقوف (Stand Up) أو على الأرضية (Ground Fighting)، مما يسمح للمقاتلين بالدخول للرياضة بخلفيات مختلفة عن فنون القتال.
اشتهرت جداً مبارزات الـ MMA وبدأت في **١٩٩٣** عندما تم تأسيس شركة Ultimate Fighting Championship المعروفة بـ (UFC) وهي الشركة الرائدة في العالم لهذه الرياضة، وقد تم تأسيس الرياضة سعيًا لمعرفة أكثر فن قتال تأثيرًا وفائدة لمواقف الدفاع عن النفس بدون أسلحة.
ريك بلوم (Rick Blume) هو الذي أسمى الرياضة بهذا الاسم (Mixed Martial Arts) وفي **١٩٩٥**م وبعد هذه التحديثات ارتفعت الرياضة عالميًا وحجز لها مواقع على الدفع مقابل المشاهدة (Pay-Per-View)، مثل الملاكمة والمصارعة الحرة.

انظر إلى «الملاكمة» أنها غير مشبعة لرغبتي، لذلك قلّ تعلقي وحبي للملاكمة لأنها لم تجد نفعاً في بطولة «MMA».

في عام ١٩٩٨ م سافرت إلى «هولندا» وذهبت إلى « Remco pardoel» وهو مقاتل شرس شارك في UFC وتدربت عنده بشكل مكثف «الفنون القتالية» وأحببت هذه اللعبة جداً أكثر من الملاكمة.

ثم في ١٩٩٩م سافرت إلى «فانكوفا» في «كندا» وتدربت أيضاً هناك لمدة أسبوعين عند رجل يحمل «الحزام الأسود» وحصلت على «الحزام الأزرق» عنده.

ثم رجعت إلى ألمانيا وشاركت فيMMA التي أقيمت في مدينة «هنوفا» وبارزتُ مبارزتي، كان النصر فيها حليفي.

ثم سافرت إلى «فرنسا»

وانتصرتُ أيضاً في بطولة Brazilian jiu jitsu، ثم بعد ذلك سافرتُ إلى «أمريكا».

❖ السفر إلى أمريكا

ففي عام ١٩٩٩م سافرتُ إلى الولايات المتحدة الأمريكية وتحديداً إلى مدينة «شيكاغو» ومكثت فيها شهرين، وأعطاني أبي بطاقة «الفيزا» وفي صلبها «١٠٠ ألف» ديماك «وديماك هي العملة الألمانية القديمة آن ذاك، وهذا قبل توحيد عملة أوروبا على اليورو» وهو ما يعادل الآن تقريباً «٥٠ ألف يورو» وقال لي أبي: «افعل به ما تشاء».

ولك أن تتخيل شاباً أوروبياً في أمريكا وهو يملك مبلغاً ضخماً كهذا ماذا يمكن أن يفعل به؟

ولكن من طبيعتي وديدني قبل الإسلام وبعده أني كنت رجلاً لا أحب

التبذير والإسراف، وإنما أنفق قدر حاجتي، ولا أذكر أني صرفت منها أكثر من «ألف يورو».

إذن أنا الآن في «أمريكا» وهذه هي «أمريكا» التي رسمت لنا أفلام الهوليوود عنها صورة بأنها جنة الله في أرضه، ودولة الأحلام التي يحلم بها كل إنسان في العصر الحديث، «أمريكا» التي يقفز فيها بطل الأفلام من ناطحة سحاب إلى أختها لينقذ حبيبته المخطوفة من «العصابة»، ناهيك عن الجمال الصناعي للممثلات.

الحقيقة أني تفاجأت بالواقع الذي رأيته في «شيكاغو» - على الأقل-، واقع لا يمت بصلة لما تنقله لنا الكامرات في أفلام الهوليوود.

فمثلاً: رأيت «السمنة» متفشية جداً بينهم، سواء منهم الرجال أو النساء، ورأيت فيهم جشعاً وشرهاً عجيباً في الأكل والشرب، كما أني أيضاً تفاجأت بنوع الملابس التي يلبسونها فقد كانت في نظري من سقط المتاع الذي لا يلبسه عندنا إلا الحثالة من الناس، فعجبت من رداءة ذوقهم في الملبوسات.

هذا ما انطبع لدي من خلال قربي من الأمريكيين خلال شهرين.

كان لي صديق أمريكي - يعمل شرطياً هناك- وهو الذي رتب لي أمر قدومي وكل شيء، وعشت مع عائلة أمريكية ذات أصول إيرلندية.

ولأن صديقي الأمريكي شرطي: فإني كنت أتجول معه في الأحياء والطرقات ورأيت الوجه الأسود من «أمريكا»: أمريكا الفقر والجهل والظلام والجرائم والقتل والعصابات مما يندى له الجبين، لا سيما في الأحياء التي يكثر فيها الفقراء.

وأغلب هذه الجرائم يكون سببها «المخدرات».

مثلاً: صديقي الشرطي هذا له شقيق، قتلته عصابة في شارع قريب من

سكننا - وأعرف هذا الشارع جيداً لأني كنت أجري فيه - وذلك أنهم ظنوه شرطياً فقتلوه، لأنهم يتاجرون في المخدرات، وهذا أمر طبيعي جداً في «أمريكا».

اكتسبت في هذين الشهرين خبرة لا بأس بها في مجال الملاكمة أولاً، وفي التعرف على أناس مختلفين عني ثانياً، وهذا أمر مهم لكل باحث ومثقف أن يطلع على اختلافات البشر وتنوعهم.

❖ الرجوع إلى ألمانيا

بعد ذلك رجعت إلى ألمانيا لأجد نفسي مخيراً بين نوعين من الخدمة: إما أن ألتحق «بالخدمة العسكرية» أو «بالخدمة المدنية» وهذا القانون خاص بكل شاب يتخرج من الثانوية أن يختار واحداً من ذينِ، ولا يشمل النساء، وإذا اختار الشاب الخدمة «المدنية» فإنه مطالب أن يعلل رفضه للعسكرية بعذر مقبول، وتمتد مدة الخدمة المدنية هذه من ١٠ إلى ١١ شهراً

تقريباً، إذن نستطيع أن نقول إن التجنيد كان وقتها إجبارياً، فإن أبيتَ الدخول فلا بد من أن تُعلل الرفض لتدخل البديل الآخر، أما الآن فالقانون تغير: فلا يوجد إلزام بشيء اطلاقاً، وهناك محاولات لإعادة تفعيل هذا القانون من جديد.

بالنسبة لي لم أكن أريد الدخول في «التجنيد» لأسباب عديدة: لكن أهمها أنني كنت طول السنوات الخمس الأخيرة - كما شرحتُ - بعيداً عن أهلي ومدينتي، ونلتُ كفايتي من الغربة، واكتسبت خبرات لا بأس بها في شتى مجالات الحياة، وكونت علاقات مع أصناف وأجناس من الناس، فلو أني دخلت «التجنيد» سأضطر أن أتغرب مرة أخرى عن أهلي، وهو أمر مزعج لكل شخص، فالإنسان بفطرته يحب مدينته التي نشأ فيها.

إذن قررت الدخول في «الخدمة المدنية» وعملت مع «الصليب الأحمر»

ووجدتُ نفسي مع مجموعة من الشباب نقوم بأعمال إنسانية كتوزيع الطعام على العجزة وكبار السن الذين يعجزون عن الطبخ وعن جلب طبّاخ يطبخ لهم، فكنا نتجول يومياً في مختلف مدن ألمانيا لهذه المهمة.

ولا أخفي عليك أن هذه المهمة والشهور التي قضيتها في «الخدمة» أثرت فيّ جداً، وكنت كثيراً ما أتأمل في أحوال هؤلاء الذين وصلوا إلى أرذل العمر وقد تخلى عنهم أقرب الناس إليهم من أبنائهم وبناتهم فضلاً عن إخوانهم وأخواتهم، ويعيشون في جو كئيب مظلم موحش وفي عزلة تامة عن العالم، فلا أحد يزورهم أو يسأل عنهم، وكم كنت أتأثر حين كنا نقدم الطعام لأحد منهم فيلحُ علينا أن نجلس معه قليلاً ونتحدث معه ونسليه ببعض الأحاديث، إنهم يعيشون حالة من التسخط على كل شيء والتذمر وعدم الرضا من الحياة والناس.

بسبب تقدم السن بهم تجد كثيراً منهم مصاباً بأمراض مزمنة، أذكر أني زرت مرة امرأة عجوزاً تسكن في بيت كبير جداً وكانت تعاني من عدم التحكم في قضاء الحاجة - أجلكم الله - فلما دخلتُ بيتها لم أطق الرائحة القبيحة التي كانت تلمؤ أرجاء البيت، وتعجبت كيف لها أن تعيش في مكان كهذا؟ ولكن ماذا تفعل وقد تخلى عنها الجميع ولا خيار آخر لديها؟

رجل عجوز آخر كنا نزوره وكان مصاباً بمرض عضال وهو «التصلب المتعدد» MS أقعده عن الحركة، ولا يستطيع حتى الذهاب إلى موضع قضاء الحاجة، يقضي يومه وحيداً في مشاهدة التلفاز وشرب «البيرة».

وأمثال هذه المشاهد التي شهدتها خلال فترة خدمتي: هزتني هزاً عظيماً، وكنت أقول لنفسي:

في يوم من الأيام سيكون هذا مصيرك يا «بيير».

في يوم من الأيام سيتخلى عنك الجميع وستكون عبئاً ثقيلاً عليهم.

سيفضلون العناية بالكلاب على العناية بك لأنه أقل تكلفةً ومشقةً منك.

ما الذي يجعل أولادي يهتمون بي، ويضحون بأوقاتهم وطاقتهم لأجلي؟

إذا كانوا لا يرجون جزاءً ولا حساباً ولا بعثاً ولا نشوراً ولا لله وقاراً فلماذا سيهتمون بي؟

الحياة مادة، ومصالح شخصية، ومنافع ذاتية، ما الذي يستفيده الإنسان مادياً حينما يرعى أباه أو أمه إذا بلغا عنده الكبر!؟

لا شيء...

بل مجرد هم وغم ووجع رأس ومسؤولية وتضييع أموال ونفقات، علاوةً على ذلك: عليك أن تتحمل أخلاقهم الوعرة وتصرفاتهم الأشبه بالصبيانية وتذمراتهم المستمرة، وتسخطهم الدائم عل كل شي.

إذن النتيجة الحتمية هي أن ينجو الولد برأسه من هذا الهم المزعج، تماماً كما فعل أبوه مع جده، فكما تدين تدان.

على كل حال:

كنت في النهار مشغولاً بالخدمة المدنية هذه، وأما في المساء فإني كنت أتدرب عند مدرب مشهور جداً على مستوى ألمانيا يدعى «أولي فيكناغ»، وفي نفس المكان الذي كنت أتدرب فيه تعرفت على «توغستن ماي» وهو حائز على الوسام الذهبي في «ألومبيات - برشلونة» عام **١٩٩٢** م، والحصول على الوسام الذهبي في لعبة كهذه هو أصعب شيء على الاطلاق وهو أصعب من أن تصبح بطلاً للعالم في الملاكمة، لذلك كان يُعد قدوةً لي، فهو قدوتي في ألمانيا، و«مايك تايسون» قدوتي في أمريكا، وكان الألمان يضعون آمالاً كبيرة على «ماي» بأن يكون بطلاً كبيراً، كان ملء السمع والبصر حينها، لكن الذي حصل أنه انهزم هزيمة نكراء في إحدى المبارزات، هزم هزيمة جعلت

سمعته تنحط إلى الحضيض الداني وبدأ نجمه في الأفول، وصار بعض الناس يلمزونه ويزدرونه بعد أن كان محبوب الجماهير والبطل المرتقب.

وهذا الحدث هزني كثيراً!

إنّ إسلامي لم يكن وليد لحظة، وإنما كان نتيجة مجموعة من الحوادث التي مرت بي في حياتي فجعلتني أتأمل في حالي وحال الدنيا والناس، ثم قادتني هذه التأملات إلى البحث ومنها إلى الإسلام كما سيأتي تفصيله في محله إن شاء الله.

كثير من الناس حين يرون من يشهر إسلامه وينطق بالشهادتين بعد حضوره لمحاضرة في مسجد: يظن أن هذا الرجل إنما أسلم بسبب حضوره لهذه المحاضرة وأنه ارتجل قرار إسلامه الآن.

وهذا غير صحيح، بل يندر جداً أن يحصل هذا، لا سيما عندنا معشر الغربيين، فقرار كهذا لا يمكن أن يكون ارتجالاً وإنما يكون بعد مدة طويلة من التأملات والبحث والنظر والتفكر التي تأتي بعد أحداث معينة ثم يكون قرار الإسلام في الوقت الذي كتبه الله وبتوفيق الله وهدايته.

من يمكن أن يتصور أن حدث «هزيمة لاعب» قد يؤثر في شخص آخر فيجعله يسلم بعد رحلة بحث طويلة ليصبح واحداً من أشهر الدعاة إلى الإسلام في ألمانيا؟

لكنها أقدار الله العجيبة...

وإذا أراد الله شيئاً هيأ أسبابه، وجعل من الأسباب التافهة والحقيرة أحداثاً عظيمة، وتعجبني هنا كلمة عظيمة للمرحوم «ملكوم إكس» يقول فيها «الأحداث الصغيرة هي التي تصنع التاريخ».

أقول: لقد هزني حدث هزيمة هذا اللاعب: لأني رأيت بعيني كيف

اختلف تعامل الناس معه قبل هزيمته وبعدها، وكنت أقول لنفسي: ماذا تريد أن تصل إليه أنت في حياتك؟

تريد أن تكون بطلاً ومحترفاً ومشهوراً وتجمع مالاً؟

ثم ماذا؟

ثم لن تلبث أن تهزم يوماً ما أو تصاب بإصابة أو تهرم، فيصبح كل ما حققته من بطولات وانتصارات لا قيمة لها عند الناس،

ألهذا أجهد نفسي وأبذل الغالي والنفيس وأسافر يمنةً ويسرةً؟

رجل يتدرب معي في نفس المكان وحاز على الوسام الذهبي ونال شهرة واسعةً ومنزلة عظيمة لمدة ٨ سنوات، ثم لأجل هزيمة نكراء واحدة ينسف الناسُ تاريخه المشرق نسفاً!

هنا بدأت تعشعش في رأسي أسئلة ضخمة أقضت مضجعي، وبدأت أسأل نفسي جملة أسئلة أبرزها كان السؤال الذي يشغل ذهن كل إنسان عاقل على وجه البسيطة ألا وهو:

«ما هي الغاية من حياتنا»؟!

من أين جئنا نحن وماذا نفعل هنا وإلى أين سنذهب؟! إنها أسئلة الوجود العظيمة التي تلح على كل إنسان عاقل؟

أنا الذي قضيت كل حياتي في الرياضة والعناية بجسدي وقوتي، أنا الذي كنت أرى أن الحياة هي الرياضة، والرياضة هي الحياة: بدأت أشك كثيراً بل بدأت أستوعب الآن أن الرياضة والملاكمة ليست كل شيء.

أن الشهرة والمال واللهو واللعب ليس آخر المطاف، وأن كل هذه الأشياء ستزول وسأواجه مصيري المحتوم وحدي إما هرمٌ ووحدة وإما موت مفاجئ.

إذن هذان الحدثان وهما:

١ - التحاقي بالخدمة المدنية.

٢ - وهزيمة هذا اللاعب الألماني.

هما الحدثان الأبرزان الذان قاداني إلى أن أقف مع هذا السؤال الأعظم:

ما هي الغاية من حياتنا؟!

❖ قصتي مع المسلمين

لا أخفي على القارئ أني كنت أبغض المسلمين، ليس بسبب الحرب الإعلامية الممنهجة ضدهم والمستمرة إلى الآن، إذ لم يكن يهمني كثيراً ما ينشر في الإعلام عن المسلمين، بل كنت أكرههم بسبب السمعة السيئة التي ترسخت في ذهني من أجل سوء أخلاق بعض المسلمين، وأستطيع أن أرجع هذا الكُره إلى سن المراهقة، أي من **١٢** إلى **١٤** سنة وذلك أني كنت حينها أمارس «كرة القدم» في بعض الأندية، وأكثر ما تجد العرب في هذه اللعبة لأنها اللعبة الأشهر عندهم، وأقولها بكل صراحة وأسف كانت سمعة الأتراك - والذين يشكلون غالبية المسلمين- والعرب عندي سيئة، وذلك بسبب كثرة مشاجراتهم ومشاغباتهم وخصوماتهم، وآسفٌ جداً أن أخص منهم جنسيتين هما من أكثر الجنسيات وجوداً في «ألمانيا»، وهما: الأتراك والمغاربة «والمغاربة كثيرون في منطقتي، وقليلون في عموم البلد»

ولا أحتاج أن أقول إن هذا لا يعني الإساءة إلى هذين البلدين المسلمين العظيمين ولا إلى كل الشعوب العربية، بل إني أعني طائفة معينة لم تتخلق بأخلاق العرب ولا المسلمين للأسف الشديد، وهذه الشريحة التي كانت تحدث المشاكل لا تمثل إلا نفسها، لا تمثل الإسلام ولا المسلمين ولا حتى العرب.

مهما يكن من شي:

فبعد أن تركت «كرة القدم» وتعمقت أكثر في «الملاكمة» تعرفت على نماذج من المسلمين كانت رائعة ومختلفة جداً عن الذين رأيتهم في «كرة القدم»،كانوا من دول شتى: مغاربة وأكراد وتوانسة وبوسنيون وغيرهم، الأمر الذي غيّر نظرتي جداً عن المسلمين والعرب، كما سأشرح ذلك بالتفصيل قريباً.

كنت مرةً أتجول في الشارع -وعمري واحد وعشرون- فرأيت أناساً يوزعون «مطويات تعريفية» علمت وقتها أنهم مسلمون، وكانت المطوية مختصرة جداً، عبارة عن ورقة واحدة، ما علق بذهني الآن مما في تلك الورقة أنه جاء فيها:

«الإسلام ليس بدعاً من الرسالات، فهو تكميل للرسالات السابقة التي أنزلها الله تعالى على البشرية، ويمثل الإسلام «التحديث الأخير» «final update» لهذه الرسالات بسبب تحريف البشر لها، فالإسلام آخر الأديان ومحمد ﷺ هو آخر المرسلين» وكلام مثل هذا.

كان موقفي حينها من هذا الكلام أنه كلام جيد وجميل، ولكنّي لست ملزماً باتباعه، بمعنى: ليس هناك دعوة صريحة في هذا الكلام إلى اعتناق الإسلام، فتعاملت معه على أنه من قبيل الفكرة الجميلة فحسب.

ثم إني التقيت في فترة «الخدمة المدنية» برجل من حزب عنصري صغير معادي للإسلام:

فسألته ما أهدافكم؟

فقال: نحن هدفنا محاربة الإسلام في ألمانيا لأنه دين متطرف ويناقض ثقافتنا وعاداتنا وحياتنا، وراح يسرد علي الكثير من المطاعن والشتائم عن الإسلام والمسلمين.

لم يعجبني كلامه في الحقيقة، وكنت أدافع عن الإسلام وأرد عليه لأن لي أصحاباً مسلمين وكانت علاقتي بهم جيدة.

وسبحان الله العظيم بعد لقائي بهذا الرجل المعادي للإسلام وقع في نفسي أنه لا بد أن أطلع على كتاب المسلمين المقدس، ليس بهدف أن اعتنقه، ولكن من باب المعرفة فحسب.

وهكذا كثير من هؤلاء الذين يريدون أن يخوفوا الناس من الإسلام ويحذروهم منه: يحصل لهم نقيض قصدهم، إذ إن كثيراً من الغربيين غافلون عن الإسلام ولا يخطر ببالهم، فيأتي رجل مثل هذا ويفتح أعينهم عن أمر كانوا في غفلة عنه، ثم لا يلبثون أن يقرؤا عن هذا الدين من باب الفضول والاطلاع فيُسلمون!

❖ قصتي مع القرآن

لاحظتُ في المسلمين أمراً عجيباً ما رأيته عند أحد، وهو هذا الإجلال والتعظيم والتقديس والمهابة لكتابهم المقدس «القرآن»، كان هذا الأمر يشد انتباهي جداً، وكنت كثيراً ما أسمع بهذا الكتاب على ألسنة أصدقائي المسلمين، سواء كان في الأندية الرياضية أو غيرها، فتجد أحدهم إذا حلف يحلف بالقرآن، وإذا رآه في مكان قبّله وحنى جبهته له، وقد يتقبل من النصارى كل نقد عن الإسلام إلا حين يكون النقد فيه إهانة لشخص الرسول ﷺ أو لذات القرآن الكريم، وكنت أسمع من بعض أصدقائي المسلمين التهديد والوعيد لكل من يتعرض للقرآن بسوء.

والعجيب أن هذا التعظيم الذي رأيته من الذين أعرفهم من المسلمين كان من أناسٍ أبعد ما يكونون عن الإسلام من حيث التطبيق، ففيهم من لا يصلي ومن يرتاد المراقص ويشرب الخمر وغير ذلك، ولكن إذا ذُكر عنده القرآن انتفض.

إذن لهذا كله وبعد لقائي بذاك الرجل المحارب للإسلام: عزمت على قراءة هذا الكتاب، لأعرف ما الذي فيه كي يُحدث كل هذه الضجة ويجعل أتباعه يعظمونه هذا التعظيم، أتباعه الذين يصل عددهم الآن المليار ونصف أليس جديراً بأن أطلع عليه؟

وعلى ذكر أصدقائي المسلمين جدير بالذكر أن أذكر أخاً مسلماً أصبح لاحقاً من أشهر الناس على مستوى العالم في رياضة الملاكمة، وأعني به الأخ عدنان، الشهير بفيليكس شتورم، وهو من أصول بوسنية، كان زميلاً ومن أقرب الأصدقاء لي وتجمعنا الملاكمة، وكان في عام **٢٠٠٠**م يستعد للأولمبيات في سيدني Olympic Games وشارك فيها، وكنا نسافر معاً ونسكن في غرفة واحدة، صحيح أنه لم يكن آن ذاك يمارس شعائر الإسلام عملياً كالصلاة إلا أني تأثرت من حبه الشديد للإسلام وتعظيمه للقرآن، ولا أنسى انفعالاته الشديدة حين يسمع أحداً ينتقص من القرآن أو الإسلام علماً أنه الآن قد تحسن حاله وصار يصلي بحمد الله.

هناك مواقف قصيرة صغيرة تمر بحياة الإنسان فيخزنها العقل في الذاكرة ومع تراكم المواقف المشابهة لها تعطيك النتيجة، ومن تلك المواقف:

أني كنت مرة مع الأخ عدنان «فيليكس» في مرقص من المراقص، وكان وقتها وقت عيد «الكريسميس» فجاءته شابة وهنأته بالعيد بكل لطف قائلة له «Merry Christmas» فرد عليها بكل حزم وشدة قائلاً «أنا مسلم لا أحتفل بهذا العيد».

امتعضت البنت من رده وأسرتْ إليّ قائلة «لماذا يكلمني بهذه الطريقة؟!»

نعم هو في مرقص، نعم هو لم يكن حينها يحافظ على الصلاة - والآن يحافظ – نعم هو يرتكب أموراً كثيرةً مخالفة للإسلام، ولكنه يبقى في النهاية مسلماً.

له جذوره وتاريخه ومبادئه العامة، يبقى في قلبه حب وتعظيم لربه ولرسوله ﷺ، وبقايا من التدين الموروث، وهذه البقايا التي لا تكاد تُرى: هي التي أثرت فيّ.

لذلك أنا أقول إن مخالطة غير المسلم بالمسلمين تؤثر جداً تأثيراً غير مباشر ولو كانوا غير متدينين، فكيف لو كانوا متدينين يعملون بدينهم؟

بل أذكر لك ما هو أعجب من ذلك:

كنت مرة مشاركاً مع المنتخب الألماني في بطولة بإيطاليا عام **١٩٩٦**م وكنت مع رجل شيعي اسمه «خضر ظاهر» وهو لبناني، وكان قريباً جداً مني، ورغم جهله بحقائق الإسلام إلا أنه كان يغضب جداً إذا سمع من ينتقص من الإسلام، وكان يقول لي «إذا نزلت بي المصائب فإني أتجه إلى الإمام علي» وقال لي أيضاً «إذا أردتَ أن ينصرك الله على خصمك في المبارزة فاقرأ هذا الدعاء الذي كتبته لك في ورقة»، وكتب لي فيها: «يا إمام يا علي» وأذكر أني قلتُ ذلك في إحدى المبارزات، وبطبيعة الحال لم أكن أعلم حينها أن هذا يتعارض جذرياً مع دين الإسلام الصافي، بل إني أصلاً لم أكن أعلم معنى تلك الجملة التي كتبها لي الشيعي، ومرادي من القصة أني حقاً تأثرت من الحس الديني الذي فيه - بغض النظر عن تلبسه بباطل - لكني تأثرت جداً من حبه لدينه وتمسكه به في أحلك الظروف، وما زلت أذكر كيف كان يأخذ قطعة من الآيات ويمسك بها في يده أثناء المبارزة مستمداً منها البركة والقوة، وما أدركت معنى هذا كله ولا تفاصيل الفرق بين «السني» و«الشيعي» إلا بعد أكثر من عشر سنوات، وفي تلك الحقبة - أعني منتصف التسعينيات - لم تكن هناك حساسية كبيرة بين الطائفتين، فلم نكن نسمع مثلاً من يقول «هذا سني» أو «هذا شيعي» بل كانوا يقولون «هذا عربي» أو «هذا مسلم» وهكذا.

كان هذا اللبناني الشيعي يبغض اليهود بغضاً شديداً، وكان ينتقد بشدة

اللاعبين العرب الذين كنا نراهم يلعبون مع المنتخب "الإسرائيلي" وكان يعد ذلك خيانة عظيمة.

من أصدقائي المسلمين أيضاً: صديق تونسي اسمه «سيف» تعرفت عليه في «كولن» عام ١٩٩٣م تقريباً وكان يساعدني كثيراً، ويقف بجانبي، أذكر أنه لما كنت في الـ ١٦ من عمري ذهبت إلى مرقص من المراقص، وحصل بيني وبين بعض الأتراك مشكلة ما، وكان عددهم كبيراً - يزيد على عشرة - فاستفزوني وأرادوا ضربي، وكنت وحيداً في المواجهة معهم، إذ كان الذين معي لا يحسنون صنعاً في المضاربة، فقام أحدهم ودفعني بقوة دون سبب، ثم شرع يضربني، وكنت وقتها قد قطعتُ شوطاً في فنون الملاكمة، فرددت له الصاعَ صاعين وأوجعته ضرباً فهجم عليّ كل أصحابه، ولكثرة الأيدي التي كانت تمتد إلي للضرب لم يتمكنوا من ضربي جيداً بسبب اختلاط الأيدي واختلاط الحابل بالنابل، فكلما هم أحدهم بضربي اعترضه صاحبه أمامي، وكنت - وما زلت - لا أعرف للخوف معنى فقاتلتُ بكل شرف وقوة، تدخل حراس المرقص وفضوا النزاع الذي أسفر عن ضربة في رأسي من جهة الخلف، وأصبت عين خصمي إصابة بالغة، خشي الحراس أن يتطور الأمر فأوصلوني إلى بيتي، وأنا كلي غيظ وغضب وحنق على هؤلاء الأتراك، ولم أخبر أبي بالأمر وبيّت النية على «الانتقام» منهم بأي طريقة، لأني إن أخبرتُ أبي كان ذلك اعترافاً ضمنياً بضعفي وقلة حيلتي، فقررت الاستعانة بأصحابي المقربين، وكان سيف التونسي هذا قريباً مني، فكلمته بالأمر كي يجمع كيده وشركاءه ويأتوا صفاً لمنازلة الأتراك، وأصحابه خليط من العرب والألمان، وجمعنا العدد المناسب بمعونة سيف هذا، لقد استفسرنا عن المرقص الذي كان في الأصل عبارة عن «نادٍ شبابي»، ولكنه يُحول إلى مرقص مرة في عطلة الأسبوع، وعلمنا أن "الفعالية" قد أُلغيت، ولم يأتِ الأتراك، ولعل خبر جمع الصفوف قد بلغهم فخافوا، ثم جاءت عطلة الصيف، وانتقلت إلى «برلين» كما تقدم، وخمدت النار.

فالشاهد من هذه القصة أن سيفاً التونسي كان يحبني جداً ويقف معي دائماً، واستمرت علاقتي معه متينة حتى بعد سفري إلى «برلين» حيث كنت ألتقي به كلما رجعت في العطلة إلى مدينتي «كولن»، وكان لسيف هذا تأثير غير مباشر عليّ من حيث إعطائي صورة حسنة للمسلمين مع أنه لم يكن يمارس دينه عملياً ولكني أقصد من حيث صدق المودة والنجدة والإغاثة والمعاونة، ولستُ أدري ماذا فعلت الأيام الآن بسيف، وإلى ماذا آل أمره الآن، وليس بيننا تواصل للأسف.

ولولا مواقف سيف البطولية معي لكنت اعتقدت أن العرب كلهم سيئون، ولكن بعد سيف وأمثاله، بدأتُ أدرك حقاً أنهم ليسوا سواءً.

كذلك من أصدقائي المسلمين:

صديقي التركي «جنكيز كوتش» وكان بطل العالم في لعبة «الكيك بوكسنك» التقيت به في عام **١٩٩٧**م وهو رجل طيب جداً إلى أبعد الحدود، ومع شجاعته وقوته البدنية إلا أنه لطيف جداً ومهذب، يخيل إليك إن رأيته أنه رجل عدواني ومتوحش ولكن إن عرفته من قرب ستجده من ألطف ما يكون، وأيضاً لمستُ فيه حباً للإسلام والمسلمين.

كذلك:

في عام **١٩٩٨**م التقيت بأحد أبطال «MMA» المشهورين، وهو «عزيز كارا وجلو» وهو أيضاً تركي فاضل وطيب جداً محب للإسلام والمسلمين ومحافظ على الصلاة، وقد امتدت علاقتي معه وقويت منذ تلك السنة المذكورة إلى وقت كتابة هذه السطور.

كذلك من الأصدقاء المسلمين لي تلك الفترة: الأخ فاتح وهو تركي، والأخ «خالد عرب».

كان لي صديق مسلم تركي اسمه «آدم» قال لي مرة وأظن هذا كان عام

١٩٩٧م «أريد الزواج من امرأة ألمانية وأتمنى أن تسلم علي يديّ، لأنه إذا دخل شخص بسببي إلى الإسلام فإني أدخل الجنة» هكذا قال لي.

وهو يقصد بذلك الأجور العظيمة المترتبة على هداية شخص إلى الإسلام.

لقد تعجبت من كلامه وأعجبتني فكرة الحضور الديني في حياة المسلمين، واستشعار الثواب الأخروي من نعيم الجنة، والحرص على الحسنات وهداية غيرهم.

وهؤلاء الأصدقاء المسلمون كانوا جداً لطيفين معي ومهذبين ومحبين وعادلين ومنصفين إلى حد كبير.

وهناك رجل أيضاً جدير بالذكر اسمه «فردات» يلعب «آيس هوكي» وهو إيراني الأصل لا علاقة له بالإسلام إلا بالاسم، وهو من مدينة «هومبرغ» والتقيت به في «برلين»، وأستطيع القول إنه كان من أفضل أصدقائي وكنت أزوره في بيته حيث تسكن معه أمه الشيعية وأسرته، كانت أمه تكرمني غاية الإكرام وتعاملني معاملة راقية جداً، وكانت تحب دينها وتأثرت بتدينها هذا، وقد أهدتني - بعد إسلامي - كتاباً من منشروات المركز الإسلامي الشيعي في «هومبرغ».

لقد انقطعت علاقتي بفردات لسنين طويلة.

كذلك من الأشخاص المسلمين المهمين الذين كانت تربطني بهم علاقة قوية وهو أول من دربني على «الملاكمة» في «كولن» رجل فلسطيني اسمه «خالد خطيب» ومشهور بلقب «رامي» وهو أيضاً لم يكن يعمل بدينه، ولكنه كان يتعامل معي بأخلاق جيدة.

وغيرهم كثير ممن هم غير مشهورين في عالم الرياضة، وإنما نصصت على هؤلاء المذكورين إما لشهرتهم في العالم الرياضي وإما لشدة قربهم مني وتأثيرهم علي.

كانت علاقتي بهؤلاء المسلمين هي مجرد صداقة لم يكونوا يتدخلون في ديني والعكس أيضاً صحيح، لم نكن في تلك الفترة نتحاور بيننا حوارات دينية إذ لم يكن الدين أصلاً محور اهتماماتنا، بل كانت اهتمامتنا كلها إما في الرياضة أو النساء والمراقص ونحو ذلك من الشؤون الدنيوية، وهم أنفسهم - أعني أصدقائي - لم يكونوا يملكون الأدوات التي تمكنهم من دعوتي بطريقة مباشرة أو تمكنهم حتى من شرح دينهم بصورة واضحة ففاقد الشيء لا يعطيه.

لذلك أحب أن أقول كلمة مؤلمة:

إنّ ملايين المسلمين الذين ينتشرون الآن انتشاراً كبيراً في عموم أرجاء أوروبا لا أقول لو كانوا دعاةً - فهذا أمر غير واقعي أن نطالب الكل أن يكونوا دعاةً - بل أقول لو التزموا فقط بدينهم العظيم وأخلاق الإسلام السامية الرفيعة الجليلة التي أجزم جزماً بأنه لا يوجد دين ولا دستور ولا قانون ولا منظومة فكرية ولاتيار: يتمتع بالصفات والأخلاق المنصوص عليها في نصوص القرآن والسنة، فلو أن المسلمين عملوا بدينهم في أنفسهم فقط وتحلوا بأخلاقهم العظيمة حتى دون أن يمارسوا الدعوة المباشرة للناس = لرأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً،فكيف إذا مارسوا الدعوة التي لا بد منها؟ - لأن الأخلاق وحدها لا تكفي- ولكنهم مع الأسف الشديد في أوروبا - أقولها بكل مرارة وأسف - هم غثاءٌ كغثاء السيل - إلا من رحم الله - هَمُ الواحد منهم لقمته وتأمين عيشه أو الحصول على الجواز الأوروبي أو التزوج بامرأة ألمانية ليضمن استقراره وبقاءه إلى آخر تلك المصالح الشخصية الدنيوية،وقليل من يفكر في هداية الإنسان الأوروبي مع شدة حاجة الأوروبين إلى الدين الحق في ظل الخواء الفظيع الذي يعيشونه بلا دين ولا غذاء روحي.

لذلك لو أن واحداً من أصحابي المسلمين هؤلاء - والحمد لله على قضاء الله وقدره- دفع لي كتاباً واحداً عن الإسلام، أو دعاني قليلاً بما

يملك من معلومات لأظن أني أسلمت قبل «إسلامي الفعلي» بكثير، ولكن الحمد لله على كل حال.

ولك أن تتخيل أنه بسبب هؤلاء المسلمين الذين كانوا بعيدين جداً عن الإسلام إلا أنهم كانوا سبباً غير مباشر في أن أبحث عن حقيقة هذا الدين، فكيف لو كانوا يعملون به واقعاً؟!

لقد كان تأثير هؤلاء غير المباشر عليّ إلى درجة أنه جعلني أعيد النظر في أحكامي المسبقة على بعض القضايا:

أولاً: من ناحية موقفي من المسلمين وبغضي لهم، فقد اختلفت نظرتي إليهم وتبين لي أنهم ليسوا سواء.

ثانياً: فيما يتعلق ببعض القضايا المتعلقة بمظهر المسلمين، فمثلاً «قضية الحجاب أو النقاب» كنت في الحقيقة أبغض منظر المسلمة المحجبة جداً، وكنت أراه - كما قال ذلك العنصري - مخالفاً لما اعتدنا عليه ومخالفاً لثقافتنا الغربية، وكنت أصدق ما تقوله الدعاية الإعلامية الغربية أنهن يلبسنه مجبراتٍ مكرهاتٍ، وكنت أقول: «نحن في ألمانيا ولسنا في إسطنبول كي نرى هذه المناظر»! ثم تغيرت نظرتي هذه كثيراً بسبب أصحابي المسلمين الذين أشك أصلاً في قناعة بعضهم بالحجاب: ولكني لشدة حبي لهم أصبحت لا أكره الحجاب ولا أتوجس منه.

❖ **أعود مرة أخرى إلى قصتي مع القرآن:**

كما أسلفتُ، فقد قادني الفضول وشتم ذاك الرجل للإسلام والقرآن - في فبراير أو مارس سنة **٢٠٠٠**م - أن أقرأ هذا الكتاب المثير للجدل، فأحكم بنفسي عليه، وقد كان عمري حينها **٢١** سنة، فأنا على كفاية من النضوج العقلي والفكري الذي يؤهلني لتمييز الحق من الباطل، وقد كنت في تلك السن والمرحلة أفكر كثيراً في «الغاية من حياتنا» فقد كان هذا السؤال

يشكل هاجساً كبيراً لي، ويشغلني جداً، كنت أخاف أن يكون مصيري كمصير العجزة والمسنين الذين كنت أخدمهم في «الخدمة المدنية»، فأتخيل نفسي بعد خمسين سنة شيخاً عجوزاً وحيداً كئيباً منطوياً على نفسه، قد تخلى عني الأهل والأحباب والأصحاب، أصارع الأمراض والموت وحدي!

كان شعوراً مزعجاً...

أردت أن أعرف كيف أكون سعيداً مدى الحياة؟

أنا لا أريد سعادة مؤقتة جزئية لحظية وهمية كالسعادة التي يتخيلها أصحاب اللهو والفسوق، ثم يعودون إلى حياتهم المملة الكئيبة بعد فراغهم من نشوتهم ولهوهم، بل أريد سعادة حقيقة دائمة !

في سبيل الوصول إلى هذه السعادة المتصفة بهتين الصفتين «الحقيقة والدوام» بحثت كثيراً وفكرتُ كثيراً وتأملت كثيراً، وكان من ضمن رحلة البحث والقراءة أن أقرأ في الكتب السماوية، والتي من ضمنها «القرآن الكريم» لعلي أجد فيه جواباً على كل أسئلتي ومن ضمنها السؤال الأعظم «ما الغاية من حياتنا»؟!

❖المصحف في بيتنا[1]

وجدتُ نسخة من القرآن عند أختي - وكانت حينها غير مسلمة - وذلك أنه كان لأختي معارف من المسلمين وقد أهدوها هذا المصحف فجاءت به ووضعته في بيتنا.

وأنا إلى يومنا هذا لا أعرف من أعطاها المصحف ولا اسمه، ومن أعطاها

---

(١) قرأت ترجمة معاني القرآن قبل إسلامي ثلاث مرات، لأني حصلت على القرآن ثلاث مرات، مرة من أختي «ترجمة مستشرق ألماني اسمه غودي باغت وهي ترجمة قديمة جيدة، ومرة من صديقتي «ترجمة قاديانية»، ومرة من صديق: لمترجم مسلم.

هذا المصحف لم يكن يعلم أن هذا الكتاب سيغير مجرى حياتي وسيُسلم بإسلامي عدد لا يعلمهم إلا الله سبحانه، نسأل الله أن يجعلنا من المخلصين.

قرأت القرآن كاملاً من الفاتحة إلى الناس، واستغرق مني ذلك قرابة الأسبوعين، قرأت القرآن بحضور قلب وتأمل وتدبر وتفكر، ولم تكن قراءة جرد وسرد، بل بذهن حاضر وتفهم، وكنت كلما مرت بي آية فأشكل عليّ معناها أو استغلق علي فهمها أو كانت تتضمن شبهة = وضعتُ عليها خطاً أو علامة استفهام كي أبحث.

لما ختمت المصحف بهذه الطريقة دخل اليقين في قلبي بأنه يوجد إله عظيم خالق لهذا الكون، وزال من قلبي الشك في الربوبية، نعم لم أُسلم، لكن بتُ على يقين أن وراء هذا الكون خالقاً عظيماً.

هذه النتيجة العظيمة التي وصلت إليها خلال فترة قصيرة من قراءة القرآن اعتبرتها خطوة مهمة وفيصلية في حياتي، وشعرت براحة عظيمة وسكون دافئ وطمأنية قلب، ولا يعرف قيمة هذه النعمة إلا من عاش في جحيم الشك.

بعد حادثة القسيس التي قصصتها عليكم صار عندي شك في كل شي يتعلق بالدين، أما النصرانية فقد جزمت ببطلانها حينها بل صرت أشك في كل الأديان، ثم صرت - بطبيعة الحال - أشك في وجود الخالق نفسه.

والشك أمرٌ مؤلم جداً لا يعرفه إلا من عاشه، أن تكون لا تدري هل لهذا الكون إله أم لا؟ هل هناك حياة بعد الموت أم لا؟ هل هناك حساب وعذاب ونعيم وجحيم أم لا؟ أن تعيش في حيرة وقلق وشك وتذبذب = هذا كله لا شك عذاب نفسي قد يفوق العذاب الجسدي.

ولتعلم أن أغلب الملاحدة ليسوا جازمين بإلحادهم بل هم قوم يشكون، وبعضهم يرجح فقط عدم وجود إله، والذين يقولون نحن نقطع بعدم وجود الخالق فغالبهم يكذبون في ذلك.

فهذا «ريتشارد دوكنز» الذي يعد من أشهر منظري الإلحاد في عصرنا الحديث وله مؤلفات ومناظرات في ذلك، لما سأله المذيع في لقاء مرئي ما نسبة عدم وجود إله؟ فقال «٩٩٪!» فلما أحرجه المذيع وقال له كيف حددت هذه النسبة؟ ولماذا ٩٩٪ وليس ٩٧٪ مثلاً؟ فقال متلكئاً «عموماً هو أكثر من ٥٠٪!»[(١)].

وإذا أخذنا برأيه الثاني الذي رجع إليه فهذا يعني أن إمام الملاحدة في العصر الحديث يرى احتمالية وجود إله بنسبة ٥٠٪ ! بعبارة أخرى فهو يشك فحسب وليس جازماً، فالشك كما هو معروف لدى علماء المنطق والأصول هو استواء الطرفين.

فلا تصدق الملحد حين يقول لك أنا على يقين من إلحادي ولو حلف لك بالطبيعة.

ومن طرائف الملحدين أن رجلاً ملحداً أعرفه كان يتظاهر بيقينه في الإلحاد ويتهجم كثيراً على المؤمنين ويسخر منهم ويصفهم بالجبناء والضعفاء، والمثير للسخرية والضحك أنه لما ماتت قطةٌ له – وكان يحبها كثيراً - كتب على الفيس بوك يقول: «إني لأرجو لقطتي أن تكون في الجنة!»

هكذا هم...

يلحدون في الرخاء، ويصرخون «يا الله» عند البلاء والضراء !

على كل حال...

فقد تجاوزت المرحلة الأولى فأصبحت الآن مؤمناً بوجود الله، وهذه هي الخطوة الأولى والأهم للوصول إلى الدين الحق، وقد فرحتُ بهذه الخطوة فرحاً عظيماً، وتغيرت نظرتي للحياة.

---

(١) انظر المقطع في اليوتيوب بعنوان «كبير الملاحدة ريتشارد دوكنز يعترف باحتمال وجود إله»

وإنما لم أسلم حينها لأني وجدت في القرآن أموراً تحتاج إلى توضيح، واستغربت من آيات كانت على خلاف المألوف لدي، وخلاف ما تربيت عليه طوال هذه السنين، فلا يمكن أن أسلم دون أن يشرح لي أحد ذلك، ويزيل عني هذه الشبهات، كي يكون إسلامي على يقين وبصيرة وقناعة لا عن حماس واندفاع.

أيضاً: كنت خائفاً من فكرة «الردة» فقد فهمت من بعض الآيات في القرآن أن عقوبة الكافر المرتد عن الإسلام أشد من عقوبة الكافر الأصلي عند الله، لأن الأول عرف الحق ثم تركه فلا عذر له، لذلك أخذتُ وقتي في البحث كي أصل إلى مرحلة «اليقين».

وفي هذه المرحلة أيضاً شعرت بشعور أستطيع وصفه بأنه شعور «التقوى» نعم صار عندي نوع من «التدين والتقوى».

أقول:

خرجت بعدة نتائج بعد فراغي من قراءة القرآن:

منها: اليقين بوجود إله، وقد شرحت هذا.

ومنها: أنني عرفت الإجابة على أسئلة محورية تهم كل إنسان عاقل على وجه البسيطة، مثل «ما الغاية من حياتنا»؟ «ولماذا الشرور موجودة؟» وما شابه هذه الأسئلة، وقد أعجبتني فكرة أن هذه الحياة الدنيا كلها عبارة عن «اختبار وامتحان وابتلاء» ورأيت أنها مقنعة إلى حد كبير، وذلك لأن كثيراً ممن ترك النصرانية إنما تركها لأنها لا تجيبه عن هذه الأسئة التي يمكن أن نسميها الأسئلة الوجودية، فلو استوعب هؤلاء أن الدنيا هي دار ابتلاء لا دار جزاء لفهموا أموراً كثيرة، وأن هناك داراً أخرى هي دار الجزاء، وهناك لا ظلم ولا شر ولا أمراض ولا امتحان، وإنما نعيم دائم لمن آمن واتقى ونجح في الامتحان.

ومنها: أنني في الحقيقة دُهشت جداً للآيات التي تصف رب العالمين، لقد كانت تلك الآيات التي تتحدث عن الخالق سبحانه مليئة بالتعظيم والتفخيم والإجلال والتقديس والتنزيه عن كل نقص وعيب، تلك الآيات - التي يسميها المسلمون آيات الصفات - هزتني كثيراً، وغاصت إلى أعماق قلبي، شعرتُ أني أتعرف فيها على الخالق لهذا الكون وهو يتحدث بنفسه عن نفسه سبحانه!

فهو إله عظيم ولا أعظم منه، وكبير ولا أكبر منه، عليم لا تخفى عليه خافية، رحيم وسعت رحمته كل شيء، حليم رغم جهل الجاهلين وكفر الكافرين وجحود الجاحدين، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، يقول للشيء كن فيكون، يُطعِم ولا يُطعَم، يجير ولا يُجار عليه، غني عن العالمين، لا يحتاج إلى أحد، لا تنفعه طاعة المؤمن ولا تضره معصية الكافر، يقبض ويبسط، يرفع ويخفض، يحيي ويميت، أغنى وأقنى، وأضحك وأبكى، لو كانت البحار السبع حبراً والأشجار أقلاماً وكتبت كلمات الله لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي، لا شيء إلا بمشيئته، ملك الملوك، وسلطان السلاطين، له الحمد المطلق والشكر المطلق، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

أخيراً أدركت الرب الذي يستحق أن يكون إلهاً معبوداً وليس ذاك الرب الذي يوصف بصفات قبيحة في الكتاب المقدس.

من الآيات التي استوقفتني حينها «آية الكرسي» تأملتها كثيراً، وذلك لأنها اشتملت على أكثر من ٢٠ صفة، وقد علمتُ لاحقاً أنها أعظم آية في القرآن الكريم.

❖ المقارنة بين الكتاب المقدس والقرآن

بعد القرآن قرأت الكتاب المقدس «الذي يشمل العهد القديم- والذي يؤمن به اليهود والنصارى - والعهد الجديد- الذي يؤمن به النصارى فقط -» في الحقيقة كانت صدمتي كبيرة حين قرأت الكتاب الذي يقدسه قومي ويعدونه كلام الله الحق، ولا أدري هل هؤلاء الملايين من العوام الذين يؤمنون بالكتاب المقدس هل قرأوه حقاً وبتمعن؟! لا أظن أن أكثرهم فعلوا ذلك، إذ لو قرأوه ولو مرة واحدة بهدوء لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ولوجدوا فيه المصائب التي وجدتها بنفسي ووجدها غيري من المتخصصين في نقد «الكتاب المقدس» من المسلمين وغيرهم.

لك أن تتخيل إنساناً خرج من قراءة القرآن بأجواء تكسوها المهابة والجلال لله تعالى فإذا به يجد في «الكتاب المقدس» ما يلي:

- الله عز وجل ندم - والعياذ بالله - على خلق الإنسان! يقول النص:

> «ورأى الربُ أن شر الإنسان قد كثُر على الأرض، وأن كل ما يتصوره قلبه من أفكار إنما هو شرٌ طوال يومه، **فندم الرب** على أنه صنع الإنسان على الأرض وتأسف في قلبه».
> «انظر: العهد القديم، سفر التكوين، إصحاح 6، عدد 5»

هل تعلم معنى ومدلول كلمة «ندِم»؟

دعني أشرح لك قليلاً كارثية هذا النص المقدس:

أنت أيها الإنسان ترتكب في حياتك أموراً كثيراً منها ما هو صواب ومنها ما هو خطأ، وحينما ترتكب بعض الحماقات والأخطاء ويستيقظ ضميرك الوجداني فإنك تتحسر على هذه الحماقة التي ارتكبتها أو ذلك

الخطأ، هذا التحسر والشعور بالخزي يُسمى ندماً، والندم يعني أنك أخطأت ويعني أيضاً أنك جاهل، ويعني أنك بشر ولست إلهاً.

رب العالمين جل جلاله حين خلق الإنسان ندم على ذلك، وهذا يعني أنه - والعياذ بالله - أخطأ! لأن الندم نتيجة الخطأ، وهذا يعني أن الله تعالى حاله كحال البشر يصيب ويخطىء، فكيف يكون إلهاً من كان كذلك؟!

هذا نص واحد فقط،وهو كفيل أن يهز ثقة الإنسان بالكلية في النص المقدس الموجود بين أيدينا، وقد تضافرت الأدلة وتكاثرت البراهين لدي الدالة على أن هذا النص يستحيل أن يكون كلاماً من عند الله تعالى، وأن هذا النص قد عبثت به أيدي العابثين وتلاعبت به أقلام اللاعبين، وإن كثيراً من الأحبار والرهبان ليعلمون ذلك ولكنهم يكتمونه، ورضوا بالحياة الدنيا، فبئس ما يفعلون.

- كذلك من النصوص الكارثية في «الكتاب المقدس» أن الله تعالى تصارع مع يعقوب فانهزم!

وهل هذا النص يحتاج إلى تعليق؟

- نص آخر قرأته في آخر التوراة يوضح المكان والتاريخ الذي مات فيه موسى عليه السلام!

كيف ينسجم هذا، مع إيمان اليهود والنصارى أن موسى كتب التوراة بوحي من الله؟!

يقول هذا النص «الكتاب المقدس - التوراة - سفر تثنية الاشتراع - الإصحاح ٣٤»:

«فمات هناك موسى عبدُ الرب، في أرض «موآب» بأمر الرب، ودفنه في الوادي في أرض «موآب» تجاه بيت فغور، ولم يعرف أحدٌ قبره إلى يومنا هذا»

فإذا قلتَ لي أين الإشكال في هذا النص؟

فالجواب:

تخيل معي الآن أنك - المسلم المؤمن بأن القرآن كلام الله ووحيه وليس كلام بشر وأنه نزل على محمد ﷺ وهو حي يرزق - تخيل أنك تقرأ آية في القرآن الكريم تقول «إنّ محمداً ﷺ مات في المدينة ودفن فيها ولا يعلم أحد مكان قبره!»

ماذا يعني هذا؟

ومن الذي يتكلم هنا؟

وهل يوحى إلى محمد ﷺ وهو مدفون في قبره؟

أم أن أحداً زاد هذا النص أو كتبه بعد وفاة النبي محمد ﷺ وألحقه بالقرآن؟

هذا تماماً ما حصل مع النص السابق من التوراة، إنّ اليهود يؤمنون أنه كلام الله ووحيه إلى موسى، وفي نفس الوقت نجد هذا النص الذي يقول إنه مات! إذن من الذي يتكلم هنا؟ ومن الذي كتب هذا النص وأدخله؟ ومتى كتبه، لأن قوله «إلى يومنا هذا» يدل على فترة زمنية ليست بالقصيرة.

هل يلومني بعد ذلك ألماني أو أوروبي أو نصراني على أن أعتنق الإسلام وأتمسك بالقرآن الذي لم أجد فيه إلا التعظيم والتسبيح والتحميد والتنزيه لله تعالى عن كل نقص وعيب وسوء، هل هناك وجه للمقارنة بين نصوص الكتاب المقدس التي تتحدث عن رب العالمين بالتنقص مع نصوص القرآن التي تقول:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢]

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة: ٤]

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٤]

﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مَريَم: ٦٥]

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: ١-٤]

﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ [الحَشر: ٢٣]

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعَام: ١٨]

وغير ذلك من النصوص الكثيرة الجليلة المفعمة بإجلال الخالق كل الإجلال وتعظيمه كل التعظيم.

أقول: هكذا إذن أخذت أقارن بين هذه الكتب السماوية، كما قرأت العهد القديم أيضاً «ويشمل التوراة» وكررت القراءة والمقارنة بين هذه الكتب الثلاث، ومن العجيب أني وجدت القرآن يساعدني في فهم نصوص التوراة والإنجيل.

في التوراة والإنجيل تجد فيها أموراً وتفاصيل لا تهمك ولن تحتاج إليها في حياتك إطلاقاً، مثلاً بعض النصوص التي تتكلم عن تفاصيل الأنساب، وحوادث كثيرة ليس فيها كبير فائدة أو عبرة.

لم تكن رحلة المقارنة هذه رحلة سهلة، بل كانت شاقة وجادة، فالأمر ليس مجرد قراءة دون تمحيص وتدقيق، استغرق الأمر مني **مدة سنة وزيادة،** كررت فيها قراءة القرآن بأكثر من ترجمة مختلفة، وقرأت العهد القديم مرة، والعهد الجديد مرتين.

ثم لم أكتفِ بذلك بل وسعت قراءتي فشرعت أقرأ في الأديان المشهورة العالمية كالبوذية والهندوسية، فلم يجذبني منها شيء ولم أجد ضالتي عند هذه الأديان لا سيما الشرقية منها.

ثم شرعت أقرأ في غير الكتب المقدسة، فقرأت ما كتبه غير المسلمين وما كتبه المسلمون أيضاً، لكن كان النصيب الأكبر من قراءتي في البداية لغير المسلمين، وقرأت كذلك «مختصر السيرة» لابن إسحاق - باللغة الألمانية -.

وهنا أذكر حادثة كان لها تأثير كبير عليّ متعلقة بالسيرة النبوية:

في هذه الفترة التي قرأت فيها «السيرة» لابن إسحاق، وجدتُ فيه نصاً يقول «إن وصف النبي ﷺ مذكور في الكتب السابقة كالإنجيل ونحوه»

فتعجبتُ من هذا جداً، هل هذا معقول؟

لذلك أخذت الكتاب المقدس وقرأت نصاً معناه باللغة اليونانية «من يَحمد أو يُحمد» فلما رأيت ذلك اقشعرّ جلدي! وأصبت بشيء يشبه الصعقة الكهربائية، إن هذا لشيء عُجاب.

وما كتبه المستشرقون عن الإسلام - على ما فيها من كذب أدركته لاحقاً-، واطلعت على ما يسمى «بالإعجاز العلمي»، وشاهدتُ فيلم «الرسالة» الشهير الذي يتناول السيرة النبوية، وأُعجبتُ به جداً.

كنتُ أحاول أن أكون متجرداً ومنصفاً ومحايداً كي أصل إلى الحق، لذلك كان واجباً عليّ أن أقرأ ما كتبه المخالفون والمحاربون للإسلام، وكثير من الأوربيين - مع الأسف الشديد - يستقي معلوماته عن الإسلام مما كتبه بنو جلدته عن الإسلام، فتجد مثلاً البريطاني يقرأ ما كتبه كبار المستشرقين الأوربيين عن الإسلام، فهو يثق بهم، ويثق في تحليلهم ونتائجهم التي توصلوا إليها، وذلك لأنهم -في نظره- أكاديميون ومتخصصون في هذا المجال، وقد درسوا الإسلام سنين عدداً وصنفوا المصنفات وكتبوا البحوث المحكمة في أرقى وأشهر الجامعات العلمية المحترمة، إذن لا شك أن ما يقولونه صحيح، وليس عنده من الوقت ما يكفيه كي يتعلم اللغة العربية ومن

ثَم يقرأ ما كتبه المسلمون العرب عن دينهم، فلذلك هو يُسلّم عقله لما يقوله المستشرقون وأمثالهم وأتباعهم.

على سبيل المثال بالنسبة للغة الألمانية:

حينما أسلمتُ كانت كتب المسلمين بلغتي قليلة، لكن الآن وقت كتابة هذه السطور زادت الكتب أضعافاً مضاعفة، فإذا كان هذا بلغتي، فكيف باللغة الإنجليزية؟ فإنه سيجد ما لا يحصى من الكتب التي كتبها المسلمون بالإنجليزية.

يؤسفني أن أقول للأوروبيين: إن كثيراً ممن يسمون بالدكاترة والأساتذة والباحثين في مجال فهم الإسلام ليكتمون الحق وهم يعلمون، وإن كثيراً منهم ليَلوُون ألسنتهم ويحرفون الكلم عن مواضعه ويقول هو من عند الله وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون.

نعم

وهم يعلمون أنه كذب، وكثير منهم يريد أن يصد الأوربيين عن الإسلام ويبشعه في نفوس الناس، ولستُ أنكر وجود مستشرقين منصفين عادلين باحثين عن الحق - وإن لم يصلوا إليه - لست أنكر هذا، ولكني أتحدث عن الجو العام الذي لمسته فيما قرأته للمستشرقين.

لقد وجدت كتابات المستشرقين مبنية على نتائج مسبقة وضعوها في عقولهم ثم شرعوا يبحثون عن أي حجج توصلهم إلى تلك النتيجة وذلك الحكم المسبق.

والمنهج العلمي العقلي يقتضي العكس: وهو أن تنظر في المعطيات التي عندك وتتأمل في المقدمات ثم تخلص إلى النتيجة التي أفرزتها تلك المقدمات، وليست النتيجة التي تريدها أنت ووضعتها في عقلك قبل أن تبحث.

فإن قلتَ لي:

ومن أين أستقي معلوماتي الصحيحة عن الإسلام؟

فالجواب: من مصادره الأصلية، فالمسلمون عندهم مصدران رئيسان «القرآن والسنة» فإذا أردت أن تتعرف على الإسلام فاقرأ في هذين المصدرين، سواء كان باللغة العربية - إن استطعت تعلمها - أو كان بلغتك الأم - مع العناية بانتقاء المترجم الدقيق المعتمد ذي الأمانة العلمية سواء كان مسلماً أم لا فالمهم ألا يُقوِّل المسلمين ما لم يقولوه ولم يعتقدوه –

وأنا أجزم أن من قرأ الإسلام من مصادره الأصلية «القرآن والسنة» أنه سيصل إلى نتيجتين لا ثالث لهما إن كان منصفاً ومتجرداً:

١ – إما أن يُعلن إسلامه كما فعلت أنا وفعله غيري.

٢ – وإما أن يحترم هذا الدين ولا يسبه ويعترف بأنه دين موافق للفطرة وأنه حق لا غبار عليه، دون أن يعتنقه ويتبعه، وهذا الصنف في الأوروبيين كثير.

وفي الحقيقة أن هذا المنهج – أعني أخذ المعلومة من مصدرها الأصلي – هو منهج تربينا عليه منذ الصغر في مدراسنا، وهو ما مشيت عليه في رحلة بحثي عن الحق وقراءتي عن الإسلام، فكنت معتمداً على كتابين:

– القرآن بالترجمة الألمانية.

– ومختصر صحيح البخاري بالألمانية أيضاً.

وذلك لأني عرفت من خلال قراءتي أن هذا الكتاب المسمى بالبخاري هو أصح كتاب بعد القرآن عند المسلمين فاعتمدتُ عليه، وجعلته مرجعاً أساسياً لي في فهم الإسلام، بل كنت إذا رأيت رجلين مسلمين يختلفان في مسألة فإني أرجع مباشرة إلى البخاري، وأقول لهم وردَ في البخاري كذا، إذن قُضي الأمر.

وكما تربينا منذ الصغر على تلقي المعلومة من مصدرها الصحيح، كذلك تربينا على «النقاش والحوار والبحث»، وهذا ربما يفقده كثير من المسلمين للأسف مع أنه منهج قرآني قبل أن يكون منهجاً غربياً متبعاً.

كان لي صديق ألماني أسلم وهاجر إلى «مصر» قال لي مرة:

«في مصر يقولون لنا: خذ هذه المعلومة واحفظها، بينما في ألمانيا يقولون لنا: خذ هذه المعلومة وناقشها، فشتان بينهما»

أقول: لا شك أن المنهج الشرقي يعتمد كثيراً على «حفظ المعلومة» وهو يخالف منهجنا في الغرب الذي يعتمد بشكل أساس على «فهم المعلومة» ثم «النقد والنقاش والبحث والتفكر»، والاعتماد على الحفظ وتكرار المعلومات مع إهمال التفكر وإعمال العقل والنقاش = أمر ليس حسناً، ولا شك أن الأفضل هو الجمع بين الحفظ والفهم.

نعم هناك مساحات في كل دين ومسلمات لا تقبل النقاش كقضية الوحدانية مثلاً، فأنا لا أقصد هذا، وإنما أقصد أنه يوجد في الإسلام مساحات واسعة هي قابلة للنقاش والأخذ والرد والمباحثة، كالمسائل الفقهية غير المجمع عليها.

على كلٍ:

مقصودي من هذا الكلام أن هذا المنهج الذي تربينا عليه ساعدني كثيراً في البحث والوصول إلى الإسلام.

كنتُ كلما ازددتُ من القراءة عن الإسلام = ازددتُ يقيناً بأنه حق، ولكن علقتْ في قلبي بعض الشبهات والإشكالات التي أحتاج فيها إلى جواب مقنع، كي أخطو الخطوة المقبلة وهي إعلان الإسلام، وذلك لأني لم أكن أريد أن يكون إسلامي حماساً أو مبنياً على عاطفة.

كانت بعض الآيات في القرآن الكريم صادمة لي بصفتي غربياً، بل أقول إن بعضها كان مستبشعاً بالنسبة لي حينها[1]:

فمن ذلك مثلاً آية قطع يد السارق، الواردة في سورة المائدة!

هذا الأمر كان غريباً ووحشياً بالنسبة لي:

كيف تقطع يد الإنسان؟ كيف يمكن أن نعمل بهذا في القرن الواحد العشرين؟ وفي عصر الحضارة والتقدم؟

ألا يتنافى هذا مع الرحمة بالإنسان، ومع الحقوق العالمية والمواثيق الدولية لحقوق الإنسان؟

تساؤلات كثيرة هجمت عليّ حينها:

ولكني تعلمتُ ألا أتعجل في الحكم على الشيء قبل تصوره جيداً، وأن أكون متجرداً منصفاً، فلما درست هذه المسألة بعمق أكثر وجدت أن الأمر مختلف عما توقعته، إذ وجدتُ ما يلي:

- وجدت أن الإسلام قد اتخذ اجراءات وقائية قبل قطع يد السارق، فالسارق إنما يسرق لفقره - غالباً - وقد حارب الإسلام الفقر بشتى أنواعه وبطرق مختلفة، فحث على العمل والتكسب وجعله أفضل القربات ثم أوجب على كل الأغنياء إخراج الزكاة السنوية وتوزيعها على الفقراء، وجعل الإسلام الزكاة ركناً من أركان الإسلام ورتب العقوبات الدنيوية والأخروية على مانع

---

(١) العجيب أن الكتاب المقدس اشتمل على نصوص عنيفة كثيرة وحادة ولا يتكلم عنها أحد وإنما التركيز فقط على الإسلام، فعلى سبيل المثال: جاء في الكتاب المقدس . سفر الخروج . عدد ٣١ ما يلي «فاحفظوا السبت فإنه مقدس لكم، من استباحه يُقتل قتلاً، كل من يعمل فيه عملاً تُفصل تلك النفس من وسط شعبها» إلى أن يقول عن الله عز وجل إنه «استراحَ وتنفسَ» والعياذ بالله، وهو الأمر الذي نفاه القرآن في سورة «ق» «وما مسنا من لغوب» أي تعب، والشاهد في النص هو الأمر بقتل من يستبيح السبت.

الزكاة، ثم وضع شروطاً دقيقة تصل عند بعض الفقهاء إلى **١٩** شرطاً**!** يجب أن تتحقق هذه الشروط حتى تُقطع يده، ثم من ينفذ هذا القطع هو القاضي والسلطات المعنية التي يجب أنّ تتأكد من ملابسات القضية وحيثياتها، ثم تأملتُ في الفوائد التي ستحصل لو أننا قطعنا يد سارق واحد في المدينة، أليس ذلك رادعاً وزاجراً كبيراً لكل المجرمين والسارقين في المدينة؟ ثم لماذا نشفق على هذا السارق المجرم ولا نشفق على صاحب المال المسكين الذي اكتسب هذا المال بعرق جبينه؟

وهكذا وجدتُ لكل آية وضعت عندها «علامة استفهام» جواباً بل أجوبة منطقية وقائمة على حجج عقلية ومقبولة.

هذا في جانب العقوبات، كذلك في جانب العلاقات الاجتماعية وفقه الأسرة: كنت أتساءل لماذا يبيح الإسلام «تعدد الزوجات» **!؟**

لأن هذا الأمر مستبشع جداً عندنا في الثقافة الغربية لدرجة أني كنت أحياناً أقول - قبل إسلامي- لا يمكن لهذه التشريعات وأمثالها أن تكون من عند الله عز وجل، وذلك لشدة الصدمات التي أصبت بها حين قرأت عن تفاصيل الإسلام التشريعية، فحقائق الإسلام العامة كالتوحيد والتحلي بمحاسن الأخلاق والنهي عن الشرك وكل القبائح والرذائل = هذا أمر لا ينكره إنسان عاقل ذو فطرة سليمة، لكن المحك هو في تفاصيل التشريعات الإسلامية كموقف الإسلام من قضية المرأة مثلاً، فالإسلام يتخذ موقفاً صارماً في العلاقة بين الجنسين، وهو الشيء الذي يتناقض جذرياً مع الحياة في الغرب، وكذلك مثل ملف العقوبات «عقوبة السارق والزاني وشارب الخمر» الخ.

وأنا أقول لكل من يبحث عن الحق ويقرأ عن الإسلام من غير المسلمين: إنك إذا نظرت إلى هذه الأمور نظرة سطحية فإنك لا شك ستنفر منها نفوراً شديداً، ولكني أدعوك أن تعطي نفسك فرصة للتأمل وإعادة النظر في هذه التشريعات:

- ألا يمكن أن تكون هذه التشريعات صحيحة ونحن على خطأ؟
- ألم نتربَ على قبول الحق من أي جهة كانت سواء من عدونا أو صديقنا؟
- هل نرفض هذه التشريعات فقط لأننا غير معتادين عليها؟
- ولماذا لا يكون ما نفعله نحن هو الخطأ أصلاً؟

ما المانع عقلاً أن تكون ثقافتنا قد اشتملت على أمور كثيرة ليست في صالحنا، لا سيما أن كثيراً من الأمور إنما نفعلها فقط لأن الناس يفعلون ذلك، دون نظر في العواقب والنتائج؟

إذا كان الإنسان يعتقد أنه ومجتمعه وثقافته دائماً على صواب = فحينئذ كيف سيصل إلى الحق؟

فالوصول إلى الحق يتطلب منك التجرد والإنصاف والتخلي عن كل الأحكام المسبقة والتأثيرات الخارجية ثم بعد ذلك تنظر في الأمر.

نعم لقد سببت لي كثير من تشريعات الإسلام صدمة كبيرة في بادئ الأمر لأني كنت أنظر إليها نظرة أولية سطحية، كنت أنظر إليها متأثراً بتأثيرات خارجية كثيرة من حولي: لكن الأمر اختلف حين أعدت النظر مرة أخرى بإنصاف في هذه التشريعات، فاتضح لي ما كان خافياً عني، واتضح لي كم كنت متسرعاً وجاهلاً، بل لا أبالغ إن قلتُ: إن فهمي لهذه التشريعات واطلاعي على حكمة الله البالغة وقراءتي في مقاصد الشريعة الإسلامية التي تبين لك لماذا هذا حرام وهذا حلال ولماذا هذا يُعاقب، وما النتائج المفيدة التي ستحصل حينها = أقول إن إدراكي لحقيقة هذه التشريعات كان من أعظم الأسباب التي قادتني إلى الإسلام! وذلك لأني أيقنتُ أن هذه الأمور لا يمكن إلا أن تكون من إله خالق عظيم يعلمُ ما الذي يضر الإنسان وما الذي ينفعه «أي أنني توصلتُ إلى عكس الحكم الذي أصدرته في أول الأمر».

ولو ذهبتُ أذكر لك كل الآيات التي أشكلت عليّ وبماذا أجاب عنها علماء الإسلام إجابةً إجابةً = لطال الكلام وتشعب وخرجنا عن المقصود، وإنما ذكرت لك «قطع يد السارق» نموذجاً ومثالاً لما كنت أمُر به، وغالب الشبهات التي تنقدح في أذهان الباحثين عن الإسلام والحق = هي واحدة ومشتركة ومجموعة في كتب كثيرة صُنفت خصيصاً لمناقشة هذه التساؤلات، كما تجد هناك محاضرات كثيرة بشتى اللغات تتناول ذلك أيضاً.

بعد ذلك وصلتُ إلى مرحلة حرجة:

وهو أني وجدت أجوبة مقنعة عن كل تساؤلاتي، وباتت الصورة واضحة أمامي: إما حق وإما باطل، ولا ثالث لهما، ومع ذلك فقد كنت خائفاً من الدخول في الإسلام.

الخوف كان من أمور كثيرة:

أخاف من الردة

أخاف ألا أستمر

أخاف أن أجد تساؤلات جديدة ولا أجد لها أجوبة.

وكي أكون صريحاً:

أخاف أن أكتشف تناقضات عقلية في الإسلام كالتي اكتشفتها في النصرانية.

وهكذا كنت في دوامة من الخوف.

فما الحل؟

الحل أن قررت أن أستزيد من القراءة عن الإسلام، هذا هو الحل الوحيد أمامي.

أيضاً أذكر في هذه الفترة أني شاهدتُ فيلماً باللغة الألمانية عن «سيرة إبراهيم ﷺ» ولما قارنت بينه وبين فيلم «الرسالة - الذي يتناول سيرة محمد

عليه الصلاة والسلام -» وجدتُ أنهما يتفقان في الدعوة إلى أمور مشتركة، أهمها: الدعوة إلى التوحيد، وقد أدركت لاحقاً أن كل الأنبياء والمرسلين - بمن فيهم موسى وعيسى - كانوا يدعون أقوامهم إلى دعوة واحدة مشتركة وهي إفراد الله بالعبادة «التوحيد» وينهون الناس عن الشرك.

في الحقيقة: كنت كلما تعمقت في البحث والقراءة عن الإسلام وجدت هذا الدين العظيم يجذبني إليه جذباً ووجدت نفسي دون أن أشعر واقعاً في حب هذا الدين الذي يلبي حاجاتي ويجيب عن أسئلتي ويوافق عقلي وفطرتي كإنسان، وهكذا كنت كلما قرأت = ازددتُ إيماناً ويقيناً.

قد يسأل سائل ويقول:

هل أعانك أحد من المسلمين بطريقة مباشرة؟!

أقول:

قد شرحت بالتفصيل طبيعة علاقتي مع المسلمين ومدى تقصيرهم في دعوة الألمان، لكني كنت في هذه المرحلة أحاول أن أتناقش مع أي أحد من المسلمين لعلهم يلفتون انتباهي لشيء لا أعلمه من القراءة، كما أذكر أني طلبت من مدربي الأول «رامي» - وقد تحدثت عنه سابقاً - طلبت منه أن يعلمني سورة الفاتحة - وكان هذا قبل إسلامي - فكتب لي الفاتحة في ورقة بالحروف اللاتينية، وكان رامي - رغم كونه وقتها لا يعمل بدينه - سعيداً جداً وفرحاً باهتمامي وسؤالي عن الإسلام.

وكذلك أيضاً تحدثت كثيراً مع الأخ «جنكيز كوتش» عن الإسلام، لأنه كان لاعباً معي، ولمست منه فرحاً عظيماً بي.

أيضاً في هذه الفترة:

التقيت بشاب أمريكي اعتنق الإسلام اسمه «خالد جونس» George khalid jones وكان ملاكماً يتردد كثيراً على ألمانيا.

وأعطاني الأخ خالد هذا بعض الأوراق أشبه بالمطوية: تعلمتُ منها أشياء كثيرة: كالصلاة وأذكارها وسورة الإخلاص والعصر ونحو ذلك[١].

حين كنت أحاور كثيراً من المسلمين في هذه المرحلة اكتشفتُ أمراً محزناً وهو من المفارقات العجيبة: لقد وجدتُ نفسي أعلمَ من المسلمين بدينهم - أعني المسلمين الذين حاورتهم - فقد كنت وقتها قرأت القرآن - بتدبر وفهم وتأمل- ثلاث مرات، وقرأت في السنة صحيح البخاري، وقرأت السيرة النبوية وغير ذلك، بالمقابل: أشك أن الذين كنت أحاورهم هل قرأوا القرآن مرة واحدة مع تفسير له؟ فضلاً عن أن يكونوا قرأوا البخاري مثلاً، لكن كان أغلبيتهم - للأسف - بعيدين عن دينهم.

هؤلاء الثلاثة «المدرب رامي - وجنكيز - وخالد» هم أكثر من كنت أحاورهم عن الإسلام، ومع أن حصيلتهم العلمية وخلفيتهم الشرعية ضئيلة إلا أنني استفدت من هذه الحوارات وازددت إيماناً، ووجدت تشجيعاً وترحيباً كبيراً منهم.

أما رامي فرجل عجيب: رامي كحال كثير من المسلمين الذين يحبون دينهم حباً عظيماً ولكنهم لا يمارسونه، فهو مثلاً متزوج بنصرانية وأولاده نصارى يُعمدون في الكنيسة، وهو أصله من مدينة «ناصرة - فلسطين» التي يقطنها كثير من نصارى العرب، وأنا لا أقصد من كلامي هذا التنقص منه أو الإساءة إليه، فقد كان - رغم بعده عن الدين - له فضل عظيم جداً عليّ، وكان يتمتع بأخلاق جميلة وسعة قلب ويحب مساعدة الآخرين ونجدتهم، وهذه منةٌ له في عنقي إلى يوم الدين، ولست أدري ما فعل الله به، لكني أتمنى أن يقرأ كلامي هذا وأن تصله حروفي كي يفرح بأنه كان سبباً من

(١) وقد انقطعت العلاقة بيننا، ولا أعرف عنه شيئاً الآن ولعله لا يعرف أني أصبحت داعية، وسبحان الله فإنّ كل صلاة أصليها وأتلفظ فيها بالأذكار تصب في ميزان حسناته بإذن الله ولا يضيع عند الله شيء.

الأسباب غير المباشرة لاعتناقي للإسلام الذي ترتب عليه إسلام أناس آخرين كثيرين.

ومن عجائب الدهر: أنّ أول رجل أسلم على يدي على الاطلاق هو ولد المدرب رامي اسمه «يان خاطب» يعمل حالياً محامياً، وكان ذلك تقريباً في نهاية سنة **٢٠٠١** م - بداية **٢٠٠٢**م وذلك أني بعد إسلامي شرعت مباشرةً في الدعوة إلى الله والإسلام مع من حولي، فأكرمني الله تعالى بهذا الشاب، وكان فاتحة خير واستبشرت بإسلامه كذلك، وكان إسلامه هو «القطرة» التي يعقبها «غيثٌ» منهمر، وكما قيل: «أول الغيث قطرةٌ»!

وأما «جنكيز» فقد تحدثت عنه سابقاً، وهو الآن - ثبته الله- يصلي ويصوم وقد ذهب إلى الحج.

أذكر أنه كان يجد مشقة في صيام رمضان فسأل بعض الشيوخ الأتراك عن حكم الفطر لأجل التدريبات الرياضية؟

فأفتوه بجواز الفطر وأن يطعم عن كل يوم مسكيناً.

وهذا أمر عجيب في الحقيقة، فقد علمتُ لاحقاً حين درست الفقه الإسلامي أن صيام رمضان ركن من أركان الإسلام وأنه لا يستباح الفطر بعذر تافه كهذا، وأنا هنا لا ألوم الأخ «جنكيز» فهو أدى الذي عليه واستفتى، ولكن العتب كله واللوم على بعض المشايخ في أوروبا الذين يصرون على تمييع الدين وتقديم التنازلات ظناً منهم أن هذا يُرّغب الناس في الدين، في حين أن كثيراً من المسلمين ليس عندهم مانع في أن يلتزموا بشعائر الإسلام وعزائمه التي هي كلها سمحة ويسر في نفسها، فالله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وتكفينا تيسيرات الشريعة، وأنا متأكد أن الأخ «جنكيز» وأمثاله من عامة المسلمين القاطنين في أوروبا = لو قيل له: لا يجوز لك الفطر، ويجب عليك أن تصوم، لتلقى ذلك بصدر رحب وتسليم وانقياد تام للشريعة، ولجعل الله له مخرجاً وفرجاً وحلاً، والله المستعان.

أما ثالثهم وهو «خالد جونس» فقد كان هو الآخر من الأسباب التي جعلتني أصلي، ولا تنس أني بدأت بالصلاة قبل إسلامي!

وهذا في الحقيقة أمر يحصل لكثيرين أنهم يصلون قبل الإسلام، ويظهر لي أن هذا عائد لأسباب:

منها: الفضول وحب تجربة شيء جديد.

ومنها: الراحة والسكينة التي يشعر بها من يضع جبهته على الأرض تواضعاً لله.

ومنها: الجهل بطبيعة هذا الدين، وهو أن الصلاة لا تقبل ولا تصح شرعاً إلا بعد الدخول في الإسلام، وهذا أمر قد يخفى على كثيرين فيصلون قبل أن يسلموا.

ومنها: - وهو ما حصل معي - أني تأثرتُ جداً بتكرار كلمة «الصلاة» في القرآن، تارةً آمراً بها وتارةً متوعداً على تركها وتارةً مادحاً لها وللمحافظين عليها الخ، فتولد عندي شعور بأن الصلاة ضرورية ومهمة جداً في الإسلام فلذلك قررت أن أصلي، وتعلمتُ طريقة الصلاة من خلال المطوية التي أعطاني إياها الأخ خالد كما قلتُ، وكنت أصلي خمس مرات يومياً وأخمن المواقيت من عندي وأنا غير مسلم، وإلى الآن - حقيقةً - لستُ أفهم كيف يترك بعض المسلمين الصلاة وهم ينتسبون إلى الإسلام!

هذا أمر عجيب حقاً.

رجل كافر يقرأ القرآن ويتأثر بما احتوى عليه من الآيات الحاثة على الصلاة والزاجرة عن تركها = فيصلي ويواظب عليها في وقتها خمساً، ومسلم يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ثم لا يصلي!

أنا أجد صعوبة - حقاً - في فهم هذه المعادلة.

حينما صليتُ لأول مرة ووضعت جبهتي على الأرض تماماً كما يفعل

المسلمون شعرت بشعور غريب، شعرت أن هذه الصلاة هي الوسيلة والطريقة الصحيحة لعبادة الله تعالى، والعجيب أني اكتشفت بعد ذلك نصاً في الإنجيل «إنجيل متى - الإصحاح **٢٦** - عدد **٣٩**» يفيد أن عيسى عليه السلام كان إذا صلى لله وضع جبهته على الأرض.

وعلى ذكر الصلاة: أذكر أني في تلك الفترة استمعت إلى الأذان لأول مرة عبر شريط مسجل عندي، في الحقيقة أعجبني جداً صوت الأذان ولامس شغاف قلبي، وجذبني بقوة، مع أنني لم أكن أفهم منه كلمة حينها.

❖ قصتي مع صديقتي

أيُّ شاب في الغرب ليست له صديقة girl friend لا أقول إنه يعتبر مريضاً نفسياً لكن دعني أقول لا بد أنه يعاني من شيء أو عنده مشكلة ما، فعليه أن يراجع نفسه أو يراجع طبيباً كي ينظر له في هذه المعضلة، لماذا ليس عنده صديقة؟

وهذا أمر لا أظنه يخفى على أحد من القراء أن اتخاذ الخليلة والعشيقة لكل شاب غربي هو من الأساسيات التي تقوم عليها الحياة الغربية، لا سيما إن كان في بداية شبابه ووسيماً ويملك مالاً ويتمتع بجسم متناسق - أي يملك كل مقومات جذب البنات - فما الذي يمنعه من الخليلات؟

ومن كانت هذه حاله ولم يتخذ خليلةً ولا زوجةً فإن الناس لن يقولوا له كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «تَزوَج، فما يمنعك إلا عجزٌ أو فجورٌ» بل سيُقال له: ما يمنعك إلا العجز الجسدي فقط، وهذا يعني إما أنك شاذ جنسياً أو أنك مريضٌ نفسياً، أو هناك خطبٌ ما فانظر ماذا ترى؟

ولأنني كنت أملك كل مقومات الجذب: فقد كنت شاباً وسيماً رياضياً ملاكماً ذا مالٍ = لذلك وجدتُ نفسي أسبح مع التيار العام.

كانت لي صديقة غريبة عجيبة، تعرفت عليها في سبتمبر عام **١٩٩٧**م أو بالأدق صارت خليلتي في هذا التاريخ، لأني كنت أعرفها من قبل في المدرسة، حيث كانت أجمل بنات صف الثالث عشر الذي كنت أنا فيه معها، وهي لم تكن امرأة كسائر النساء الألمانيات بل كانت تختلف عنهم في أمور كثيرة، لذلك عزمت على أن أتخذها خليلة وصديقةً وذهبت إليها في اليوم الأول من الفصل الدراسي: وقلت لها هل يجلس أحد في الكراسي بجوارك؟

فقالت: لا.

فجلست وشرعت أتحدث معها وألاطفها، وعلمتُ أنها أيضاً كانت معجبة بي وتود أن تتعرف عليّ ولكنها كانت تنتظر مني المبادرة بذلك، وهكذا بدأت علاقتي وصداقتي معها التي امتدت لسنين.

في الحقيقة كانت فتاة طيبة جداً وكانت على شيء من الحياء - وهذا أمر نادر جداً - وليس مهماً أن أقول للقارئ إنها محسوبة على اليهود، لأنها لم تكن تدين بشيء أصلاً، ولكن على معايير اليهود فهي تعتبر يهودية، لأن اليهودي هو يهودي الأم، وهي جدتها لأمها وأمها يهوديتان، فبهذا الاعتبار هي يهودية، وإلا في الواقع هي ليس لها في اليهودية ناقة ولا جمل.

كانت صديقتي من مدينة خارج «برلين» لذلك لم تكن عائلتها معها، فكانت تسكن في «مدرسة داخلية» بجوار سكني - مصادفةً – وامتدت علاقتنا مدة أربع سنين، من سبتمبر **١٩٩٧**م إلى أبريل **٢٠٠١**م، وهذا يعني أن علاقتي معها انتهت قبل إسلامي بشهر واحد فقط.

ولم يكن تركي لها بسبب إسلامي، وإنما لأسباب شخصية أخرى لا علاقة لها بإسلامي، وذلك أننا تخرجنا معاً من المدرسة سنة **١٩٩٩**م فعادت هي إلى مدينتها الأصلية في شرق ألمانيا، وعدت أنا إلى مدينتي «كولن»، وأصبح لقاؤنا قليلاً - مرة بالأسبوع - حيث كانت تأتي إلى مدينتي بسيارتها،

وكذلك ظهرت بوادر مشاكل بيننا كانت تعكر صفو الحياة علينا، فلهذه الأسباب وغيرها أنهينا العلاقة.

وإنما ذكرت قصتها في هذا الموضع لأني تحاورت معها في قضايا دينية وفكرية كثيرة قبل إسلامي نتيجة لقراءتي ومطالعتي، فكنت أشاركها ما أقرأ، وإلى الآن أذكر أني تناقشت معها عن قضية «الزنا» فتوصلنا في نهاية الأمر أن الزنا حقاً أمرٌ شنيع ومحرم وبشع - وقد أشرت لذلك سابقاً -.

كل هذا قبل إسلامي...

وما زلت أذكر أني مرة كنت سأسافر إلى مدينة «فانكوفا» فقالت لي: «لا تزنِ يا بيير**!** ولا تَخُنّي، فإن الخيانة ظلمٌ، والله لا يحب الظالمين وقد يعاقبك الله على فعلتك**!**».

قد يستغرب القارئ العربي من هذا الكلام فيقول: وهل علاقتكم كانت شرعية أصلاً كي تطلب منك عدم الخيانة مع فتاة أخرى؟ بمعنى هل كنت متزوجاً بها أصلاً؟

فأقول:

كلا، لم أكن متزوجاً بها، ولكن عليك أن تعلم أن الصديقة والخليلة في العرف الغربي هي أشبه ما تكون بالزوجة الحقيقية، اللهم إنه ليس بينهما عقد في الكنيسة فقط، وإلا فهي زوجتك، بمعنى:

أنكما قد تسكنان في بيت واحد، وتنجبان أولاداً، ولا يجوز لك أن تصاحب غيرها - فإن فعلت فهي خيانة - كل هذا وأنتما لم تتزوجا رسمياً بعدُ.

ولا شك أن هذا انتكاس عظيم للفطرة، ولكن هذا هو الواقع المرير.

عموماً...

ذهبت إلى مدينة «فان كوفا» وذهبت إلى مرقص من المراقص هناك

لأجل اللهو واللعب، ورأيت فتاةً هناك كانت أجمل فتاة في المرقص، فطفقت أحادثها وأعطتني هاتفها كي نلتقي خارج المرقص مجدداً.

أخذت الورقة التي فيها رقمها وهممت أن أتصل بها ونلتقي، وهذه كما أسلفتُ تعد خيانةً لصديقتي - في عرفنا - إذ إنها بمنزلة الزوجة وإن لم تكن كذلك رسمياً...

أخذت أقلب الورقة وأنا متردد في الاتصال بها، وذلك أن " موعظة " صديقتي كانت تدور في رأسي «لا تزنِ... لا تَخُني...» ورغم أني كنت حينها أشك جداً في وجود الله عز وجل إلا أني انتابتني حالة من الرعب والذعر، تأثراً بموعظتها وتذكيرها لي - رغم أنها هي الأخرى ليست متدينة - ودخلت في موجة من الوساوس والهواجس وظللت أقول «إن أنا فعلتها فلربما تسقط بي الطائرة وأنا راجع إلى مدينتي» كنت خائفاً أن ينتقم الله مني بسبب خيانتي وظلمي لها، فما كان مني - وأنا على هذه الحالة - إلا أن رميتُ رقمها، كي أقطع على نفسي الطريق وأحسم المادة من أصلها.

على كل حال...

لأسباب اجتماعية لا داعي لذكرها قررنا الانفصال، وأشهد أنها امرأة طيبة جداً وحري بمثلها أن تُسلم، وأنا أرى أنها قريبة من الإسلام، أسأل الله لها الهداية، وقد ظللت عشر سنوات أدعو لها بالهداية وما زلتُ، ويشهد الله أنه ليس لي أي مصلحة من هدايتها إلا أنني أحب لها الخير، فالمرأة قد تزوجت بعدي ولعلها رُزقت بذرية، والله الهادي لا غيره سبحانه.

❖ العودة إلى سرد تفاصيل قصة إسلامي

إذن كما قلت سابقاً أصبحت حقائق الإسلام واضحة أمامي لا لبس فيها، وقد يتسائل إنسان: هل استعنت بأحد من شيوخ الدين في ألمانيا؟!

فأقول:

في الحقيقة كنت في تلك المرحلة مكتفياً بترجمة معاني القرآن وبالسنة النبوية والسيرة ونحو ذلك، وذلك لأني تيقنت من قراءتي أن الحق كامنٌ في الوحي، في القرآن والسنة، وليس في الشيوخ والرجال، كنت أريد أن أتبع تعاليم ربي لا تعاليم الإنسان، وتولدت لدي قناعة أن الإسلام شيء، والمسلمين شيء آخر تماماً، لقد اكتشفتُ هذه الحقيقة مبكراً في ألمانيا وقبل إسلامي - الحمد لله -، فالإسلام هو المتمثل في الوحي، وليس الإسلام هو ممارسات المسلمين، وبعبارة أخرى: ليس الإسلام ما يفعله المسلمون، بل الإسلام هو ما على المسلمين أن يفعلوه.

❖ صلاة الجمعة

كان الأخ «خالد جونس» مواظباً على الصلاة ولا سيما صلاة الجمعة، وكان يوصله بسيارته إلى الجامع الأخ «جنكيز»، وفي جمعة من الجمع حصل ظرف للأخير فلم يتمكن من إيصاله، فطلب مني «جنكيز» أن أوصل الأخ خالداً، فكان ذلك.

هذا المسجد الذي دخلته هو مسجد متواضع - إن صح التعبير - ليس من الجوامع الضخمة ذات القبب والمآذن، بل هو أشبه بالمصلى، وقد كنت دخلته سابقاً ولكن ليس لأجل الصلاة، فهذه المرة الأولى التي أدخل فيها لأجل الصلاة، وكنت - في الحقيقة - مستحيياً قليلاً من ردة فعل الناس إن شاهدوا رجلاً ألمانياً أشقر الرأس يدخل المسجد، وكان غالب رواد المسجد كباراً في السن ومن «المملكة المغربية»، فدخلت المسجدَ مع الأخ خالد وكان الوقت مبكراً جداً لذلك كان المسجد خالياً تقريباً، وشرع خالد يصلي تحية المسجد، فقلدته في ذلك، وركعتهما كما فعل، وقد كانت عندي خلفية جيدة عن كيفية الصلاة كما شرحت سابقاً من المطوية التي أعطاني إياها

خالد، وواظبت على الصلوات الخمس لمدة ثلاثة أشهر تقريباً، لكني كنت حينها أجهل أن الصلوات مقيدة بوقت دقيق جداً وأنه يجب الالتزام بهذه الأوقات دخولاً وخروجاً، لم أكن أعلم هذا، بل كنت أوزع الصلوات الخمس على مدار اليوم وأعمل بالتقريب والتقدير والتخمين، فأقدر مثلاً أن وقت الظهر دخل في الساعة **١٢** ظهراً فأصليها، وهكذا.

ثم وجدتُ مسبحةً في المسجد: فأخذتها وطفقتُ أسبح وأهلل وأذكر الله تعالى[(١)]، في هذه اللحظات جاءني رجل مغربي وقال لي كلمات يسيرة غيرت مجرى حياتي إلى الأبد، قال لي:

هل أنت ألماني؟

فقلت: نعم.

قال: هل أنت المسلم الوحيد في أسرتك؟

صعقني سؤاله، وأصبحت أفكر في مثل الغيبوية وشرود ذهني وأسأل نفسي «هل أنا مسلم حقاً؟ ولكني لم أنطق بالشهادتين بنية الدخول في الإسلام!»

وفي لحظة حاسمة تاريخية بالنسبة لي قلت له بحسم وعزم:

«نعم أنا المسلمُ الوحيد في أسرتي، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله[(٢)]».

ومنذ تلك اللحظة أصبحت مسلماً ولله الحمد، وإلى ساعة كتابة هذه الحروف لا أدري من هذا الرجل ولا أعرف اسمه ولا أين انتهى به الأمر ولو رأيته الآن في الشارع لما عرفتُه، ولعله لا يدري أنه بسبب إسلامي أسلم خلائق لا يعلمهم إلا الله!

---

(١) وكنت تعلمت الأذكار قبل إسلامي من خلال القراءة.

(٢) ولم يكن يعلم هذا الرجل حينها أني نطقتُ الشهادتين بنية الدخول في دين الإسلام.

كانت تلك اللحظة التاريخية - بالنسبة لي - في الحادي عشر من شهر مايو عام ٢٠٠١م.

❖ ومن عجائب الاتفاقات:

أني ولدتُ في مدينة «فغشن» - من ضواحي كولن - ولم أعش فيها لحظة من حياتي، ثم أسلمتُ في مدينة «فغشن» أيضاً، ولله في ذلك حكمة، فكأني ولدتُ مرتين.

ولو سألتني فقلت: لو لم يأتك هذا الرجل المغربي هل كنت ستسلم؟!

فسأقول لك: لا أدري.

لأن كثيراً من الناس بحثوا عن الحق وكادوا أن يصلوا إليه ولكنهم ماتوا كفاراً ولم يوفقوا للإيمان والهداية، لذلك أنا أقول: لقد أسلمت بفضل من الله ومحض توفيق وتكرم ومنة منه سبحانه، ليس بحول مني ولا قوة ولا ذكاء ولا غير ذلك، وإنما هي هدية وهبني الله إياها، وقد كتب الله لي الهداية منذ الأزل ولكنه سبحانه إذا أراد شيئاً هيأ أسبابه، فلما أراد هدايتي وأن أجهر بإسلامي أرسل لي هذا المغربي كي يستنطقني وأعلن إسلامي، وليكون إسلامي بعد ذلك سبباً في إسلام أعداد كبيرة لا يعلمها إلا الله وفي هداية عدد ضخم من الشباب المسلم ورجوعهم إلى دينهم، نسأل الله أن يجعلنا من المخلصين وأن يتقبل منا صالح العمل.

شعرت براحة عظيمة حين أسلمت، وقلت في نفسي «أخيراً انزاح عني هذا الهم العظيم، وأخيراً أذعنتُ للحق، وأخيراً وصلت إلى المكان الذي يجب أن أكون عليه، وأخيراً ذقتُ طعم الإيمان، فاللهم لك الحمد والمنة»

وبإسلامي طويتُ صفحة من حياتي، وافتتحت صفحة بيضاء جديدة...



ملحق صور ١



في الثالثة من عمري



مع ابن خالتي يسار الصورة وكنت في الثانية من عمري

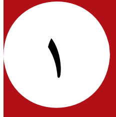


في الخامسة من عمري



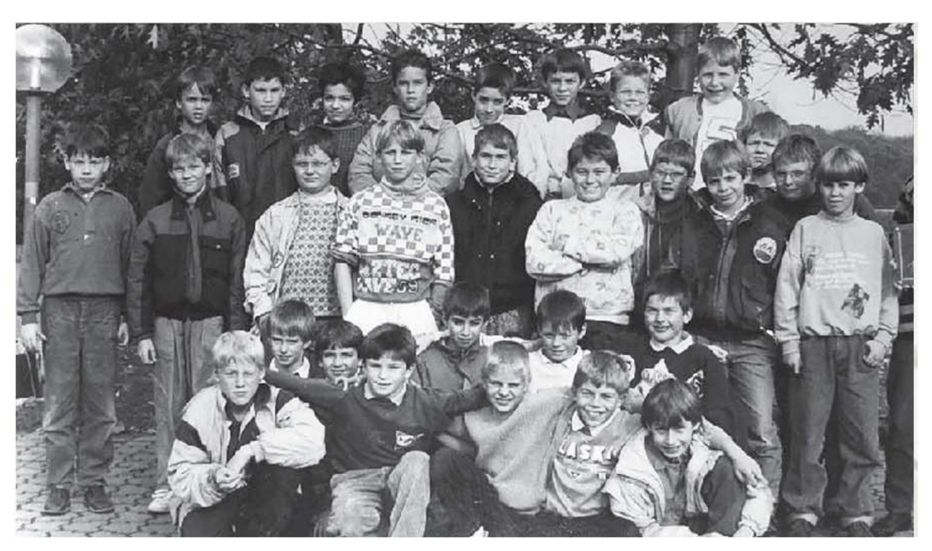
في التاسعة من عمري

ملحق صور





أنا وأبي، عندما كنت في الخامسة من عمري



في المدرسة النصرانية المخصصة للبنين فقط، وكنت حينها في الصف الخامس

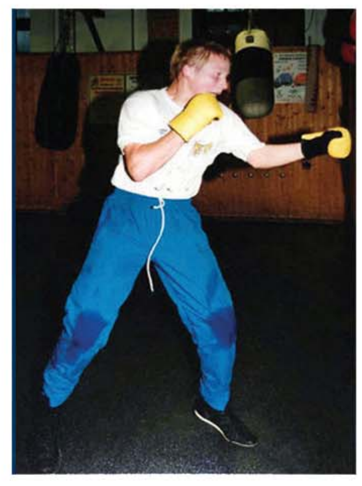
ملحق صور





في الخامسة عشر من عمري





ملحق صور





أنا في أقصى يسار الصورة، مع المجموعة التي تخرجت من الكنيسة التي اعترف لي فيها القسيس بأن الإنجيل محرَّف



أبي يتوسط صورة نشرتها إحدى الصحف لعصابة Hells Angels (ملائكة الجحيم) والذي كان عضواً فيها



Abschied vom guten Schwiegersohn May

Torstens Bruder Rüdiger schlägt Firat Arslan und blickt Richtung EM-Titel

Von ALEXANDER HAUBRICHS

Köln – Begeisterte Zuschauer, zufriedene Veranstalter: Bei der Boxgala vor tausend Zuschauern im Kölner Maritim-Hotel hätte die Stimmung kaum besser sein können. Lokalmatador Pierre Vogel, der mit dem King-Size-Dick-Hit „Kölle am Rhing" einmarschierte, bekam nach seinem klaren Punktsieg über Stefan Riegler das Grinsen nicht mehr aus dem Gesicht: „Die Fans waren unglaublich. Für mich war heute schon wieder Karneval."

„Kölle is jot", fand auch Rüdiger May. Der hatte im Hauptkampf des Abends die beste Show geboten. Mit dem Hamburger Firat Arslan lieferte er sich ein packendes Duell, gewann einstimmig nach Punkten.

„Er hat sich aus einigen kritischen Situationen immer wieder toll herausgekämpft. Damit hat Rüdiger den Durchbruch beim Kölner Publikum geschafft", sagte Bruder Torsten May.

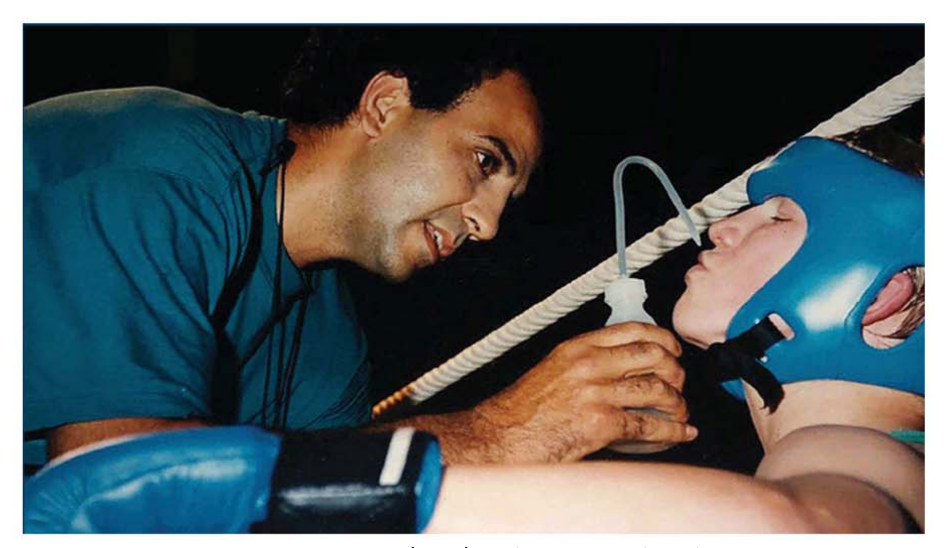
„Jetzt will ich noch in diesem Jahr um die Europameisterschaft kämpfen", jubelte Rüdiger nach der Verteidigung seines DM-Titels im Cruisergewicht, bei der er auch eine Image-Korrektur vornahm: „Mir wurde nachgesagt, ich sei nur ein guter Schwiegersohn. Heute habe ich gezeigt, im Ring bin ich das nicht."

Auch Veranstalter Wilfried Sauerland, der ihm den EM-Kampf versprach, war von der Stimmung überwältigt: „Dass die Zuschauer beim Einmarsch eines Boxers schunkeln, sowas gibts nur in Köln. Ich glaube, wir können jetzt hier an die Tradition toller Boxveranstaltungen wieder anknüpfen."

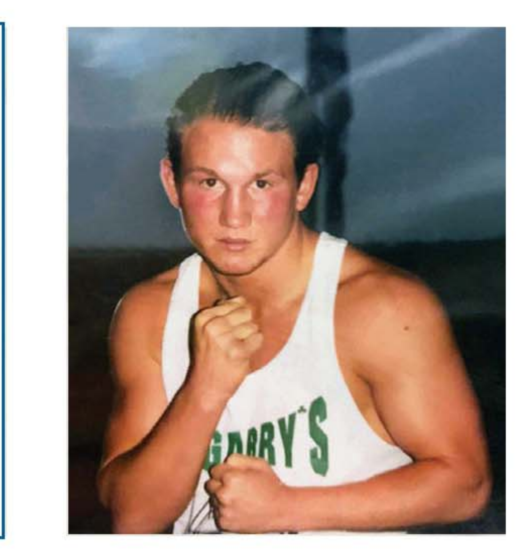
Eine Nummer größer: Pierre Vogel (l.) schlug Stefan Riegler klar.

خبر انتصاري على بطل الملاكمة في لعبة (الكيك بوكسنغ)

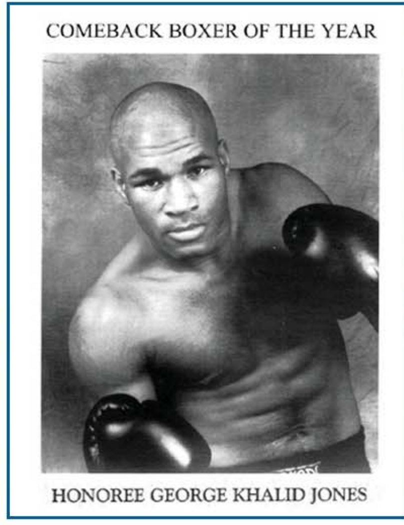
ملحق صور ١



مع مدربي الفلسطيني خالد خاطب الشهير باسم (رامي)



في شيكاغو

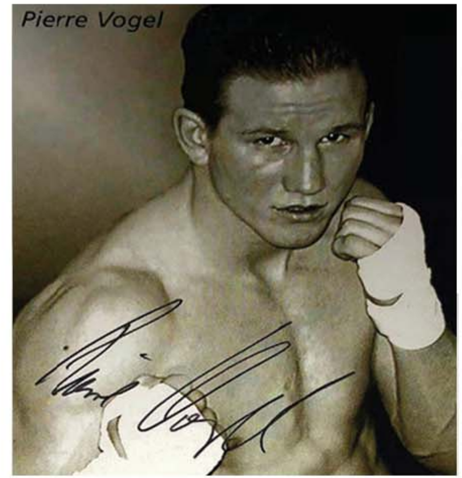


الأميركي جورج خالد جونس، الذي أعطاني مطوية تعلمت منها كيفية الصلاة وأذكارها قبل إسلامي

ملحق صور ١



مع أبطال ألمانيا عام ١٩٩٦م



صورتي للتوقيع



Promoter Sauerland setzt auf Köln

Coloneum – die neue Box-Hochburg

Von NICK SEELIGER

„Wir wollen mehr in Köln boxen. Und zwar im Coloneum. Die ersten Gespräche sind bereits geführt. Wir denken an drei Box-Abende pro Jahr."

Der erste „Coloneum-Kampf" soll eventuell schon im April 7.000 statt finden.

Das neue Box-Zentrum im Kölner Norden. Warum nicht in der Kölnarena?

Sauerland: „Im Coloneum haben wir eine Kapazität von 2500 bis 5000 Plätzen. Das kommt uns sehr gelegen."

Nicht nur die Kölnarena auch die Düsseldorfer Philipshalle dürfte dann als Box-Standort (WM-Kampf Ottke, EM-Kampf May) für das Sauerland-Team ausgesorgt haben.

Und für die Kölner Box-Fans hat Sauerland ja gerade noch ein richtiges Zugpferd besorgt:

Pierre Vogel (21) aus Frechen („Ich bin aber trotzdem Kölner. Denn Köln ist überall dort, wo kölsche Mund art gesprochen wird.")

Das Ziel des Managers: „Wir wollen Köln wieder zu einer richtigen Hochburg machen."

* * *

Übrigens: Sauerland-Rivale Kohl setzt noch auf die Kölnarena. Dort findet die Gala am 15. April statt: Dariusz Michalczewski und Graciano Rocchigiani (BILD berichtete).

مع المتعهد الألماني في ميدان الملاكمة: ويلفريد زاورلاند



ملحق صور



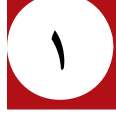


يظهر خلفي (توغستن ماي) الحاصل على الوسام الذهبي، الذي تأثرت بسبب هزيمته.

على يمين الصورة صديقي فردات الإيراني



مع بعض الأصدقاء المغاربة



١

ملحق صور

❖ شيوع خبر إسلامي

بدأ الخبر ينتشر تدريجياً، فعلم أولاً أصحابي المقربون، وعلم أهلي بذلك لاحقاً بالتدريج.

بصفة عامة تلقى أهلي الخبر بقبول حسن، ولم تحدث لي مشاكل كبيرة أو مضايقات منهم بل على العكس تماماً فقد تفهموا ذلك مني، ودعماني لا سيما أمي، فقد كانت تغضب كثيراً على الذين ينتقدونني بسبب إسلامي أو يتهجمون على ديني الجديد، ودخلت في مشاجرات مع كثير من الناس وكانت تشتمهم دفاعاً عني.

الحقيقة أن أمي: تعتقد الآن - وقت كتابة هذه السطور - أن الإسلام هو دين الحق، ودين القيمة الذي لا عوج فيه، فالتصديق موجود في قلبها، وتصدق بكثير من الغيبيات، ولكن ليس عندها أعمال القلوب من الحب والخوف ما يقودها إلى النطق بالشهادتين والعمل بالجوارح، فهي للأسف مشغولة جداً بدنياها، وغافلة عن الآخرة غفلة شديدة، هداها الله.

وكذلك موقف أبي كان جيداً وتقبل الأمر بسعة صدر لأنه كان يعطيني الثقة منذ الصغر على اتخاذ القرارات الفردية ولا يتدخل، فموقفه من إسلامي كان طيباً جداً وما زال.

اللهم مرة من المرات حصل لي موقف مع أبي ولم يتكرر بعد ذلك، وذلك أن أبي أحياناً يتكلم دون تفكير أو روية، وربما تكلم في شيء دون الإحاطة بتفاصيله، فمرة كنت معه، ودار النقاش عن الإسلام والقرآن، فبدرتْ منه شتيمة للقرآن وذكره بسوء، فغضبتُ غضباً شديداً واحمرّ وجهي وقلت بصوت مرتفع وانفعال شديد «هل قرأتَ القرآن»!؟ وكاد الأمر أن يصل إلى الاشتباك بالأيدي.

فلما رأى مني ذاك الجد والغضب - ولم يكن قد رآني كذلك من قبل - سكتَ، ولم يتكرر ذلك منه.

كان ذلك موقفاً عابراً، وإلا فإن علاقتي بأهلي عموماً جيدة قبل الإسلام وبعده الحمد لله.

لقد وقف معي أبي كثيراً ودعمني وشجعني بقوة، ولما دخلتُ مضمار الدعوة لاحقاً - كما سيأتي شرحه بإذن الله - وتعرضت للهجوم من كثير من الأديان والتيارات والمذاهب والفرق، وكان بعض الناس يتوعدني بالقتل من ورائي جبناً = دافع عني أبي مستميتاً وكان على استعداد تام ليقف في وجه الجميع، وقد قال لي بصريح العبارة:

«يا بيير، من تعرض لك بسوء فأرجوك رجاءً أن تتصل بي، فسأكون قد جمعت أصحابي في غضون خمس دقائق»!

ولم يكن أبي يمزح في ذلك، أبي عضو في جماعة Hells angels كما تقدم، ويستطيع أن يجمع بنفوذه ٥٠ رجلاً في دقائق معدودة، ومنتسبو هذه الجماعة بالآلاف، يهابهم الناس، وكلهم من مفتولي العضلات، يقودون «الهارلي» ويشتركون جميعاً في صفة واحدة هي: أنهم لا يملكون شيئاً يخسرونه.

وأما أختي:

فقد أكرمني الله تعالى بإسلامها على يديّ، وهي أول من أسلم من النساء على الإطلاق عندي، وأول من أسلم من أهلي، وقد تزوجت بمسلم، ورزقها الله بولد سمته بلالاً، وآخر سمته موسى.

وكذلك من أوائل من أسلم في أسرتنا:

بنت خالتي، اسمها «نادين» وهي متحجبة فاضلة، وعندها من الأولاد

«جليل وعبد الله، وهداية، وهناء»، وأستطيع أن أقول إنها أسلمت - على وجه الدقة - على يد زوجتي أم حمزة - حفظها الله وبارك فيها وجزاها الله عني خيراً -

ثم بدأ الإسلام يتغلغل شيئاً فشيئاً في أسرتنا:

فأسلم ابنٌ لأبي - من امرأة أخرى وليس من أمي - وحسُن إسلامه وكان يتردد عليّ كثيراً ويصلي معي في بيتي، وذلك لأني لاحقاً ضاقت علي مساجد ألمانيا، حتى إنّ أحد المساجد التي كنت أصلي فيها الجمعة وكان الناس يتجمهرون عليّ بعد الصلاة = فخاف من ذلك مسؤولو المسجد وأرسلوا لي رسالة خطية مفادها: أنك غير مرحب بك في مسجدنا.

لذلك كنت وما زلت أقول إن هناك أربعة أمراض تدمر المسلمين تدميراً:

١ - الجُبن.

٢ - الحسد.

٣ - حب السلطة.

٤ - الغباء.

على كل حال، تلك قصة مؤلمة أخرى، أعني قصة بعض المسلمين الجبناء، ولعلنا نتطرق له بتفصيل في موضع آخر، مراعاةً للتسلسل في الأحداث.

❖ حياتي بعد إسلامي

بعد ذلك مارست حياتي طبيعياً، وعملتُ بما معي من علم قليل عن الإسلام، وسارت الحياة في أول الأمر طبيعية، فبعد إسلامي بأيام كانت عندي مبارزة مهمة مع بطل العالم في لعبة «الكيك بوكسنج» في فندق شهير،

وتحدثت وسائل الإعلام عن هذه المبارزة التي حالفني الحظ فيها والتوفيق وانتصرت انتصاراً لافتاً على المذكور، كان ذلك في **١٩** من شهر مايو عام **٢٠٠١**م.

وفي هذه الفترة - أعني أوائل أيام إسلامي - لم يصل خبر إسلامي إلى وسائل الإعلام وعموم الناس، بل وصل كما قلت إلى أهلي والمقربين لدي فقط.

❖ السفر إلى المغرب

عام **٢٠٠١** شهر مايو – بعد إسلامي بأسبوع تقريباً عزمت على السفر إلى المغرب، والسبب في اتخاذي قرار السفر واختيار المغرب بالتحديد هي أمور:

- منها: أني أحببت أن أشاهد بلداً عربياً إسلامياً وأردت أن أتعرف أكثر على الإسلام عن قرب، وكي أتذوق سماع صوت الأذان من المساجد، وأن أتعلم شيئاً من العربية.
- ومنها: أنه كان لي كثير من الأصدقاء المغاربة، فمن خلالهم عرفتُ شيئاً عن هذا البلد فأحببت أن أزوره، لا سيما أن كثيراً من الألمان يذهبون للسياحة هناك وتحديداً إلى مدينة «أكادير».
- ومنها: أن المغرب تعتبر قريبة جداً إلى أوروبا، فهي من أقرب البلدان العربية الإسلامية إلينا.
- ومنها: أني لا أحتاج في الدخول إليها لتأشيرة، بخلاف ما لو ذهبت إلى السعودية مثلاً التي تحوي مدينتين مقدستين فسأحتاج إلى تأشيرة.
- ومنها: أني كنت وقتها عزمت أن أبحث عن زوجة مسلمة صالحة عربية.

وغني عن القول إني وقتها لم أكن أحيط علماً بواقع المسلمين، ومدى قربهم أو بعدهم عن دينهم الآن في الدول العربية.

❖ الوصول إلى مطار المغرب

بعد أن أنهيت إجراءات الجوازات والدخول وخرجت، هجم علي رجل يريد حمل أمتعتي بالقوة!

وأنا في الحقيقة تعجبتُ من هذا التصرف وامتعضتُ منه، حيث لم نعتد نحن على هذه التصرفات، ثم أنا لم أطلب منه أن يحملها أصلاً، ثم بعد ذلك طلب مني نقوداً، فأعطيته ما تيسر، فأصرّ أنه يستحق أكثر من ذلك وألح عليّ، فأعطيته أكثر، واتضح لي لاحقاً أنه أخذ أكثر مما يستحق.

هكذا إذن وصلت إلى أول بلد عربي وإسلامي، والناس في عموم المغرب يتحدثون إما بالعربية أو بالفرنسية، وأنا لغتي الأم الألمانية وأتحدث الإنجليزية،وكنت أحاول أن أتحدث أحياناً مع الناس بالكلمات العربية اليتيمة اليسيرة التي حفظتها في ألمانيا - قبل إسلامي -، وكنت أرى الناس يفرحون جداً حين يروني أحاول أن أكلمهم بلغتهم، وهذا ساعدني أيضاً أن أتعلم وأكتسب كلمات عربية جديدة منهم خلال هذه الأيام، وأما في «أكادير» فلم أواجه صعوبة مع اللغة ولعل ذلك بسبب كونها سياحية.

وهكذا تجولت في البلد محاولاً التعرف على الناس وخالطت الباعة في السوق، وبحثتُ عن لوحة فيها «آية الكرسي»: كي أعلقها في بيتي بألمانيا، أسوةً بالمسلمين الذين يفعلون ذلك، وإظهاراً لحبي وانتمائي لهذا الدين الجديد، وقد علمتُ لاحقاً أن هذا العمل ليس من السنة.

والعجيب أن الباعة رفعوا عليّ سعر «اللوحة» وبالغوا جداً في ثمنها حتى اتضح لي لاحقاً أنهم أرادوا بيعها علي بخمسة أضعاف ثمنها الحقيقي،

ولم يشفع لي حداثة إسلامي بل - للأسف - حملهم الطمع على استغلال إسلامي فرفعوا السعر.

وكذلك كنت أبحث في السوق عن آية الكرسي تكون على شكل خيط يُربط في الحلق أشبه بالتميمة التي أجازها بعض السلف،فلم أجدها في كثير من الدكاكين بعد بحث طويل، وبعد فترة جاءني رجل وكان يعلم مدى حرصي وحبي لهذا: فعرض علي بيعها بسعر خيالي لا يصدق.

هذه المواقف وأشباهها أزعجتني كثيراً، وأنا لا أقول إن كل المغاربة سيئون، فهذا حكم جائر، ولكني أتكلم عن مواقف محددة حصلت لي مع أشخاص معينين،ثم مدينة «أكادير» هي مدينة سياحية، وكل مدينة سياحية يكثر فيها النصابون والمحتالون والمستغلون، لذلك وجدتُ الوضع مختلفاً إلى حد كبير في المدن الأخرى، أعني المدن غير السياحية.

❖ **مراقص المغرب**

أصدقكم القول أني حينها لم أكن أعلم أن دخول المراقص والرقص بين الجنسين والأغاني الصاخبة = أنها محرمة شرعاً، نعم لقد كنت أعلم من خلال القرآن والسنة أن الزنى حرام لكن لم أكن أعلم أن ذرائع الزنى كذلك، فلا يلمني القارئ على ما سأورده في السطور القادمة فقد كنتُ حديث عهد بإسلام وما زال فيّ حينها بقايا من بقايا الجاهلية، لذلك أحببت أن أذهب إلى مراقص «أكادير» والطريف ليس هنا بل الطريف أن سبب ذهابي إلى هناك هو البحث عن زوجة مسلمة «صالحة».

وهذا ليس غريباً على ثقافتنا، لأنه في الثقافة الغربية هذه هي إحدى الطرق المتبعة للحصول على زوجة في الغرب.

في الحقيقة لم أدخل مراقص كثيرة في المغرب، ربما مجموع المراقص التي دخلتها كانت بالكاد تصل ثلاثة، وفي إحدى المراقص التي دخلتها

جاءت إليّ فتاة وبادرت بالحديث معي، وهذا يعد غريباً وعيباً عندنا في ألمانيا أن تبدأ الفتاة قبل الشاب بالتعارف.

قد يكون الحال تغير في ألمانيا الآن لست أدري، فأنا لم أدخل المراقص منذ قرابة عقدين من الزمن وأرجو الله ألا أدخلها وأن يثبتنا على الاستقامة وطريق الصلاح والحق إلى أن نلقاه.

نعم

نسيت أن أخبركم بأمرٍ وهو أني لم أكن وحيداً في المغرب بل كان معي صديق ألماني نصراني اسمه «ماغك»(١) وهو الآخر أيضاً تعرف على فتاة في المرقص نفسه.

وللأسف الشديد اكتشفت أن الفجور الموجود في مراقص المغرب أشد من مراقص ألمانيا.

حتى إنّ صديقي النصراني الألماني قال لي مدهوشاً «ما هذا يا بيير!».

لذلك هنا بدأت أقتنع أن البحث عن زوجة جيدة في «المراقص» لم يكن قراراً سليماً فصرفت النظر عن هذه الطريقة.

مما لم يعجبني في تلك الأيام النظرة العربية لنا، شعرت أنهم ينظرون إلى كل غربي أنه صيد ثمين ومنجم ذهب، ويظنون أن كل الغربيين أغنياء، أذكر مرة أنه جاءني طفل يتسول عمره في حدود الثامنة، فلم يكن عندي مال كثير، ولم يكن عندي إلا بضع عملات نقدية، فأعطيته إياها، فلما رأها استقلها ورماها خلفي وأنا أمشي، فأزعجني ذلك.

---

(١) رجل ظريف صاحب فكاهة، تعرفت عليه أيام الجاهلية حين كان عمري ١٢ سنة، وذلك بسبب كثرة ما كنت أسمع عنه بين الشباب أنه شاب قوي ولا أحد يمكنه النيل منه، فذهبتُ إليه وضربته ضرباً مدمراً، وهكذا بدأت صداقتي معه التي امتدت إلى سنين، وكنت آمل أن تقربه هذه الرحلة إلى الإسلام ولكن ذلك. للأسف. لم يحصل ولم يسلم الرجل.

من غرائب الأشخاص الذين التقيت بهم في هذه الفترة:

رجل يعمل في القطاع السياحي في «أكادير» يقال له «لعربي» أي «العربي»، وهو رجل بدوي المظهر، كأنه جاء من أعماق الصحراء منذ يومين، ويلبس الجلاب المغربي، أشعث أغبر، لا ترى عليه أثر الحضارة والمدنية، وهو يملك ناصية الفكاهة والظرافة بصورة عجيبة، ومع هذا فهو يتحدث الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والأمازيغية وكثير من الألمانية بالإضافة إلى العربية.

وقد تتعجب لو قلتُ لك إني تعلمتُ منه الكثير، وأهم ما تعلمتُ منه هو مفهوم «الاتباع» فكان كثيراً ما يقول لي:

أفعل هذا لأن النبي ﷺ فعله.

ولا تفعل هذا، لأن النبي ﷺ لم يفعله وهكذا...

وقد سألته عن بعض الأمور في الإسلام وراجعت معه الوضوء.

وهنا بدأ لأول مرة يطرق أسماعي «المنهج السلفي» في التعبد والتعامل مع النصوص، وهو الوقوف والتقيد بما ورد عن السلف الصالح، أو بعبارتهم الشهيرة «كتاب وسنة على فهم سلف الأمة»، وقد فهمت هذا كله منه دون أن يصرح بلفظ «السلفية أو السلف».

وتحدثت معه كذلك عن احتفالات المغاربة بالمولد النبوي، وفهمت من كلام هذا الأخ العجيب «العربي» أن ذلك بدعة لم يفعلها النبي ﷺ ولا السلف الصالح.

وذهبت مع هذا الأخ[1] إلى أحد الجوامع الكبيرة وكان ممتلئاً بالمصلين الذين جاؤا لصلاة الجمعة، فأعجبني ذلك حيث كانت المرة الأولى لي التي أشهد فيها هذا العدد الكبير.

---

(١) بلغني أنه توفي رحمه الله.

لقد زرت أيضاً «مراكش» و«الدار البيضاء»، وزرت المسجد الكبير المعروف «مسجد الحسن الثاني» وصليت فيه، وأحببت المسجد والصلاة فيه لسعته وجماله.

وكذلك أحببت «مراكش» لأنها مدينة جميلة جداً، وسأتكلم عنها لاحقاً إن شاء الله، وذلك لأني تعرفت على زوجتي لاحقاً في شهر ديسمبر **٢٠٠١**م وهي من «مراكش» وتزوجت بها في مارس **٢٠٠٢**م أي بعد عشرة أشهر من إسلامي.

بعد ذلك انتهت أيامي في المغرب - قرابة أسبوعين - وعدت إلى «ألمانيا».

❖ السفر الأول إلى مصر

رجعت بعد ذلك إلى ألمانيا، وسارت حياتي طبيعية، ومكثت قرابة شهر تقريباً، وبعدها عزمت على السفر إلى بلد عربي جديد.

في هذه السفرة أخذت معي أمي أيضاً بنفس النية التي أخذت بها صاحبي «مارك»: كي تتعرف على بلد عربي إسلامي لعلها تتأثر أو تنجذب إلى هذا الدين.

وقد كانت أمي زارت مصر قبل ذلك، وقبل إسلامي، حيث رتبت لها سفرة سياحية متكاملة، فهذه الزيارة الثانية لها، والأولى لي.

نزلنا إلى مطار مدينة «الغردقة» وهي العاصمة الإدارية لمحافظة البحر الأحمر، تعتبر مدينة سياحية ساحلية، ووجهة لكثير من السياح الأوروبيين وغيرهم.

وهكذا بدأت رحلتنا السياحية التي شملت المعالم السياحية المعتادة التي يقصدها الناس، وهكذا تسنى لي أن أختلط بكثير من المصريين على اختلاف مهنهم.

أستطيع أن أعطي القارئ انطباعاً أولياً وليس نهائياً عن مصر فأقول:

وجدتُ الناس هناك ودودين جداً وطيبين إلى حد كبير، وقد سمعت قبل ذلك عنهم: أنهم محبون للإسلام بشدة ويتأثرون بسرعة، وتظهر عليهم مظاهر التدين الفطري بجلاء، رغم كون كثير ممن خالطتهم وصحبوني إلى معالم السياحة = لم يكونوا يصلون فيما رأيتُ، ولكنهم كانوا بالمقابل يتأثرون حين يشاهدونني مواظباً على الصلوات الخمس في وقتها.

أيضاً -وهذا أمر أسعدني كثيراً- لقد لمست منهم فرحاً عظيماً لإسلامي حين علموا به وكأنهم بُشروا بولادة مولود لهم، لا يستطيع الواحد منهم أن يكتم مشاعر فرحه حين يعلم أني ألماني اعتنقت الإسلام، ويؤسفني أن أقول إني بالمقابل كنت أشعر أحياناً من كلام بعض من أخبرتهم بإسلامي في المغرب = أني أكذب عليهم!

ثم هالني أيضاً هذا التعلق العجيب من المصريين بالقرآن، أمر لا يصدق، فالقرآن يجري في عروقهم ودمائهم، وربما تجد الواحد منهم لا يصلي ولكن يحفظ كمية لا بأس بها من الآيات الكريمة، وهذا عجيب جداً، ولا أظن أني رأيته في أي بلد إسلامي آخر، تخيل أنك تسمع القرآن في كل مكان: في السوق والشارع والمطاعم والمقاهي والأزقة والحدائق وفي السيارات وغيرها من وسائل النقل الكثيرة في مصر،إنه أمر مذهلٌ حقاً.

أما صلاة الجمعة هناك فشيء آخر، تأثرت به جداً، وشعرت بشعور غريب حين رفع المأمومون أصواتهم قائلين «آمين» وذلك بعد فراغ الإمام من قراءة الفاتحة.

❖ إلى القاهرة

تعرفت على رجل مصري يعمل في قطاع السياحة، وعرض عليّ أن يأخذني وأمي إلى أسرته في «القاهرة» كي نتعرف عليهم، وهناك نقوم بجولة سياحية لأهم معالم «القاهرة».

أخذنا في حافلته، وقطعنا مسافة طويلة «٨٠٠ كيلو متر تقريباً» ونزلنا أنا وأمي في ضيافة أسرته الكريمة وفي بيتهم لعدة أيام.

القاهرة كما هو معلوم تختلف عن أي عاصمة عربية، وليست مهمتي الآن الدخول في تفاصيل وصف مدينة القاهرة لأن هذا أمر ميسور جداً ولعل كثيراً من القراء زاروها فهي من أشهر العواصم العربية على الاطلاق، فلن أضيف جديداً إذا قلت للقارئ إني تفاجأت بالفوضى المرورية في شوارع القاهرة، وهي فوضى مزعجة حقاً ومؤذية، وبالمقابل كنت أسمع القرآن في أماكن كثيرة، علاوةً على الأذان الذي يملؤني طمأنينة وسكينة، وبسبب كثرة الجوامع والمساجد في القاهرة كنت أشعر أن صوت الأذان يأتي من فوقي ومن تحتي وعن يميني وعن شمالي، فقد كان صوتاً مجلجلاً يغمر المكان كله أينما ذهبت، وهذا ما لم أرهُ في المغرب حيث كانت بعض الأماكن - لا سيما الأماكن السياحية - لا تكاد تسمع فيها الأذان إطلاقاً.

ولعلي بدلاً من الخوض في تفاصيل وصف القاهرة أذكر للقارئ بعض المواقف المهمة التي كان لها أثر في حياتي:

فمن ذلك أني ركبت مرةً مع أمي في القطار، وصادف أن مقعد أمي يقع بجوار رجل متدين «ملتحٍ» فلما جلست أمي جوارَه: قام من مكانه، لأنه لا يريد أن يجلس بجانب امرأة.

في الحقيقة: كنت حينها حديث عهد بكفر، فكان هذا الأمر غريباً بالنسبة لي ولأمي، وكنت أرى - حينها - أنه نوع من التنطع والتشدد، لكن الآن بعد مرور سنين: أنا أتفهم هذا جداً، بل لو جلست جواري امرأةٌ الآن لغيّرت مكاني.

وأحب أن أهتبل الفرصة لأقول كلمة للمسلمين:

بغض النظر الآن عن قضية حكم الجلوس جوار امرأة أجنبية في مكان عام هل هو حلال أم حرام؟

هذا لا يعنيني الآن، فهذا يجيب عنه الفقهاء والعلماء، وإنما الرسالة التي أريد أن أبعثها هي:

لا تبالغوا كثيراً في الاهتمام بنظرة الغرب لكم، لا تكترثوا بما يقوله الناس عنكم كثيراً، لا تقولوا «ماذا سيقول الغرب عنا؟ أو ماذا سيقول الناس عنّا إن نحن فعلنا هذا؟ سيتهموننا بالتخلف والتشدد والتنطع والرجعية» أقول لا تبالوا بكل هذا ولكن بشرط مهم واحد:

وهو أن يكون ما تفعلونه هو من الإسلام حقاً وليس من العادات والتقاليد العربية، وهذا أمر مهم جداً، فثمت فرق كبير بين الإسلام من حيث هو دين، وبين ممارسات المسلمين التي قد تكون خليطاً من الدين والعادات، فإذا كان الذي تمارسه أنت قد أمرك ربك به في القرآن أو ورد في السنة النبوية = فافعله ولا تلتفت إلى قولهم: «ماذا سيقولون عنيّ»؟

وأنا أتعجب جداً من المسلمين الذين يأتون عندنا في الغرب ثم هم يتنازلون عن قضايا دينية لا لشيء ولا لقناعات فقهية معتبرة بل لمجرد «الهزيمة النفسية» و«الذل» و«الخوف من نظرة الغربيين لهم».

فتجده يتساهل في أكل اللحوم التي لم تذبح ذكاة شرعية، ويتساهل في مصافحة النساء - مع أن الأئمة الأربعة يحرمونه - ويتساهل في الصلاة خجلاً من الناس، وتجد الفتاة تتساهل في حجابها = كل هذا وأمثاله بحجة «ماذا سيقول عنا الغرب»؟

وليس لهذا عندي تفسير إلا الهزيمة النفسية.

وبالمقابل نجد الغربيين في الغرب - في الجملة - هم من أشد الناس تمسكاً بدينهم بعد أن يسلموا، وتجد الغربية - في الغالب - متمسكة جداً بحجابها مثلاً.

على كل حال...

كنت سعيداً بمظاهر التدين التي أراها في كثير من شوارع القاهرة:

فالحجاب لا تكاد تخطئه عينك فأنت تراه في كل مكان، ومظاهر السنة بادية على كثير من الرجال، ورواد المسجد كثيرون جداً، أما المكتبات الإسلامية في القاهرة فحدث ولا حرج.

ذهبت إلى المكتبات الإسلامية واشتريتُ مجموعة ثمينة من الكتب، من أهما وأجلها:

صحيح الإمام البخاري - مترجماً إلى الإنجليزية - يقع في تسعة مجلدات.

وكذلك كتب الشيخ محمد الجبالي عن الزواج والأسرة المسلمة.

وكتب أخرى.

❖ مع صحيح البخاري

وقد كان فرحي بصحيح البخاري فرحاً عظيماً وذلك أني كنت قرأت «مختصر البخاري» باللغة الألمانية **قبل إسلامي** في ألمانيا، وقد شرحت ذلك، فأحببت هذا الكتاب وتعلقت به جداً، لا سيما أني عرفت من خلال قراءاتي أن هذا الكتاب يعتبر أفضل وأصح كتاب عند المسلمين بعد القرآن الكريم، فمن هنا بدأ اهتمامي وحبي له.

وكما ذكرت سابقاً فقد كنت أحتكم إليه كثيراً عند الخلافات وأجعله فيصلاً في النزاعات بين المسلمين، وذلك أني كنت أرى أموراً يفعلها المغاربة فيخالفهم الأتراك ويوافقهم المصريون وهكذا، فالاختلاف هو سنة الله الكونية في البشر، وليست المشكلة في الخلاف نفسه، وإنما في كيفية التعامل مع هذا الخلاف، فالخلافات الفقهية أمرها يسير وهي لا تضر عقيدة المسلم.

لما اقتنيت النسخة الإنجليزية الكاملة للبخاري وقرأته أحببته أكثر، وتعلقت به أكثر، وجدته يفصل في كثير من القضايا والنزاعات التي رأيتها بين المسلمين، وذلك أني رأيت بأن المسلمين مهما اختلفوا في الفروع فإنهم لا يختلفون أن البخاري هو أصح الكتب المصنفة.

ومنذ ذلك اليوم، وإلى يومنا هذا، وأنا على هذا النهج أسير، أعني الاحتكام - عند الخلاف - إلى القرآن وصحيح السنة - وعلى رأسها البخاري - معتمداً طبعاً على شروح وفهم السلف لا على فهمي أنا.

وهذه مسألة مهمة...

وهو أن بعض الناس يتسلط على الوحي من القرآن والسنة ويريد أن يعتمد على فهمه ويستقل عن فهم السلف والعلماء فيضل ويُضل.

أيضاً لا يفهمنّ إنسان من كلامي أني ضد المذاهب الفقهية الأربعة، بل على العكس تماماً فأنا قد درست المذهب الحنبلي، وما زلت إلى يومي هذا أقرأ في «الشرح الممتع» للشيخ ابن عثيمين، ولعلي أفصل هذا في موضع آخر إن شاء الله.

ومن أكبر أسباب تعلقي بالقرآن والبخاري هو أني كنت أريد أن أعبد الله على بصيرة وبينة، ولم أكن أريد أن أتبع أقاويل المشايخ هنا أو هناك، بل أريد اتباع الوحي من القرآن والسنة.

وقد يقول قائل:

ألم تخف أن تفهم الأحاديث خطأً حينما قرأتها بالترجمة دون شروح العلماء؟

فالجواب: أني بعد أن طلبت العلم - على أصوله - كما سيأتي إن شاء الله = اتضح لي أن فهمي لكل ما قرأت كان صحيحاً والحمد لله، اللهم إلا حديثاً واحداً في كتاب الوضوء فهمته خطأً ثم نبهني أحد طلاب العلم وصحح لي فهمي جزاه الله خيراً.

هذا بالنسبة للبخاري.

أما الكتاب الآخر وهو كتاب الشيخ محمد الجبالي وهو من خريجي الجامعة الإسلامية ودرس على يد الشيخ الألباني ﷺ، وكانت كتبه تتحدث عن الزواج في الإسلام، وانتفعت بها كثيراً لأني كنت حينها مازلت أبحث عن زوجة فلذلك كان مهماً لي أن أتفقه في هذا الباب، وأيضاً استفدت من كتبه أمراً آخر: وهو أني لأول مرة أقرأ هذه الجملة «صححه الألباني».

أيضاً اقتنيت كتاب «صفة الصلاة» للشيخ ابن باز ﷺ، وليس للشيخ الألباني، لأني أردت أن أتيقن أن صلاتي صحيحة، وأيضاً اشتريت كتاب «هل على المسلم أن يتبع مذهباً معيناً» بالإنجليزية طبعاً، وكان مؤلفه يرفض فكرة المذاهب.

ومن فضل الله علي أني كنت على اطلاع مسبق بوجود «المذاهب والفرق والجماعات» في الإسلام، شأنه في ذلك شأن كل الأديان التي تضم تحتها فرقاً، ومن رحمة الله بي أن حفظني من التشتت والتذبذب والحيرة حيال هذا الأمر، فلم يشكل هذا الأمر قلقاً أو هاجساً لي، وعرفت أن الأمر أيسر من ذلك بكثير خصوصاً في قضية «المذاهب الأربعة»، وخلاصتها أنها مدراس فقهية، هذا كل ما في الأمر، وكلهم يتفقون على الكتاب والسنة، وعقيدة الأئمة الأربعة واحدة في الجملة، وأما بالنسبة للفرق والجماعات = فهي التي قد تسبب ربكة لبعض الناس، ولكن الله وفقني منذ البداية، وعرفت أن هذه الجماعات أو الفرق لا تمثل الإسلام بل كلٌ يمثل نفسه، وقد حماني الله مبكراً من الضلالات والبدع بسبب التصاقي بالكتاب والسنة ولله الحمد، فكل من تمسك بالكتاب والسنة على فهم السلف فهو على الحق، وهم أهل السنة والجماعة والحديث.

وقد كنت خلال فترة وجودي في مصر أقرأ كتباً أعطتني إياها والدة فردات - الذي تحدثت عنه سابقاً - وهو إيراني وأمه شيعية، وكان الكتاب يتحدث عن مذهب الشيعة باللغة الألمانية.

❖ **موقفي من الشيعة**

رغم الأشخاص الطيبين الذين تعرفت عليهم في حياتي من هذه الطائفة، ورغم قراءتي للكتاب الذي حاول فيه مؤلفه أن يقنع القارئ بالمذهب الشيعي = أقول رغم ذلك كله فإني لم أقتنع بالمذهب الشيعي إطلاقاً، والسبب في ذلك باختصار شديد:

لما قرأت في بعض كتب الشيعة فهمت من كلامهم أنهم يجعلون الإيمان بعصمة الأئمة الإثني عشر ركناً من أركان الدين، ولا يتحقق إيمان عبد إلا به، وأن من لم يؤمن بذلك فهو كافر من أهل النار، ويسوقون على ذلك عشرات الروايات من كلام آل البيت ﵃، ثم في المقابل أنت لا تجد دليلاً واحداً في القرآن ولا في السنة على عصمة هؤلاء وجعلهم في منزلة الألوهية التي أنزلهم إياها الشيعة، فهذه النقطة كانت كفيلة في أن تنفرني من مذهبهم تماماً.

ويشهد الله أني كنت حينها حريصاً على الوصول إلى الحق، وما تركت ديني ودين آبائي وأجدادي وقومي إلا بحثاً عن الحق، ولو كنت أعلم أن الحق في مذهب الشيعة لاتبعته وأنا صاغر، ولكني ما وجدت في مذهبهم حججاً مقنعة لا عقلية ولا نقلية، وهذه كتبهم موجودة ومتداولة فليقرأها من كان يشك في صحة كلامي، وحسبك أن كتبهم ليس فيها - والله - نور القرآن والسنة، وأكثر ما يعتمدون عليه هو نصوص الأئمة، وليس من المعقول أن أفرّ من عبادة ثلاثة إلى عبادة اثني عشر إلهاً!

الأمر الآخر الذي يبرهن على صدق تجردي في البحث:

أني لو أردت المال والدنيا والمصلحة الشخصية لاخترت المذهب الشيعي، ولكنت الآن من الأغنياء لما ستصبه عليّ إيرانُ من الأموال صباً، ولفتحت لي مركزاً «حسينية» في أرقى أحياء ألمانيا، ولجمعت «الخمس» مع المتعة الجنسية الذي يبيحه هؤلاء تحت ستار «زواج المتعة» هذا فضلاً عن البعثة العلمية إلى «قُم» لتلقي العلم في أرقى جامعاتهم.

في حين أني الآن لما اتبعتُ الحق ووجدته في اتباع الكتاب والسنة على نهج السلف وهم أهل السنة والجماعة لم يقف معي أحدٌ إلا الله هو نعم المولى ونعم النصير، وحالتي المادية لا يعلم بها إلا الله وحده والحمد لله رب العالمين.

أيضاً من المواقف التي نفرتني من الشيعة:

أنّ أم فردات أهدت لي مرة مجموعة من الأحجار وقالت لي «إنها أحجار مقدسة مباركة من أرض كربلاء، تجلب لك الخير وتدفع عنك الضر» وقالت كلاماً شبيهاً بهذا، كما رأيتهم يصلون عليها على ما هو معروف من مذهبهم.

في الحقيقة: كان هذا الأمر بالنسبة لي كأنه دعوة إلى النصرانية الكاثوليكية، لأن الذي فهمته من القرآن أنه يدعو إلى التعلق بالله وحده وأنه هو وحده الذي يملك الضر والنفع، فكيف لهذه الأحجار الصغيرة أن تضرني أو تنفعني؟!

هذا الأمر ذكرني مباشرة بالكاثوليكية الذين يتعلقون بالمخلوقين كالأولياء.

❖ مع الصوفية

أما الصوفية – ولا سيما الغلاة منهم - فلم يقنعني مذهبهم قط، ووجدتُ تشابهاً كبيراً بينهم وبين الشيعة، فإذا كان الشيعة يعبدون آل البيت رضي الله عنهم، فإني رأيت غلاة الصوفية يعبدون الأولياء والصالحين، ويشحنون كتبهم بأقاويل ونصائح الأولياء والصالحين والأقطاب ونحو ذلك.

أذكر أني في بداية إسلامي قرأت كتباً للصوفية، وقرأت أيضاً بعض رسائل بديع الزمان النورسي التركي -رحمه الله- ولعلي قرأت كتابه قبل إسلامي

في مكتبة «كولن»، والنورسي على ما في رسائله من خير، وعلى ما عرف عنه من مجابهة ووقوف في وجه الطاغية أتاتورك = إلا أن كلامه لم يعجبني بسبب إغراقه في التفسير بالرأي المحض، نعم كان النورسي يدور في فلك القرآن ولا يخرج منه، ومعظم كتاباته تدور حول تفسير القرآن والتأملات حوله، ورأيت أنه كثيراً ما يستنبط من القرآن أموراً ليست فيه، وإنما محض تخيلات وتكلفات منه ﷺ تعالى رحمة واسعة وجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين.

وبالجملة فمنذ أسلمتُ وإلى الآن وأنا أنفر أشد النفرة من أي جماعة أو أفراد يقدسون الرجال والشيوخ والأولياء والمخلوقات ويعبدونهم من دون الله ويريدون منا أن نتبعهم، سواء كانوا شيعة أو صوفية أو كانوا من "بعض" الذين ينتسبون إلى السلفية من الذين يغلون في شيوخهم وينزلونهم منزلة المعصومين بلسان الحال لا بلسان المقال، وللحديث عن هذه الفئة موضع آخر إن شاء الله.

أعود إلى الكلام عن مصر بعد هذا الاستطراد الذي أراه مفيداً:

أيضاً مما فعلته في مصر أني زرت بعض المعالم الإسلامية الشهيرة كالجامع الأزهر وجامع عمرو بن العاص - إذا لم تخني الذاكرة - كما زرت أيضاً «التسجيلات الإسلامية» واشتريت مجموعة من الأشرطة القرآنية، واخترتُ آن ذاك «مصحف الشيخ المنشاوي» الذي كان يعجبني صوته كثيراً، وكنت أستمع إلى تلاوته يومياً بعد ذلك في كل أحوالي، حتى في أوقات الجري، وبهذه الطريقة حفظت كثيراً من الآيات بعفو الخاطر.

وزرتُ أيضاً «الأهرام» لكنها لم تكن تجذبني كثيراً في ذلك الوقت كما تجذبني الآثار الإسلامية.

ولم أشاهد في الأماكن السياحية في مصر فساداً ظاهراً كبيراً - وكوني لم أر لا يعني أنه غير موجود، ولكني أتحدث عما رأيته تلك الفترة - وهذا

الأمر أعجبني جداً «وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين» فأنا لا أملك مركزاً للأبحاث وليس عندي إحصائيات وكل ما أقوله لكم هو رأي شخصي يمثلني، ويعبر عن وجهة نظري وما رأيته وشهدته بنفسي، وفي كل بلد في العالم خير وشر، ولكن القضية نسبية.

وعلى ذكر الفساد فهناك أمرٌ آخر هو أيضاً من أنواع الفساد، ولكن نظرتي له كانت مختلفة تماماً عن نظرة بقية الناس:

من المعلوم أن مصر تعتبر من دول العالم الثالث - كما يقولون - المتخلفة في شتى نواحي الحياة، وبعبارة مختصرة فهي متخلفة مادياً، فالطرق سيئة، والبنية التحتية أسوأ، والشوارع والأحياء متسخة، إلى غير ذلك مما يعرفه كل من زار القاهرة.

ولكن هناك أمر غريب لمستُه في وسط هذه الفوضى الحضارية أرجو أن يفهمني القارئ جيداً وأن أستطيع التعبير عنه بوضوح:

كنت أقارن كثيراً بين القاهرة وألمانيا:

نعم القاهرة فوضوية ومتسخة ولكن فيها حياة.

وألمانيا نظيفة جداً ومنظمة: ولكنها ميتة لا روح فيها.

ولا أدري ما السر في هذا؟

ولكني كنت حقاً أشعر بهذا:

لقد كنت أرى القاهرة كالرجل الفقير ولكنه يتوقد حماساً وحياةً وحيويةً ومرحاً وفكاهةً: فهذا يصرخ عارضاً سلعته، وهذا يقرأ القرآن، وهذا يتخاصم، وذاك يضحك، وآخر يهرب من الشرطة، وتلك أمٌ تنادي على ولدها الباكي، وهكذا في دوامة عجيبة غريبة.

أما في ألمانيا والغرب عموماً فتشعر أنهم أمواتٌ غير أحياء، حياة جافة

جادة عابسة لا روح فيها ولا طعم ولا لون ولا رائحة، يخرج الناس في الصباح إلى أعمالهم بكل جدية وانتظام، ويعودون آخر النهار منهكين، أشبههم - وأنا كنت منهم - بالأجهزة والآلات التي تعمل وتكد ليل نهار، ولكن بلا روح.

إنهم أشبه بالرجل الآلي: فهو يتكلم ويتحرك ولكن بلا مشاعر وعواطف.

ولا يتوهم متوهم أن هذه النظرة وهذا التحليل إنما هو بتأثير الإسلام علي، وأنه نوع من الانحياز والتعاطف مع المسلمين ومحاولة لإضفاء غطاء وستر على تخلف المسلمين المادي...

كلا

وإنما أنا على يقين أن هذه ستكون نظرتي لو زرت القاهرة قبل إسلامي، لأني أعرف نفسي جيداً...

بدليل:

أني كنت أجد شعوراً غريباً قبل إسلامي على مستوى أقل من هذا، وذلك حينما كنت أمر بمقابر النصارى:

كان مشهد المقبرة النصرانية بالنسبة لي يسبب لي رعباً، فلا أرى فيها أي روح، على عكس ما كنت أجده حينما أشاهد قبور المسلمين فأشعر أن عليها مهابة وجلالاً ونوراً.

وقبل أن أختم هذا المقام المتعلق بمصر أقول:

على ما في مصر من عيوب، إلا أني أحببتها في ذاك الوقت، وربما أكون أحببتها أكثر من المغرب، وبعد ذلك أنهيت هذه السفرة التي كان لها تأثير عليّ في مسيرتي وإسلامي، ورجعت إلى بلدي ألمانيا.

❖ الرجوع إلى ألمانيا

مكثت في ألمانيا أياماً، وانخرطت في وظيفتي الجديدة وهي «لاعب محترف» وكنوع من التدريبات سافرت مع فريقي والمدرب إلى جبال «سويسرا» كي نخضع لتدريبات مكثفة، والتمرين في الجبال مفيد جداً للحصول على «لياقة عالية»، ومكثنا قرابة أسبوعين إلى ثلاث.

❖ الجهر بالإسلام

خلال فترة التدريب كنت مع زملائي مجتمعين على مائدة طعام، وكان حول المائدة كل اللاعبين والمدربين، وفجأة دون مقدمات سألني المدرب قائلاً:

- هل أنت كاثوليكي أو بروتستانتي؟

في تلك المرحلة لم أكن قد جهرت بإسلامي أمام جميع الناس، وقد وضحت سابقاً أنه لم يعلم بإسلامي إلا المقربون جداً من أصحابي وأهلي، وكنت في تلك المرحلة لا أريد أن يعلم الجميع بإسلامي، لم أكن حريصاً على ذلك ولا راغباً فيه، كنت أريد أن يبقى الأمر مخفياً إلى أن يقضيَ الله أمراً كان مفعولاً.

من ضمن أصحابي المقربين الذين كانوا يعلمون عن إسلامي هو الأخ «جنكيز كوتش» وقد تحدثت عنه كثيراً، وقد كان حينها معنا على المائدة التي تجمع مجموعة من اللاعبين المحترفين وكان هو منهم، وكان يستمع إلى الحوار والسؤال باهتمام وتأمل بماذا سأجيب؟!

فقلتُ للمدرب:

أنا لستُ كاثوليكياً ولا بروتستانتينياً.

وقد كان جواباً دبلوماسياً مني رغبة في إنهاء الموضوع بجواب يرضى

جميع الأطراف، دون أن يعلم الجميع بديني الجديد، لكن «جنكيز» لم يعجبه جوابي، فقال مفتخراً بي ومسروراً:

- إنه مسلم!

فتعجب السامعون من ذلك.

أما المدرب: فقد شعرت أنه لم يعجبه الأمر.

بعد هذا الموقف ومع مرور الأيام بدأت أشعر أني غير مرغوب فيّ، وكل هذا مجرد شعور، بمعنى لا أستطيع أن أجزم بما ذكرته من مشاعر المدربين واللاعبين أنها صارت سلبية تجاهي، وإنما هو تخمين وشعور مني، قد أكون مصيباً وقد أكون مخطئاً، ولكن إحساسي في مثل هذه المواقف - غالباً - لا يخيبني.

بدأ الخبر يتنشر شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى الصحافة ووسائل الإعلام، وكتبت بعض الصحف الألمانية عني، ولم يكن في كلامهم حينها أي نقد أو هجوم أو سخرية، بل كان مجرد توصيف، وقالوا كلاماً مفاده أننا أمام حالة جديدة أشبه بظاهرة إسلام بطل الملاكمة المشهور «محمد علي كلاي[1]» رَحِمَهُ الله.

والإعلام الغربي لا يهاجمك ولا يبالي بك إذا كنت أسلمت ولزمتَ بيتك، أما إذا بدأت تخرج للناس وتدعو إلى التوحيد وتنهى عن الشرك والرذائل = حينها سيرميك الإعلاميون عن قوس واحدة وسيجعلونك شيطان الشياطين وملك الإرهابيين، كما ستعرف هذا لاحقاً في موضعه المناسب إن شاء الله.

بدأت أشعر مع الأيام أني «غير مرغوب فيّ هنا» وأن هذا المكان لا

---

(١) عُرف بين العرب بهذا الاسم الذي ذكرته، وهذا غلط في الحقيقة، والصواب أن اسمه قبل إسلامه هو «كاسيوس كلاي» ثم غيّر اسمه إلى «محمد علي» فقط ورفض اسم «كاسيوس» و«كلاي».

يصلح لي ولا أنا أصلح له، ومما زاد الطين بلة أني كنت حينها أمرض كثيراً فأغيب كثيراً عن التمارين والتدريب، لذلك لم أخض مبارزات في **٢٠٠١**م إلا أربع مرات فقط، ومرة واحدة في عام **٢٠٠٢**م، كل هذه الأمور اجتمعت عليّ فجعلتني أفقد حبَ «الملاكمة».

❖ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م

كنت أتدرب وقتها في «صالة التدريب» وفجأة بدأ اللاعبون يتجمهرون أمام التلفاز مذهولين، أوقفنا التمرين وهرعنا إلى التلفاز الذي كان يبث مشهداً على الهواء مباشرة لطائرة تصطدم ببرج التجارة الشهير في «نيويورك» وكنا حينها مدهوشين جداً مما نرى، ولا تكاد أعيننا تصدق ما نراه هل هو حقيقة أم مشهد من مشاهد «هوليوود» !؟

ثم إن كان حقيقة: هل هو «مجرد حادث» أم «عمل إرهابي مقصود»؟

جاء الجواب مع الطائرة الثانية التي دخلت في وسط البرج لتحدث انفجاراً هائلاً في سماء أمريكا، ثم جاء هجوم «البنتاغون» وتتابعت الأحداث، وعلمنا حينها جازمين أنه أمر قد دُبر بليل، ولكن «كيف - لماذا - من»؟

لم تكن الإجابة عن هذه الأسئلة بتلك السهولة التي تخيلناها في أول الأمر، وما زال الأمر لغزاً إلى وقت كتابة هذه السطور **٢٠١٨**م، وقد كانت هذه الحادثة وما تبعها من أحداث جسام أثرت على العالم كله = كانت مادة دسمة لنقاشاتنا وحديثنا لمدة شهور بل إلى سنة، بل لا أبالغ إن قلتُ إن هذا الحدث كان من جملة الأحداث التي جعلتني أنصرف عن عالم «الملاكمة» لأدخل تدريجياً في «عالم الصراع والدفاع» عن الإسلام.

على المستوى الشخصي:

كنت أوضح لمن حولي حرمة هذا الأمر من الناحية الشرعية الإسلامية،

ولك أن تتخيل أني جهرتُ بهذا وكان عندي يقين وقناعة تامة أن هذا العمل لا يمت إلى الإسلام الذي درسته بصلة، وكم هو عمري في الإسلام حينها؟

إنها بضعة أشهر فحسب، عمري الإسلامي لا يصل إلى سنة، فليس بين إسلامي وبين هذا الحدث إلا خمسة أشهر فقط، فأنا أسلمت في مايو، والأحداث وقعت في سبتمبر، ومع ذلك كنت أقول بكل صراحة ووضوح: لا يمكن أن يكون هذا الفعل تجوزه الشريعة.

الإسلام الذي درسته وعرفته من مصادره الأصلية وهي القرآن الكريم والسنة النبوية = يحرم ويجرم قتل الأبرياء من المدنيين العزل والشيوخ والنساء والصبيان ونحوهم، وهذا في نصوص كثيرة يعرفها كل من درس الإسلام واطلع على نصوصه.

بل إني أقول:

هب أنه لا يوجد نص واحد يحرم قتل النساء والصبيان والأبرياء: أليس هذا مما يناقض الفطرة السليمة والعقل السليم؟ والإسلام هو دين الفطرة، فهذا مما يُكتفى فيه بالرادع الطبعي وإن لم يرد فيه رادع شرعي، وللفقهاء في هذا قاعدة شرعية معروفة يقولون فيها «الرادع الطبعي كالرادع الشرعي».

فهل تقبل الفطرة السليمة مثلاً قتل طفل بريء؟

ما ذنب الطفل أن يقتل؟

وما الفرق بين قتله بسكين أو قتله بتفجير؟

بدأت وتيرة الأحداث تتابع وتتسارع...

وبرز على الساحة «تنظيم القاعدة» وتبنوا هجوم برج التجارة، وظهرت مقاطع فيديو لمنسوبيها وبيانات مفادها: أن هذا العمل هو جهاد في سبيل الله وأنه غزو إسلامي ونحو ذلك.

هنا بدأت أستوعب أنه توجد طائفة من المسلمين تؤيد هذه الأعمال وتشرعنها، وتستدل عليها بنصوص فهموها من القرآن والسنة.

قررت حينها أن أتفقه في ديني أكثر وأن أحتك بالمسلمين والمشايخ وأسمع جميع الآراء، ولكن صادفني حاجز اللغة، فمن أين لي بشيخ يتحدث الألمانية؟

فكرتُ - بدايةً - أن أبحث عن جامع تقام فيه الخطبة بالألمانية، ولم أجد إلا مسجداً يبعد عني **٢٥** كيلو متر، فذهبتُ إليه أول الأمر، وكان حديث معظم خُطَب الجمعة وقتها هو «هجمات سبتمبر» بل هو حديث الناس في كل مكان.

ثم في الثالث من أكتوبر عام **٢٠٠١** م ذهبت إلى مسجد للأتراك في مدينة «بون» وكان يبعد عني **٦٠** كيلو متر عن بيتي، وهناك وجدتُ شخصاً يناقش امرأة ألمانية.

كان هذا الشخص جذاباً وعجيباً بالنسبة لي:

عرفت أنه مغربي يدعى «بكي حاراخ» عمره لا يتجاوز العشرين، يتوقد شباباً وفتوةً، ويتحدث الألمانية جيداً وكان يستدل بالآيات ويترجمها للمرأة الألمانية بكل ثقة وقوة نفس واعتزاز، ورأيته يخرج إلى الشارع بالجلاب المغربي دون أدنى مبالاة لنظرات الناس له ومظهره الكارزمي الغريب.

لما رأيته قلت في نفسي «لا شك أنه شجاع» لقد كان التجول باللباس العربي حينها يعد أمراً نادراً جداً.

كان هذا الشاب المغربي حينها يؤيد هجمات سبتمبر، وعرفت من خلاله أن هناك مسلمين يؤيدون هذا الصنيع.

وقد ناقشته رَحِمَهُ اللهُ فيما كان يقوله من تجويز لهذه العملية، ناقشته بما معي من معلومات يسيرة عن أصول وحقائق الإسلام، ناقشته بالعلم الشرعي

الضئيل وبالعقل السليم والفطرة، ومع كونه أكثر علماً مني وأوسع معرفةً، لكنه لم يستطع الإجابة عن بعض أسئلتي المحرجة، في الحقيقة كنتُ مرعوباً جداً من أفكاره المتطرفة التي ترى في هذا العمل جهاداً وشجاعةً وعملاً سامياً ونبيلاً.

لقد كنت منذ بداية إسلامي وما زلتُ إلى يومي هذا أحارب التطرف والغلو والعمليات الإرهابية والتفجيرات والتخريب سواء كان باسم الإسلام أم باسم النصرانية أم العلمانية، فالتطرف والإجرام لا ملة له ولا دين.

ومن المفارقات المضحكات المبكيات أن يأتي الإعلام الألماني بعد ذلك بسنين ليتهمني بأني رجل إرهابي وخطر على ألمانيا.

عموماً بالنسبة للشاب المغربي لقد أحدث لي صدمة فكرية، وأخذت أتأمل كلامه، هذا على المستوى الفكري.

أيضاً على المستوى الفقهي كان كلامه غريباً عليّ:

فهو يرى تحريم سماع الموسيقى والإسبال ومصافحة الأجنبية، ويرى وجوب إعفاء اللحية «إلى آخر الاختيارات الفقهية التي تتبناها المدرسة السلفية»

وقد اشتريت في سفرتي الثانية لمصر «وقد كانت بعد مبارزتي في أكتوبر عام **٢٠٠١** م» كتاباً للدكتور يوسف القرضاوي وهو كتابه الشهير «الحلال والحرام»، والشيخ معروف بآراءه المخالفة للمدرسة السلفية في المسائل الفقهية التي مثلتُ بها، حيث يجيز الموسيقى مثلاً.

وهذا الكتاب وجدت كثيراً من الناس ينتقدونه بشدة، ولا مانع من النقد إذا كان بإنصاف، ولكن الذي رأيته أن كثيراً من المنتقدين للكتاب غير منصفين له، نعم هناك أقوال وآراء في الكتاب مخالفة لما عليه جماهير العلماء والمسلمين، ولكن في الكتاب مزايا وفوائد انتفعت بها.

فمن ذلك: أني تعلمتُ من الكتاب "طريقة الاستدلال" وتعلمتُ منه بعض "القواعد الشرعية"، فعلى سبيل المثال:

عندما تحدث الشيخ في الكتاب عن «الموسيقى» وأراد أن يدلل على الجواز قال ما مفاده:

«لا يوجد حديث صريح صحيح في تحريم الموسيقى، والأصل أنه مباح كسائر المباحات والمنافع في الدنيا» فاستفدت من هذا الكلام ونحوه في الكتاب أموراً، منها:

- أن التحريم لا يكون إلا بنص شرعي.

- أن الأصل في الأشياء هو الإباحة حتى يجيء صارفٌ عن الإباحة.

هذا مجرد مثال كي أوضح به ماذا استفدت من الكتاب، وإلا فأنا الآن مقتنع أن الغناء والموسيقى = محرم.

على كل حال: فكنت أناقش هذا الشاب المغربي بالمعلومات التي قرأتها في هذا الكتاب وغيره، وأستطيع القول إن الشاب لم يستطع حينها إقناعي بما ذهب إليه في تلك المسائل.

كانت هجمات سبتمبر ثم هذه النقاشات مع عقول متنوعة من المسلمين = لها دور كبير في حثي على طلب العلم والتزود أكثر في فهم الإسلام، لأني كنت أرى هجوماً شرساً على الإسلام، هذا الدين العظيم الذي اكتشفته حديثاً ووجدت فيه كل خير وكل جواب عن حيرتي، فلا يمكن أن أقف مكتوف اليدين أمام هذا الهجوم، ولا سلاح أقوى من سلاح العلم كي تقاتل به المحاربين للإسلام، لقد كانت هجمات سبتمر شراً، ولكنها لم تكن شراً محضاً، ففي طياتها خير كثير، فهي من قبيل المحنة التي تجلب المنحة، والشر الذي يعقبه خير، وصدق الله القائل «وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم».

❖ أول رمضان

ثم جاء شهر رمضان المبارك تقريباً في شهر نوفمبر من عام **٢٠٠٢**م في نفس السنة التي أسلمت فيها، وكنا حينها في الشتاء، فالنهار قصير مما ساعدني على الصيام بسهولة،والحمد لله.

وكان من حولي يتعجبون من صيامي مع التمرين، وأذكر أن الصحافة أجرت لقاءً صحفياً معي ومع المدرب، وقال المدرب لهم كلاماً مفاده: إنه يضرب كالوحش ولا يبالي رغم أنه صائم.

❖ مصر مرة أخرى

ثم في نفس السنة سافرت إلى مصر مرة أخرى، وإلى مدينة «غردقة» مرة ثانية، ومكثت مدة أسبوع، وهناك اشتريت كتاب القرضاوي كما ذكرت قبل قليل، وأيضاً كانت لي بعض الذكريات الجميلة، منها:

- أني حفظت في هذه الزيارة سورة العلق، وذلك أني قرأت أنها أول ما نزل من القرآن، فأحببتها وقررت حفظها، وحفظتها وحدي عن طريق السماع.
- في تلك الفترة كنت مشغول الذهن بأمر الزواج، ودعوت الله كثيراً أن يرزقني زوجةً صالحةً، وصادف أني صليت في مسجد، ووجدتُ رجلاً هناك متزوجاً بمغربية، وطلبت منه أن يساعدني في الزواج، وهو بدوره طلب من زوجته أن تبحث لي.

كنت حريصاً على الزواج ببنت عربية، كي أتعلم منها اللغة العربية وكي تعلم أولادي أيضاً، فكان هذا الأمر يعد من الأولويات عندي، ولكنه ليس شرطاً لازماً، وإنما كنت أفضل أن تكون كذلك.

لم تدخر زوجة الرجل جهداً في البحث والتحري، وبحثت لي كثيراً،

واختارت لي امرأة ولكنها لم تعجبني، ثم أعادت البحث مرة أخرى ووجدت امرأة وقالت لي: لعلها ستناسبك إن شاء الله، والحمد لله تزوجتها في مارس **٢٠٠٢** م وهي أم أولادي الآن.

❖ السفرة الثانية إلى المغرب

سافرت مع زوجتي إلى «مراكش» وهناك التقيت بأخيها، وكان رجلاً ملتزماً جداً وحريصاً على التقيد والوقوف عند الكتاب والسنة، وعدم الزيادة على الوارد في النصوص، كان يحدثني عن ممارسة أمور موضحاً أنها لا دليل عليها من الكتاب والسنة، مثل:

- قول: صدق الله العظيم بعد قراءة القرآن.
- قول: «حرماً معاً» بعد الصلاة.

وما شابههما.

وهذه الفكرة السلفية أو المنهج السلفي أعجبني كثيراً، واتفق مع ما كنت مقتنعاً به وهو أننا لا يجب أن نحدث شيئاً في الدين - ولو كان يسيراً - وأن الدين هو ما قاله الله تعالى وقاله رسوله ﷺ، وأيضاً كنت لا أريد أن أحدث في ديني الجديد كما أحدث النصارى في دينهم من البدع والخرافات حتى لم يبق من الحق إلا أقل القليل.

وعن طريق ختني هذا «أعني أخا زوجتي» تعرفت إلى كثير من طلاب العلم الملتزمين بالسنة على طريقة السلف الصالح، والمتمسكين بالإسلام الصافي دون بدع وخرافات، وهو الأمر الذي جعلني أنظر إلى المغرب نظرة مختلفة تماماً عن النظرة والانطباع الذي أخذته في زيارتي الأولى، لقد اكتشفتُ وجهاً مشرقاً آخر كان غائباً عني، وقد علمت بعد ذلك أن هؤلاء الإخوة الطيبون هم من طلاب الشيخ المغراوي.

ومن أبرز من تعرفت عليهم من المراكشيين الشيخ صادق فتوح وقد تعرفت عليه في نفس السنة لما رجعت إلى ألمانيا.

والشيخ صادق فتوح، هو في الحقيقة من طبقة تلامذة طلاب الشيخ المغراوي، وقد لازمته سنتين وانتفعت به كثيراً، أذكر مما درسته عليه «الأصول الثلاثة - الأربعين النووية - صفة صلاة النبي ﷺ» وكتب أخرى.

عرفت منه جزاه الله خيراً العقيدة الصحيحة، والمنهج السلفي المستقيم - دون غلو الغلاة - وعرفت منهج السلف في التلقي والاستدلال إلى غير ذلك.

قضيت مع الشيخ صادق أياماً كانت من أجمل أيام حياتي وقد أخذ بيدي في مدارج الطلب، وتذوقت حلاوة طلب العلم، وتناقشت معه في مسائل كثيرة، منها أني ذكرت له نقاشي مع ذلك الشاب المغربي الذي كان يؤيد هجمات سبتمبر، فقال لي: الحق معك، ففرحت لذلك جداً، وحمدت الله أن فهمي لنصوص الشريعة كان صواباً، وفرحت أكثر لأني قد خشيت أن كل الملتحين يفكرون بالتفكير الإرهابي من جواز التفجيرات للمدنيين وقتل الأبرياء ونحو ذلك.

كان الشيخ صادق وسطياً وسطية أهل السنة، لم يكن عنده غلو الغلاة والخوارج من التفجير والتخريب،وبالمقابل لم يكن عنده تمييع المتميعين من المرجئة.

❖ الرجوع إلى ألمانيا

رجعت إلى ألمانيا وهناك تعرفت على الشيخ أبي عمر صادق فتوح كما أسلفت، وقد بدأنا أنا وهو ندعو إلى الله على التدريج، وحصلت مجموعة من الأحداث المهمة،

أذكر منها: حادث سيارة مؤثر

كان هناك أخوان شابان مسلمان حصل لهما حادث سيارة فظيع، وقد مات الأخوان إثر هذا الحادث، كان أحدهما في حدود ١٨ والآخر في ١٦ تقريباً، وقد وقع الحادث في منطقتنا في ضواحي «كولن».

وينبغي أن تعلم أمراً مهماً عن حال الشباب المسلمين في تلك الحقبة - وإن كان الحال تحسن الآن كثيراً - فالشباب المسلمون في أوروبا عموماً حسب ما رأيت وشهدت بعيدون جداً كل البعد عن دينهم إلا ما رحم الله وقليل ما هم، وقد شهدت هذا بنفسي وطفت مساجد كثيرة بعد إسلامي وقبل انطلاق الصحوة والدعوة السلفية الألمانية التي سأفصل تفاصيلها لاحقاً، فأنا أتكلم عن حال الشباب الذين أعرفهم قبل «الدعوة» = يندر جداً أن تجد شاباً مسلماً يقيم دينه ويحافظ على الصلوات الخمس في المسجد، هذا أمر كان نادراً جداً، وإذا قلبتَ نظرك في صفوف المصلين فإنك واجدٌ غالباً كبار السن، فالمساجد خاوية على عروشها وتشتكي غياب الشباب.

ولا شك أن الحياة الغربية والبيئة الفاسدة في ألمانيا ساعدت في هذا، ولكني لست في صدد التبرير الآن لهذه الحالة، وإنما المقام الآن مقام تأريخ وشهادة سيسألني عنها ربي كما قال تعالى ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصَّافات: ٢٤].

لما وقع هذا الحادث الرهيب، وتوفي هذان الشابان وهما في عنفوان شبابهما = اهتزت المدينة لهذا الخبر، وانتشر انتشار النار في الهشيم، وأصيب كثير من أصحابهما من الشباب بحالة من الهلع والخوف والجزع والرهبة من اختطاف الموت لهذين الشابين دفعة واحدة دون مقدمات ولا نذير ولا تذكير.

جيء بالجنازتين على الأكتاف في مسجد اسمه «مسجد الفتح» في مدينة «بغكهايم» واكتظ المسجد بالشباب من أصدقاء الشابين ومعارفهم ومعارف معارفهم، وضاق المسجد بالحضور عن بكرة أبيه، وقد كان يوماً مشهوداً

حضره حتى بعض الألمان الكفار من هول الحادثة والموقف، وطلبت من الشيخ صادق فتوح أن يحضر إلى المسجد، فجاء وخطب في الجموع الغفيرة خطبة عصماء مزلزلة لقلوب الحاضرين، وبكى فيها وأبكى، وكان يتحدث باللغة الألمانية فلامس قلوب الناس، وتوجه بكلامه إلى المسلمين والكفار، وذكرهم بالآخرة ولقاء الله وخوفهم من الموت وأن الدنيا حقيرة قصيرة، لا يمكن أن أنسى ذلك الموقف والمشهد وتلك الخطبة التي سارت بها الركبان.

وقد كانت تلك الخطبة والحادثة سبباً من أسباب فتح باب الخير لنا، حيث جعلنا تلك الخطبة بدايةً لانطلاق الدروس في هذا الجامع بصفة مستمرة، وهو ما حصل بحمد الله تعالى.

وهكذا مضت الأيام حتى جاء صيف **٢٠٠٣**م وكان الليل قصيراً جداً حينها، بمعنى أنك تصلي العشاء في الساعة **١١:٣٠** مساء ثم تصلي الفجر في الساعة **٣:٠٠** صباحاً.

قضينا أجمل الليالي والأيام برفقة الشيخ صادق في هذا الجامع، فكان الشيخ صادق يلقي علينا المواعظ والدروس، وكنت أنا مرافقاً وتابعاً له، فهو شيخي وأنا تلميذ له، وربما تكلمت أحياناً، لكن الأصل والأغلب أن القيادة كانت بيده.

ومن أجمل الليالي التي كنا نقضيها في الصيف أننا كنا أحيانا نصلي العشاء، ثم بدلاً من أن يذهب الشباب إلى المراقص والخمور ودور البغاء والدعارة كانوا يجلسون معنا في المسجد، ونتجاذب أطراف الحديث ونستمتع بالسهر المفيد، لا سيما أن الليل قصير كما قلت، وربما كنا نصلي الفجر أحياناً بسبعين شاباً تقريباً، وهذا رقم خيالي في ذاك الوقت، لا يعرف قدره إلا من عاش تلك الحقبة معنا في ألمانيا، لقد كان فتحاً عظيماً من الله، هذا العدد في الصلاة، أما عدد الحضور في المحاضرات الدعوية التي كان يلقيها الشيخ صادق فحدث ولا حرج، فقد كان للشيخ أسلوبه الخاص، وكان يملك

"كاريزما" خاصة فيه، هذا مع إتقانه للغة الألمانية، وهو أيضاً شخصية مرحة مضحكة، وله مواهب متعددة إذ هو حاصل على شهادة في الهندسة وعمل مدة في شركة «فودافون»، وهكذا... لم يكن الشيخ صادق شخصاً عادياً أو درويشاً من الدراويش بل كان يعرف ما يدور حوله، لا جرم أن له تأثيراً كبيراً على الشباب.

لقد عشنا أياماً دعوية لا تنسى في هذا الجامع وفي ظل تلك المواعظ والدروس، وقد كان العدد في ازدياد من الشباب، وكان هناك إقبال كبير من الشباب، ولكن للأسف الشديد عكّر صفو هذه الدعوة الفتية القصيرة استدعاء وردنا من إدارة المسجد.

طلبتْ إدارة المسجد منّا أن نحضر إلى اجتماع مغلق، ذهبنا ولم نكن نعلم ما هي جريمتنا، فتفاجأنا بهم يقولون:

لاحظنا أنكم وأتباعكم تجلسون بعد صلاة العشاء، وأحياناً تطيلون الجلوس إلى صلاة الفجر، وهذا أمر ممنوع ومخالف للقانون...

حين قالوا هذا الكلام ظننا أنهم سيقولون:

«وبناءً عليه: نرجو منكم مغادرة المسجد بعد صلاة العشاء مباشرةً»

ولو قالوا ذلك لتفهمنا الأمر، مع أنني أجزم أنه في ذلك الوقت تحديداً أي في حدود **٢٠٠٣**م لم يكن هناك قانون يمنع من الجلوس في المسجد بعد العشاء، ولكن مع ذلك لو أنهم قالوا ذلك لقبلنا الأمر على ذلك، ولكن كانت الصدمة حين قالوا لنا:

«وبناءً عليه: يجب عليكم أن توقفوا الدروس الدعوية حالاً وإلى إشعار آخر»

كان الأمر كالصعقة الكهربائية لنا، كيف نوقف الدروس؟ ولماذا؟ ولمصلحة من توقف الدروس التي أحدثت تأثيراً وتغييراً في الشباب المسلمين يشهد به جميع سكان المدينة؟

ثم ما العلاقة والرابط بين جلوسنا بعد العشاء وبين إيقاف الدروس؟ ألا يمكن أن يستمر الدرس الذي لا يستغرق إلا نصف ساعة أو ساعة ثم ينصرف الجميع؟

في الحقيقة مع الأيام اكتشفت أن بعضاً من الإخوة العرب الوافدين إلى أوروبا هم مجموعة جبناء حريصون على مصالحهم الشخصية إلا من رحم ربي ولا أعم الجميع، دعني أتكلم عن مساجد ألمانيا على الأقل: كثير منها معطل عن دوره الحقيقي،

وتحولت كثير من المساجد للأسف الشديد إلى مطاعم تحتوي على مصلى، هذا هو التوصيف الدقيق لما يسمونه مسجداً وهو ليس كذلك، بل إن بعض هذه المطاعم التي يسمونها «مساجد» يوجد فيها شاشات لمتابعة مباريات كرة القدم، فيتحلق حولها الشباب، فمنهم من يصلي ومنهم من لا يصلي، بل الأشنع من ذلك أن بعضها يوجد فيه مرقص.

وأنا أسأل:

هل الغاية من المسجد هي إقامة الصلاة فحسب ثم ننصرف؟

هل كان المسجد هكذا في عهد الرسول ﷺ وعهد السلف وقرون الحضارة الإسلامية؟ أم كان الجامعُ جامعةً للعلوم والمعارف والتوعية ونشر الخير ومحاربة الشرك والرذائل بين الناس؟

إذا كانت القضية هي قضية صلاة فحسب: فيمكن أن نصلي في بيوتنا، فصلاة الجماعة في المسجد ليست واجبةً عند جماهير الفقهاء.

بعض هؤلاء الإخوة العرب المساكين جاءوا بخلفيات مسبقة وأرادوا إنزالها على واقع الحياة الغربية في ألمانيا المتسمة بالحرية بصفة عامة، لقد جاؤا من حكومات دكتاتورية قمعية تحارب المتدينين في مساجدهم وبيوتهم، وترمي بهم في غياهب السجون لتهمة المواظبة على الصلاة في الجامع مثلاً،

وكثيراً ما كنت أقول لإخواني العرب «أنتم لستم في حكومة عربية، أنتم هنا، في ألمانيا، هناك قانون لحرية التعبير وحرية التدين دون إضرار بالآخرين، فلماذا لا نستفيد من هذه المساحة الواسعة من الحرية عندنا»، وهو الأمر الذي فعلناه لاحقاً كما ستعلم حين بدأنا الدعوة الفعلية في **٢٠٠٦** م وبدأنا نجهر بالتوحيد في ساحات ألمانيا الكبرى عام **٢٠٠٩**م وبحماية من الشرطة الألمانية أمام ألوف من الجماهير.

ولكن قاتل الله الخوفَ والجبن والذل والخنوع، إنها حقاً تربية أولئك الدكتاتوريين لهذه الشعوب المقهورة التي اعتادت على العيش في ظل العبودية وصارت تستوحش من فضاء الحرية، فلا هم الذين حكموا بسماحة الشريعة وعدلها ولا هم الذين حكموا بقوانين الغرب وحرياتها.

بعد أن قُضي على دعوتنا في مهدها، ولم نستمتع بقطوف وثمرة جهود الشيخ صادق إلا قليلاً، فما حصل هو أن كثيراً من الشباب الذين كانوا يرون في المسجد ملتجأ ووزراً يلجأون إليه صاروا الآن بلا مأوى، وقد رأيت كثيراً منهم رجع إلى حياته السابقة، وهي حياة المراقص والفجور.

بعد ذلك جائتنا دعوة من مسجد آخر اسمه «مسجد السنة» كي نواصل مشوار الدعوة مع الشيخ، وهذا المسجد على ما فيه من ملاحظات إلا أنه يعتبر من أفضل المساجد في ألمانيا في نظري.

يقع المسجد في قرية صغيرة اسمها «آلسدورف» واستمرت ملازمتي للشيخ صادق، وكانت مجالستي معه تدور حول تدريس بعض المتون العلمية وأيضاً كان يشرح لنا قواعد الإسلام العامة ونحو ذلك،إضافة إلى النقاشات الجانبية المفيدة التي كانت تصقل شخصيتي وتنمي تفكيري، وتغرس الإيمان فيّ غرساً، واستمر الوضع هكذا إلى أن جاء عام **٢٠٠٤**م، ورجع الشيخ صادق إلى المغرب.

❖ الدراسة الجامعية عام ٢٠٠٣م

لما انتهى عقدي مع «الملاكمة» في نهاية **٢٠٠٢**م ولم أجدد العقد للأسباب التي شرحتها سابقاً، إضافة إلى ذلك أن الشيخ صادقاً قال لي إنّ «الملاكمة» محرمة لأن فيها ضرباً على الوجه وهذا نهى عنه النبي ﷺ، وأحضر لي مجموعة من الفتاوى المؤيدة لذلك، وكما قلت قبل ذلك فقد زالت محبة هذه اللعبة من قلبي، ولم أكن أحتاج إلى إقناع كي أتركها، فالمسألة كانت مسألة وقت، وكذلك كان فتركتها.

ثم درستُ - لمدة نصف سنة - في جامعة «كولن» لأصبح معلماً لمادتَي «الجغرافيا وعلم الاجتماع» وكانت فكرتي من ذلك أني إذا أصبحتُ معلماً فإنه سيتيسر لي التأثير على شريحة كبيرة من الطلاب الألمان والمسلمين.

انهمكتُ في الدراسة، ودرست لمدة سنة ونصف، ثم نصحني الشيخ صادق بالهجرة إلى بلاد المسلمين.

❖ مسألة الهجرة

الهجرة عند المسلمين هي مصطلح شرعي ديني، وتعني باختصار: الانتقال من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وقد درسنا هذا في الحديث الأول من كتاب «الأربعين النووية» وقد كان الشيخ صادق صارماً في هذا الباب، وكان يؤكد علينا أن الهجرة من بلاد المشركين واجبة، وذلك لأنه كان يتبع فتاوى الشيخ الألباني حرفياً، والأخير فيما أعلم يرى ذلك واجباً، ولذلك لم يلبث الشيخ صادق أن هاجر عائداً إلى بلده المغرب.

وبالنسبة لي أقنعني الشيخ صادق بوجوب الهجرة حينها فنظرت في أمري ودراستي، فقلت:

إن أنا حصلت على الشهادة الألمانية في «الجغرافيا - وعلم الاجتماع» فلن أستطيع التدريس في أي دولة عربية، بسبب حاجز اللغة.

ولذلك قررت ترك الدراسة في جامعة «كولن»، وانتقلت إلى تخصص آخر في جامعة «بون» وهو «الترجمة بين العربية والألمانية والإنجليزية» وكانت فكرتي من ذلك أن أصبح مترجماً فيمكنني الحصول على وظيفة مترجم في أي دولة عربية، وفي نفس الوقت كنت بحاجة أصلاً إلى تعلم اللغة العربية كي أفهم القرآن والسنة جيداً وكي أفهم ديني بعمق دون حاجة إلى وسيط.

شرعت في الدراسة، واجتهدت فيها.

وفي هذه الفترة تقدمت بطلب للقبول في جامعة «أم قرى» - مكة المكرمة، ولم أكن أتوقع ولا أتخيل أنهم سيقبلونني، لذلك قدمت أوراقي وأنا أقول لأجرب حظي وأنظر ماذا يحصل؟

وكان الحج وقتها قريباً حيث كان في فبراير تقريباً من نفس السنة، والدراسة تبدأ في الفصل القادم من سبتمبر.

وفي تلك الفترة أعني عام **٢٠٠٤**م كان عمري حينها **٢٦** سنة، وكانت قوانين الجامعة تقضي بعدم قبول من تجاوز **٢٥** سنة، فكنت في الحقيقة يائساً من القبول.

علاوة على ذلك:

كانت بعض أوراقي ناقصة، مثل «شهادات التزكية» فلم يكن لدي شيء منها.

وبعد فترة وردتني رسالة بالعربية من الجامعة لم أتمكن من فهمها لأني كنت حينها لا أعرف العربية جيداً، فأعطيتها لزوجتي وبشرتني بأني قُبلتُ والحمد لله.

لقد كان حلماً كبيراً بالنسبة لي أن أتمكن من دراسة الإسلام في مهبط نزوله، وفي البلد الذي ولد فيه النبي ﷺ، فاللهم لك الحمد والشكر، وبهذا تسنى لي الجمع بين «الهجرة وطلب العلم».

وبدأت أستعد للدراسة والسفر إلى مكة في الصيف المقبل، واستعداداً لذلك أرجعت أسرتي إلى المغرب في نهاية أغسطس **٢٠٠٤**، حيث كان ولد لي قبلها حمزة في **٢٠٠٣** مايو.

كانت الرسالة التي وردتني تفيد أنه يجب علي إكمال باقي الأوراق، وتسليمها في أقرب وقت للسفارة السعودية الكائنة في العاصمة «برلين»، وكانت الأوراق المطلوبة كثيرة في الحقيقة.

❖ الرحلة إلى الحج

في عام **٢٠٠٤**م قررت أن أحج، وذلك أني دخلت موقعاً اسمه «salaf.de» ووجدت إعلاناً ودعوةً للمسلمين الجُدد بأن يحجوا إلى الكعبة المعظمة، وكان المطلوب من الحاج أن يدفع ثمن التذكرة فقط وهي **٧٠٠** يورو فقط، وهم يتكفلون بكل الباقي من مسكن ومعيشة وتنقل إلخ، وكان يشرف على هذا المشروع الجميل مجموعة من مشايخ القصيم جزاهم الله خيراً.

❖ الوصول إلى الحرم

كانت الأمور تسير بشكل طبيعي،حيث وصلنا جدة واتجهنا منها إلى مكة واعتمرنا، ثم انتظرنا الحج، ويمكن أن أسجل بعض الملاحظات حول حجي الأول:

١ - الزحام الشديد الذي رأيته في الحرم والمشاعر لا أظن أني رأيت مثله قط في حياتي، كان أمراً عجيباً وجديداً علي.

٢ - تعجبت أيضاً من رؤية المسلمين القادمين من شرق آسيا، كأندونيسيا وماليزيا وغيرها، وذلك أني كنت قد اعتدت على أن المسلمين يكونون إما من العرب أو الترك ونحو ذلك، ولم

أصادف في ألمانيا مسلماً من شرق آسيا، وكنت أعلم أن أندونوسيا هي أكبر دولة مسلمة، ولكن ليس الخبر كالمعاينة، لقد كان ذلك شعوراً جميلاً.

٣ - كنا نصلي أحياناً خارج المسجد الحرام من شدة الزحام، فنصلي في الشارع والطرقات، وكنت تعلمت في بداية إسلامي أن تسوية الصفوف وسد الفرجات لا بد منها، فكان ذلك يشق علي كثيراً وكذلك محاولة الصلاة في مكان بعيد عن النساء كان يتعبني جداً لأن النساء في كل مكان، ومثل هذه الأمور كانت تفقدني القدرة على التركيز في صلاتي.

٤ - لا أدري لماذا: لقد أحببت شعيرة «التلبية» كثيراً، وكانت أصوات الجموع وهي تلبي تأسرني وتأخذ بمجامع قلبي «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» يرددها الحجاج بأصوات متناغمة، وزاد من متعتي أني كنت قد قرأت معناها، وأستشعر قصة أبينا إبراهيم عليه السلام مع الحج.

٥ - أكثر ما أعجبني في الحج هو التقشف والزهد والتقلل من الدنيا والتجلد، فالحمد لله لقد كان التنقل كله مشياً على الأقدام، فمشينا من مكة إلى منى، ومن منى إلى عرفة ومن عرفة إلى مزدلفة ومنها إلى منى مرة أخرى، وكنت في كل ذلك مستمتعاً جداً، كان عمري حينها ٢٥ سنة، ومع كوني مستمتعاً إلا أن ذلك لم يكن بالأمر الهين، وعرفنا حينها أن الحج يحتاج إلى جهد، لا سيما مع أشعة الشمس، وأثناء هذه التنقلات كنت أتأمل في الناس، فترى فيهم الأبيض والحنطي والأسود والأحمر والعرب والعجم وكل الأصناف والأشكال، وتأثرت كثيراً برؤية الفقراء وهم يلتمسون رضى الله سبحانه ويرجون رحمته، وكنت أشعر أنهم سعداء على فقرهم.

٦ - لما اقتربنا من عرفة كنت أتخيل أني سأشاهد مكاناً جبلياً جميلاً، فلما وصلنا ورأيت الخيام عرفت أنه مكان متواضع جداً، نعم ساءني انتشار القمامة والنفايات وتجمع الذباب والفوضى، ولكن أقول وبكل صراحة إن النهار الذي قضيته في عرفة ما بين دعاء وصلاة وذكر وتعبد لله تعالى كان أجمل يوم لي في هذا الحج، وإنّ المشاعر التي شعرت بها حينها تفوق سعادتي ومشاعري برؤية الكعبة والعمرة وكل المناسك والمشاعر المقدسة، كنت أشعر بروحانية عظيمة، واستحضرت حديث «إن الله يباهي بكم الملائكة» وشعرتُ أن الملائكة تُحلق حولنا.

٧ - وأما مشاهدتي للكعبة أول مرة = فكانت مشاعر مختلطة لا أستطيع وصفها ولكن كل ما يمكن أن أقوله - وقد يكون هذا غريباً - أني شعرت حين رأيتها أني أعرف هذا المكان من قبل، وأني أنتسب إلى هذا المكان، وكأني قد جئت هنا من قبل، حقاً لقد أحببت مكة من كل قلبي، وأتمنى - إن قبض الله روحي - أن أُدفن في مقبرة مكة المكرمة.

٨ - في اليوم الذي أصبحنا فيه متجهين إلى منى لرمي الجمرات = مات أناسٌ كثيرون بسبب التزاحم.

٩ - كان الزحام مهيباً مخيفاً وأصبحت أنا - على طول قامتي - مثل الريشة في مهب الريح، حتى أني لما دخلت وسط الزحام لرمي الجمار = دخلت بإزار ورداء ونعال، فخرجت بإزارٍ فقط وفقدتُ الباقي.

١٠ - وفي الحج اطلعت على كثير من أمراض المسلمين التي هي سبب من أسباب تأخرهم عن الأمم، من مثل سوء التنظيم والترتيب والنظام والمرافق، وغياب حس المسؤولية، وتناثر القاذورات في أماكن كثيرة.

١١ - من المواقف التي ذكرتني باليوم الآخر: أني في أول يوم من أيام التشريق خرجت مع مجموعتي لرمي الجمرات، ولما رميت ووقفتُ للدعاء ورفعت رأسي فإذا بمجموعتي قد غادرت واختفت! بحثت عنهم فلم أجدهم، فكيف لي أن أجدهم وسط هذه الألوف المؤلفة بل المملينة، إذن أنا تائه! ظننت أن الأمر يسير وأني سأجد مخيمي بسهولة، ولكن الأمر طال، وكلما جئت خيمة اكتشفت أنها ليست لي، وفي أثناء ضياعي رآني مجموعة من الإخوة السعوديين ومعهم أمريكيون مسلمون فدعوني لشرب القهوة فقبلت دعوتهم،و جالستهم وحادثتهم قليلاً، ثم لما أردت الانصراف أرادوا إكرامي - وليتهم لم يفعلوا - فأعطوني تمراً بمقدار خمسة كيلو غرام، فأخذته وأخذت أمشي وأمشي، حتى طال الليل والتمر في يدي، فتعبت جداً وأرهقت، وقطعت الليل كله أتجول بين المخيمات حتى اقترب وقت الفجر، والمشكلة الكبرى أني تركت كل بياناتي في الخيمة لأني ما ظننت أني سأحتاج إليها بسبب أني مرتبط مع المجموعة، ثم بعد ذلك دخلت حماماً - أكرمكم الله - وكان ملوثاً جداً بالنجاسات، والطامة أن ردائي سقط مني في الحمام فتلوث بالنجاسات! فتخلصت منه، وأكملت رحلة البحث عن المخيم، فلم أشعر إلا والفجر قد أذن! فصليت الفجر، ثم أكملت المشي والبحث وقد بلغ بي التعب مداه حتى أشرقت الشمس! وهنا شعرتُ حقاً بالافتقار الملح والحاجة الشديدة إلى الله، وأيقنت أن العبد لا يستغني عن ربه طرفة عين، وسألت نفسي سؤالاً وقلت: «ماذا لو متَ في حالتك هذه؟ والله لو مت = لما عرفك أحدٌ»! وانتابني شعور بالخوف أن يجدوني ميتاً فيدفنوني في أي مكان، ولا تعلم حتى أسرتي ما هو مصيري، ثم جاء الفرج ووجدت رجال الكشافة: فعرضت عليهم

مشكلتي، فرحبوا بي، وأخذوني إلى مخيمهم الخاص، الذي كان أفضل بكثير من مخيمي، فلما دخلت هناك أكلت وشربت واستليقت كالجثة الهامدة ونمت نوماً هنيئاً، وظللت معهم اليوم الثاني من أيام التشريق كله، وفي اليوم الثالث وجدت مجموعتي عند الجمرات أخيراً بحمد الله تعالى قدراً وصدفةً.

❖ الوصول إلى مكة للدراسة

هذه الزيارة الثانية لي لمكة، الأولى كانت للحج، والثانية هذه للدراسة، وقد نويت الإحرام بالعمرة، فوصلت مطار جدة، وقلتُ للسائق خذني إلى جامعة أم القرى.

المشكلة أني وصلت في الليل وكنت أرتدي ملابس الإحرام ومعي جميع حقائبي وأمتعتي والطقس حار جداً يصل إلى ٤٠ درجة، وفوق هذا كله لا أعرف أين يمكن أن أبيت؟

كل ما أعرفه أنه عليّ التوجه إلى جامعة أم القرى، وهي ستوفر لي سكناً، وليس عندي تفاصيل أكثر.

ومن رحمة الله أني التقيت بالصدفة بأخوين كريمين أحدهما اسمه أمين، والآخر محمد، وهما من جمهورية اليمن العربية، وأخبراني أنهما يدرسان أيضاً الهندسة في نفس جامعتي جامعة أم القرى، ففرحت لذلك، وعرضا عليّ المساعدة وقالا لي ستبيت معنا في غرفتنا، فانزاح عني همٌّ كبير، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

❖ بداية الدراسة في معهد اللغة

التحقتُ في البداية بمعهد اللغة لغير الناطقين بها:

ويجب على الطالب الأعجمي الالتحاق بهذا المعهد ثم يتمكن من الدخول في الدراسة الجامعية ويتخصص في التخصص الشرعي الذي يريده.

في الحقيقة كان هذا المعهد رائعاً وعظيماً جداً واستفدت منه فائدة كبيرة، فالمدرسون ماهرون جداً في تعليم اللغة العربية ومتفننون في ذلك، يدرسونها بحب وإخلاص يؤثر مباشرةً علينا نحن الطلاب، وكثير من المدرسين مصريون أو سودانيون وكذلك من السعودية.

ومما يحضرني الآن من أسماء المدرسين لنا في تلك الفترة: الشيخ الأستاذ حسن البخاري وقد أصبح له حضور إعلامي بعد ذلك في قناة مكة، وآخرون لا تحضرني أسماؤهم.

والجميل في برنامج المعهد أنك تدرس - مع اللغة - مجموعة من المواد الشرعية الخفيفة المناسبة لمستوانا، كالعقيدة والسيرة والفقه والحديث وهلم جراً، وكانت هذه المواد على شكل " مذكرات " انتفعنا بها جداً ولله الحمد.

كان الطابع العام للطلاب هو الجد والاجتهاد، فهؤلاء الطلاب الذين وفدوا على مكة من كل فج عميق، جاءوا من الشرق ومن الغرب، لا أظن أنهم تركوا بلادهم وأهلهم وتغربوا هنا كي يضيعوا أوقاتهم باللهو واللعب والكسل، ولذلك كان التنافس بيننا كبيراً، وكان التحدي عظيماً إذ القانون كان واضحاً أمامنا والهدف أيضاً واضح:

لا دراسة جامعية دون اجتياز المعهد.

لذلك بذلت قصارى جهدي للحصول على أعلى الدرجات في كل المواد، واجتهدت اجتهاداً بالغاً، ومع ما في تلك الأيام من تعب ونصب وسهر لليالي إلا أني كنت مستمتعاً جداً في الحقيقة، وبفضل الله استطعت أن أحصل على المركز الثاني في دفعتي، رغم كون كثير من الطلاب الذين معي

هم مسلمون بالولادة، وكثير منهم كانوا يحفظون القرآن قبل قدومهم هنا، لكني استعنت بالله فأعانني الله والحمد لله.

كان التنوع الثقافي بين الطلاب رائعاً، فهو مزيج من البلدان والحضارات واللغات والأفكار التي لا تكاد تراها مجتمعة إلا في مكة وفي أم القرى، حقاً إنها أمٌ للقرى ولها من اسمها نصيب،

كان الطلاب من الصين والنيبال والبنغال وأمريكا وفرنسا وكندا وفلبين وجنوب أفريقيا ومالي وليبيا وقرقيزستان وتركيا وألبانيا وغيرهم:

تخيل معي كل هذه الجنسيات معك في فصل واحد.

إنها لوحة تشكيلية جميلة ورائعة.

إنه الإسلام العظيم الذي حكم حكماً لا مرد له «**لا فرق بين عربي وأعجمي ولا بين أبيض وأسود إلا بالتقوى**» «**كلكم لآدم وآدم من تراب**» ليس للون ولا العرق ولا الجنس ولا الحسب والنسب والمال والأجسام = أي قيمة في الإسلام، إنما القيمة في العمل الصالح وحسن الخلق، ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحُجرَات: ١٣]

كم كان هذا المشهد الخليط من شتى الجنسيات يثير فيّ مشاعر مرهفة ولطيفة لا أستطيع وصفها، حقاً إن الإسلام يرجعك إلى فطرتك التي ولدت عليها، فأنت ولدتَ إنساناً بلا عنصرية، وهذا ما يريد الإسلام منك أن تبقى وتحافظ عليه.

لم تكن الدراسة سهلة بل كانت تحتاج إلى مجهود عظيم وبذل وتضحية عظيمة، أضف إلى هذا أني في بلد الغربة وبعيداً عن زوجتي وولدي، وفي مكان وبيئة مختلفة تماماً عن ثقافتي التي تربيت عليها سنين عدداً، ومع ذلك أستطيع أن أقول كانت تلك الأيام من أجمل الأيام التي قضيتها في حياتي.

❖ سكن الطلاب

أما سكن الطلاب فقد كان متواضعاً، وتفاجأت ببعض الطلاب الذين يفتقدون إلى قيمتين رئيسين لأي إنسان، وهما:

- النظافة.

- والشعور بالمسؤولية.

وشعرت أن بعض الطلاب الذين جاءوا من دول فقيرة أو متخلفة مادياً عندهم «لا مبالاة» عجيبة.

وأنا سأضرب بعض الأمثلة التي تبين مرادي، ثم بعد ذلك سأنبه تنبيهاً مهماً يتعلق بهذه القضية حول موقف المسلمين الجدد من هذه الأمور:

- فعلى سبيل المثال: قد أدخل دورة المياه - أجلكم الله _ فأجد الذي دخل قبلي قد حلق شعره، وتركه مرمياً على الأرض دون أن يزيله، رغم أن هذه مسؤوليته هو وليست مسؤولية من يدخل بعده، وهذا أمر بدهي جداً.

- كذلك سوء نظافة الحمامات - أجلكم الله -.

- وليست المشكلة في سوء نظافتها فحسب بل تكدس الطلاب مع قلة الحمامات، فلك أن تتخيل أن حماماً واحداً فقط مخصصٌ لخمسة عشر أو عشرين طلاباً، بعبارة أوضح: لكل عشرين طالباً تقريباً حمام واحد، ولا تظن أني رجل مدلل وأريد مكاناً «خمسة نجوم» وإنما كل الذي كنت أريده هو مكان نظيف ومرتب فقط لا غير.

والنظافة - فضلاً عن كونها موافقة للفطرة والعقل والإنسانية - فقد حثتنا الشريعة الإسلامية عليها حثاً كبيراً في نصوص كثيرة من القرآن والسنة، ولكن الجهل يقود إلى القذارة الحسية والمعنوية.

- أيضاً قضية الوقوف في الطوابير كي يأتي دورك للدخول في الحمام،

كان أمراً صعباً ومتعباً لي، وهي نتيجة طبيعية لقلة الحمامات مع كثرة الطلاب.

- أيضاً كان بعض الطلاب يطبخ في السكن طعاماً فتصدر منه رائحة شديدة.

أما غرف الطلاب فقد كانت متواضعة وضيقة، ومع ذلك كنت سعيداً ومستمتعاً.

وضعوني في أول الأمر في غرفة وكان معي طالب ألماني ثم نقلوني إلى غرفة أخرى.

وقد قلتُ لهم إني لا أريد أن أسكن مع ألماني أو مع من يتحدث اللغة الإنجليزية، لسبب واحد: وهو أني أريد أن أتعلم اللغة العربية من خلال مخالطة العرب وممارسة اللغة معهم، وهذه من أفضل طرق تعلم أي لغة في العالم.

لذلك اخترت غرفة كان فيها طالب عربي من دولة قطر، وكان معنا طالب ثالث من فرنسا لكن وجوده لا يضر، لأني سأستفيد من القطري بالمحادثة معه، ولأني لا أحسن الفرنسية، والفرنسي لا يُحسن الألمانية.

حقاً استفدت من هذا الطالب القطري كثيراً لأنه عربي بالأصالة، فكنت أتحدث معه يومياً وبصفة دائمة وهذا ساعدني جداً في تطوير لغتي وتحسينها بشكل كبير، إضافة إلى المسائل العلمية الشرعية التي كنا نتناقش فيها فيحصل من ذلك «تلاقح للأفكار» وقد كان هذا الطالب القطري جيداً حيث كان يحفظ العديد من «المتون العلمية» كالواسطية وكتاب التوحيد ونحو ذلك.

كنّا ثلاثياً مرحاً تجمعنا غرفة واحدة صغيرة جداً وضيقة لذلك كنت أنام أنا على الأرض برغبتي واختياري، وكانت لنا في هذه الغرفة أيام لا أنساها ما حييت:

تحدثنا معاً كثيراً وتناقشنا كثيراً وضحكنا أيضاً كثيراً، كان القطري مدمناً على برودة وصوت «المكيف» لا يستطيع النوم دونه، وكنت أختلف معه في ذلك كثيراً وأقول له: الغرفة باردة! وهو يقول بل حارة! وهكذا نختلف دائماً...

ومن اللطائف في تلك الأيام أني تعلمت مصطلح «القلقلة» في علم التجويد، وهو نطق معين يعرفه العرب والمسلمون في حروف معينة وهي حروف «قطب جد» فكنت حينها أظن أن هذه الحروف تجب قلقلتها في كل كلام وليس في القرآن فقط، فكنت أقلقل هذه الحروف الخمسة في كل كلامي، وشاركني في ذلك القطري وكنا نضحك من ذلك كثيراً.

وفي هذه الفترة بدأت أحفظ بعض المتون العلمية: إذ لا يمكن لطالب العلم أن يضبط العلم إلا بحفظ هذه المتون وفهمها، وكان التنافس بيننا كبيراً في ذلك، فقد كان يتميز الطالب على الآخر بعدد المتون التي يحفظها، وقد كنت أنا حفظت «الأصول الثلاثة والأربعين» قبل دراستي في مكة، ولما وصلت مكة شرعت في متون أخرى، فمن ذلك أني شرعت في حفظ كتاب «كشف الشبهات» للشيخ محمد بن عبد الوهاب ﵀، وهذا المتن تعلقت به وأحببته منذ أن كنت في ألمانيا، وقرأت فيه نصاً جميلاً بث في قلبي روح الحماسة ونفث في روعي الإيمان واليقين والعزة والقوة، ولذلك كنت أكرر هذا النص دائماً وإلى الآن في محاضراتي الدعوية ومواعظي، يقول الشيخ في هذا الكتاب:

«فإذا عرفت أن الطريق إلى الله لا بد فيه من أعداء قاعدين عليه فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير لك سلاحاً تقاتل به هؤلاء الشياطين، الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦-١٧] ولكن إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حججه

وبيّناته فلا تخف ولا تحزن ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النِّسَاء: ٧٦] والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء الشياطين، كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصَّافات: ١٧٣] فجند الله غالبون بالسيف والسنان، كما أنهم غالبون بالحجة واللسان، ولا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفُرقان: ٣٣]...» انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذا الكلام من عيون كلام الشيخ، وقد كان زاداً لي - بعد الوحي - في محاربة الباطل لما بدأنا الدعوة في ألمانيا، وكان هذا الكلام يشجعني دائماً على المواصلة والثبات، لأنه كلام خرج من مشكاة القرآن الكريم.

لقد كان همي وشغلي الشاغل دائماً هو التزود بالعلم كي أرجع بعد ذلك إلى ألمانيا وأدحض الشبهات الكثيرة المثارة ضد الإسلام، وأذكر أني لما كنت أدرس في جامعة «بون» وكان يُدرس فيها مجموعة من المستشرقين، وكان أحدهم - وهو من المجر - يلقي علينا شبهات حول الإسلام، فشعرت أن الطلاب العرب يعجزون عن الرد، فكان ذلك يحزنني، وكذلك صادفت منصرين اعتادوا على بث الشبه بين المسلمين، فقررت أن أتعلم علماً يكون لي سلاحاً أقاتل به هؤلاء المحاربين لدين الله، فالعلم سلاح حقاً كما قال الشيخ في نصه الرائع، ومن هنا جاءت رغبتي أن أتخصص في علم العقيدة وفي مقارنة الأديان بالتحديد.

وأكثر ما كان يحزنني أني لم أجد مساعدة وإعانة من أحد ممن حولي لتحقيق هذا الغرض الشريف وهو الدفاع عن الدين والحق، فلجأت إلى الله تعالى وطلبت منه العون والسداد، وطفت بالبيت الشريف وأنا أدعو بهذه الكلمات «اللهم وفقني للدفاع عن دينك».

على كل حال...

كانت استفادتي من الدراسة في المعهد عظيمة جداً، وأثرُ هذه الاستفادة

ظل مصاحباً لي إلى وقت كتابة هذه السطور، وقد وظفتُ كثيراً من المعلومات التي تعلمتها في مسيرتي الدعوية وأحسب أني عملتُ بما علمت ثم دعوت إلى ما تعلمتُ وأسال الله أن يرزقني الصبر على الأذى، وذلك أن المراتب أربعة:

- العلم
- ثم العمل
- ثم الدعوة
- ثم الصبر على الأذى.

وكلها في سورة العصر.

فليست العبرة بكثرة العلم وإنما العبرة بما وقر في القلب وعمل به الإنسان، وكم من طالب وإنسان حفظ عشرات المتون وقرأ عشرات الكتب وحصل على الشهادات ولكنه رجع إلى بلده وتوظف وتزوج وأنجب وجلس مكانه، ليس له دور في مجتمعه ولم يقم بحق العلم الذي تعلمه، والموفق من وفقه الله.

لقد كنا نشرب مشروبات منشطة في ليالي الإمتحان كمشروب «ريد بول» كي لا ننام، وربما ذهبنا إلى الإمتحان ونحن مواصلون السهر، وكنت أحياناً أضطر أن أمشي وأنا أذاكر العلم كي لا يغلبني النوم.

وبهذه الطريقة وبهذا الجلد العظيم الذي رزقنا الله = ثبتت كثير من المعلومات في ذهني، وأيضاً لأني عملت بها ووظفتها في دعوتي للألمان بعد ذلك:

على سبيل المثال:

مازالت أحفظ تعريف العقيدة بالمعنى العام «الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك على المعتقد بصرف النظر عن كونه حقاً أو باطلاً»

مثل هذه المعلومات اليسيرة كنا نفرح بها جداً ونعمل بها مباشرة وندعو إليها من حولنا، ونتناقش فيها، فكان للعلم لذة وروح، لقد كنت سعيداً بالعلم، لقد كانت كما قلت لكم من أجمل أيام حياتي.

كذلك كنت أتلذذ بدراسة علم «السيرة النبوية» وقد وظفتُ كل ما تعلمته من مواقف نبوية عملية في سيرتي الدعوية، واجتهدت أن أسير على خطى النبي ﷺ في طريقة دعوته للمشركين والمسلمين أيضاً.

لقد بنيت دعوتي على ما تعلمته في مكة من السيرة النبوية، فعلى سبيل المثال:

درسنا في السيرة أن النبي ﷺ صعد على جبل الصفا ونادى في قريش قائلاً «**يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار...**» الخ خطبته الشهيرة وهي في البخاري أيضاً.

لما درسنا هذه القصة في السيرة استفدت دروساً دعوية عظيمة من هذه القصة، ومن خلال هذه الدروس بنيت دعوتي فمن ذلك:

- لماذا ذهب النبي ﷺ إلى جبل الصفا تحديداً دون غيره من الأماكن؟

كنت أتأمل في ذلك جداً، والسبب في ذلك واضح للعيان لا يحتاج إلى مزيد بيان، لقد أراد نبينا ﷺ أن يُوصل رسالته ودعوته إلى أكبر عدد ممكن من الناس، لقد وقف في قلب مكة والحرم، ووقف في مكان يمكن تسميته في العصر الحديث بأنه أشبه بـ « DOWN TOWN» بمعنى: مركز المدينة، لأن مرحلة الدعوة السرية انتهت، وهو الآن في مرحلة الدعوة الجهرية والصدع بالحق، ويمكن أن نسمي هذه المهارة في الدعوة بمهارة «دعوة الشباك» وهي الدعوة الجماعية التي تضم عدداً كبيراً دفعة واحدة، والنوع الثاني «دعوة السِّنارة» وهي الدعوة الفردية.

ومن خلال هذه القصة النبوية: دعوت الناس إلى ممارسة الدعوة في

الشارع وأمام الجماهير، كما سأفصل ذلك في موضعه إن شاء الله، هذا هو الدرس الأول العظيم من هذه القصة الشريفة.

الدرس الثاني:

أني فهمت من هذه القصة النبوية قضية «المصارحة الدعوية» بمعنى أن الأصل في الداعية أن يكون صريحاً مع المدعو، نعم قد تقتضي المصلحة أحياناً أن يكون غير مباشر وصريح في دعوته، ولكن شدني جداً صراحة النبي ﷺ في قضيته ودعوته فقد قال لهم «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» إن الأمر جد خطير ولا وقت للمجاملات واللعب.

الدرس الثالث:

تخويف الناس من نار جهنم، وهو المصير الذي ينتظر كل من عرف الحق ووصل إليه ثم رده وكفر به، وهذا أمر جلل تهتز له القلوب والأبدان خوفاً ورهباً، وهي الحقيقة الناصعة التي ما فتئ القرآن يرددها في عشرات بل مئات الآيات، فالقرآن ذكر لنا أن جهنم لها دركات وعليها ملائكة غلاظ شداد، وأن أهلها خالدون فيها، وأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، إلى غير ذلك من النصوص المرعبة، وقد جمع هذه النصوص الحافظ ابن رجب في كتاب له سماه «**التخويف من النار**» ثم يأتي دعاة في أوروبا وغيرها ويلبسون على الناس ويقولون لهم ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] ويقولون تلبيساً وتضليلاً ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ٦] وطريقتهم في ذلك كطريقة من شرب الخمر وترك الصلاة لأن الله تعالى يقول ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون: ٤].

ومن المضحكات المبكيات أني كنت في زيارة لإحدى الدول العربية وألقيت محاضرة لغير المسلمين، فطلب مني منظمو المحاضرة ألا أتعرض لذكر «النار»!، فانظر إلى أين وصل الضعف والخور عند بعض المسلمين،

بل كان بعضهم يقول لي: «ليس من الحكمة في الدعوة أن تخوّف الناس من النار» وأنا لا أدري هل هؤلاء يقرأون القرآن أم لا؟ فالقرآن يقول ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [قٓ: ٤٥] ويقول ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزُّمَر: ١٦] ويقول ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التّحْريم: ٦] إلى مئات الآيات، ويلزم من يقول أن ذلك ليس من الحكمة أن يتهم النبي ﷺ بأنه لم يكن حكيماً في دعوته والعياذ بالله.

وهكذا تشكلتْ «عقليتي الدعوية» من خلال «السيرة النبوية».

مهما يكن من شيء...

لقد أحببت مكة من كل قلبي.

❖ الحج مرة أخرى

ثم جاء موسم الحج وأنا أدرس، فكنت مرشداً للحجاج الألمان، وذلك لأني بدأت أفهم العربية، وكنت أشرح لهم مناسك الحج، وهذا ساعدني جداً في مراجعة مسائل الحج وصفتها وتثبيتها في الذهن، والحمد لله.

❖ أول كتاب عربي أقرأه

ما زلت أتذكر أن أول كتاب عربي قرأته كان عبارة عن شرح مختصر للشيخ ابن باز على الأصول الثلاثة.

❖ قصة الحاكمية

كانت «أشرطة الدروس الصوتية» من أعظم وسائل تحصيل العلم بعد دروس الجامعة والمساجد، وهي نعمة عظيمة منّ الله بها علينا، وتختصر على الإنسان كثيراً من الوقت، وتقرب له البعيد، ولذلك انكببت عليها

وانتفعت بها جداً... وكان مما اشتريته في تلك الفترة «شرح الأصول الثلاثة» للشيخ صالح آل الشيخ، واستمعت إلى الشرح حتى وصلت إلى آخر الكتاب، وبينما أنا مستغرق ومنصت للشيخ وهو يشرح قول المؤلف «والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة... ومن حكم بغير ما أنزل الله» إذْ بالشيخ صالح يقول:

«وهناك نوع آخر حدث في هذا الزمان وهو تحكيم القوانين الوضعية، وهذا كما ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في رسالة "تحكيم القوانين الوضعية "ما نصه «إنّه من الكفر الأكبر المستبين، تنزيل القانون اللعين، منزلة ما نزل به الروح الأمين»».

كنت حينها مستلقياً على الأرض في غرفتي أستمع بكل تركيز وانتباه إلى ما يقوله الشيخ، فلما نطق الشيخ بقوله «إنه من الكفر الأكبر» = فزعتُ من مكاني ووثبتُ جالساً مدهوشاً لا أصدق ما سمعته أذناي، وقلت لعلي سمعتُ خطأً، فأعدت الشريط فإذا به يقول بلسان عربي مبين لا لبس فيه «إنه من الكفر الأكبر المستبين»!

كيف يكون هذا من الكفر الأكبر، وأنا دائماً وأبداً أقرأ وأسمع ممن حولي حتى وأنا في ألمانيا أنّ هذا من الكفر الأصغر الذي هو من جنس كبائر الذنوب التي لا تُخرج الإنسان من الملة والدين، وكنا نتهم من يخالفنا بأنه من الخوارج.

ولم يذكر لي أحدٌ قط أن هناك من العلماء من يقول إنه كفر أكبر، ومن هؤلاء العلماء؟ أناس في مقام العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم الذي كان مفتياً عاماً للمملكة قبل تلميذه ابن باز.

لماذا لم يذكر لي أحدٌ هذا؟ لماذا أقنعوني أن القول بأنه كفر أصغر هو رأي جميع علماء أهل السنة، وأن من يقول إنه كفر أكبر فهو ضال مبتدع ومن الخوارج المارقين عن الدين؟

قررت هنا أن أقرأ رسالة ابن إبراهيم المذكورة، بدأت أبحث عنها في كل مكان فكانت المفاجأة أن الكتاب ليس موجوداً في الأسواق! ويمكنك أن تقول: هناك من لا يريد لهذا الكتاب أن يقع في أيدي الناس.

وهنا بدأت أتساءل لماذا كل هذا؟ لماذا يخفون هذا الكتاب عن الناس؟ وشعرت بالحنق على الذين خدعوني وأخفوا عني المسألة الكاملة في قضية كبيرة كهذه، وقد كانت هذه المسألة في تلك الفترة من أكثر المسائل الجدلية بين الشباب، ومن أكثرها خلافاً ونقاشاً، وانقسم الشباب فيها إلى فريقين: فريق يرى أنه معصية وليس كفراً أكبر، وهؤلاء يتهمون من يخالفهم بأنه خارجي وتكفيري، والفريق الآخر يرى العكس، وهؤلاء يرمون من خالفهم - أحياناً - بأنه من المرجئة، لقد كانت مسألة حساسة، وفي الوقت نفسه كانت من المسائل التي تشغل الشباب عن طلب العلم وتوغر صدورهم على بعض وتشعل الفتنة بينهم.

ذهبت إلى صديقي القطري الذي كان معي بالغرفة وكان ممن يحضر لدروس الشيخ ربيع المدخلي، فناقشته في القضية.

ثم مرت الأيام فأوقفني طالب على كلام أخطر وأوضح للشيخ ابن عثيمين رحمه الله وفيه تكفير صريح لمن يُحكم القوانين الوضعية، وفي هذا يقول الشيخ في شرح رياض الصالحين ص١٧٨:

> «وهؤلاء المُحكِّمون للقوانين؛ لا يُحكمونها في قضيةٍ مُعينة، خالفوا فيها الكتابَ والسنة، لهَوى أو لظلم، ولكنهم استبدلوا الدينَ بهذا القانون، وجعلوا هذا القانونَ يَحلّ مَحلّ شريعة الله، وهذا كُفر؛ حتى لو صلوا وصاموا وتصدّقوا وحجُّوا! **فهم كفار** ما داموا عدلوا عن حُكم الله -وهم يعلمون بحكم الله- وإلى هذه القوانين المخالفة لحكم الله..»

لما قرأت هذا الكلام أصابتني دهشة عظيمة، فالشائع بيننا في تلك الفترة أن المشايخ الثلاثة «ابن باز والألباني وابن عثيمين» لا يكفرون من نحّى الشريعة وإنما هو كفر أصغر.

وكان الشباب يتعاملون مع فتاواهم معاملة التسليم المطلق في الجملة، فالاعتراض عليهم لم يكن مقبولاً.

فمن هنا كانت صدمتي كبيرة حيث الذي يكفر منحي الشرعية هذه المرة ليس ابن إبراهيم ولا حفيده، وإنما أحد المشايخ الثلاثة وهو الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

ولما قرأت كلامه قررت أن أشتري الكتاب كاملاً وكانت الطبعة التي أوقفني عليها الطالب هي طبعة مصرية كاملة فيها تفريغ لكلام الشيخ، حيث كانت دور النشر المصرية هذه تفرغ كلام الشيخ من أشرطته دون إذنه، فذهبت إلى إحدى المكتبات في مكة، ووجدت الكتاب نفسه ولكن بطبعة سعودية «طبعة دار ابن الجوزي» فكانت المفاجأة الصادمة أنهم حذفوا كلام الشيخ في تكفير منحي الشريعة كاملاً!.

ولعظم الصدمة لم أصدق حقيقة أن الشيخ ابن عثيمين يقول هذا الكلام، فكان الحل الوحيد أمامي كي أتثبت من مدى صدق هذا الكلام من عدمه = أن رجعت إلى الشرح الصوتي، الذي هو أصل المادة المطبوعة المكتوبة - كما هو حال غالب كتب الشيخ - فتحتُ موقع «طريق الإسلام» واستمعتُ إلى نفس الموضع من شرح رياض الصالحين، فوجدت الشيخ ينطق بمثل المدون في الطبعة المصرية حرفاً حرفاً، وهكذا دائماً من بحث = وجد الحقيقة كاملةً مهما حاول أناس أن يخفوها.

❖ زيارة الشيخ سفر الحوالي

ثم إني عزمت على زيارة الشيخ سفر الحوالي - شفاه الله - واستشارته

في هذا الموضوع الشائك الذي كان يشغل كثيراً من الشباب أمثالي في ذاك الزمن وربما ما زال، وقد كان بعض الشباب الذين من حولي - من طلاب الشيخ ربيع المدخلي – يحذرونني من الشيخ سفر وممن كان على منهجه، ومع ذلك كنت مصمماً على الذهاب إليه لأني أردت أن أسمع من جميع الأطراف، ولأني لا أحب تسليم عقلي إلى أي جهة أو إنسان، فالتسليم المطلق إنما هو لله ورسوله ﷺ، وقد كنت كثيراً ما أقول للإخوة في أثناء حدة النقاش:

«أنا لم أخرج من الكنيسة النصرانية كي أدخل في كنيسة أخرى!» أي أتبع الآراء بلا دليل.

ذهبت إلى الشيخ سفر وكان لطيفاً جداً في استقبالي والترحيب بي جزاه الله خيراً، وعرضت على الشيخ مسألة تحكيم القوانين التي أشغلتني هذه الأيام، فلما رأى الشيخ مني ذلك وعلم أن الشباب لا يقتنعون بشيء كما يقتنعون بفتاوى لعلماء متفق على مكانتهم بين الفريقين =أعطاني الشيخ جزاه الله خيراً مجموعة من فتاوى اللجنة الدائمة التي احتوت على ردود علمية على الشيخ علي حسن الحلبي والشيخ خالد العنبري.

كما سألت الشيخ مجموعة من الأسئلة في العقيدة: مثل مفهوم المحبة في الإسلام، ومسألة تتعلق بفمهوم التثليث عند النصارى

كانت هذه الفترة مزعجة قليلاً بسبب النقاشات الطويلة بين الشباب حول هذه القضايا «القوانين الوضعية - جنس العمل» وأمثالهما، وكان النقاش أحياناً يشتد ويحتد.

مرةً كنت أتناقش مع صديقي القطري حول موقفنا من الشيخ المغراوي المغربي وهل هو سلفي أم لا؟!

دار نقاش شديد في الغرفة، وكنت أدافع عن الشيخ المغراوي بشدة

وأبرئه من تهمة الخوارج والتكفير بغير حق، وكان صديقي القطري يقول فيه بقول الشيخ ربيع، وكان واقفاً أمام دولاب للملابس من حديد، فقال لي القطري في فورة وحدة النقاش:

- أنت تتبع هواك يا بيير!

فلما قال هذه الجملة لم أتمالك نفسي وفقدت السيطرة على غضبي، وصرختُ قائلاً له:

«أنا ما جئتُ من ألمانيا كي أتبع هواي!»

مصطلح «اتباع الهوى» هو من المصطلحات الواردة في القرآن وقد وصف الله بها الكفار والضلال، ومعنى «اتباع الهوى» أن يرى الإنسان الحق فيعرض عنه ويتبع ما يمليه عليه عقله وهواه ومزاجه، وهو وصف شديد، لم يكن يصدق علي إطلاقاً، لذلك كانت الجملة مؤلمة، وصديقي القطري حين قالها إنما قالها دون قصد، فقد خرجت منه أيضاً في لحظة غضب وانفعال وفي حماس النقاش، وإلا فهو لم يكن يقصد معنى الكلمة حرفياً.

وقد آلمتني الجملة لأني تركت أهلي وأصحابي وديني السابق وطلقتُ بهرج الحياة الدنيا وزينتها في ألمانيا وجئت إلى صحراء مكة لا لأتبع هواي ولا لشيء من حطام الدنيا، وإنما رغبة في تعلم الإسلام العظيم من منبعه، ورغبة في الدفاع عن الإسلام ودحض الشبهات المثارة حوله، والله الموفق.

❖ وصول أسرتي

بعد صيف **٢٠٠٥**م أحضرتُ أسرتي الكريمة «زوجتي وابني حمزة» معي إلى مكة وفرحت لذلك فرحاً عظيماً، فهو أمر محفز لي جداً على إكمال الدارسة والاجتهاد فيها، ولكن حصلت حادثة سيئة.

❖ حادثة مؤلمة

وصول أسرتي يعني أنه يجب أن أغادر «السكن الطلابي» وأبحث عن شقة أستأجرها في حي من أحياء مكة، وإلى أن أجد الشقة المناسبة استأجرت غرفة في أحد الفنادق في مكة، ونزلت فيها مع أسرتي، وكانت زوجتي في تلك الآونة حاملاً.

مكثنا أياماً في الفندق،وفي يوم من الأيام استيقظنا في الصباح مفزوعين من رائحة كريهة كادت أن تقتلنا من قوتها وشدتها، إلى درجة أننا كنا نشعر بشيء بغيض في حلوقنا يدعو إلى الغثيان، فخرجتُ من الباب مدهوشاً وباحثاً عن مصدر هذه الرائحة الكريهة، فوجدتُ عمالاً للنظافة ومعهم «بخاخات» مبيدات حشرية وهي بخاخات سامة لا شك، فسألت الموظف:

- ماذا تفعلون؟!

- فقالوا بكل هدوء: نرش بخاخات سامة لتطهير المكان من الحشرات!

ثم بعد ذلك عرض علي صديق اسمه «محمد أسد» أن أسكن معه في شقته، ولكم أن تتخيلوا أنه قسم شقته نصفين كي أسكن أنا وأسرتي بأريحية، فجزاه الله خيراً وهذه من المواقف التي لا أنساها.

❖ المغادرة المفاجئة لمكة

اقترب وقت ولادة زوجتي، ولم تعجبني الحالة الطبية للمستشفيات في مكة، حيث كانت متخلفة مقارنةً بمستشفيات ألمانيا، وأنا أعلم أن هذه مقارنة جائرة بين البلدين من الناحية الطبية ولكن هذا هو الواقع، وكنت في هذه الفترة أمرّ بحيرة هل أجعلها تلد هنا في مكة مع سوء الحالة الطبية أم نسافر إلى ألمانيا؟

مما زاد الطين بلةً أننا ذهبنا إلى مراجعة طبية عند طبيبة عربية فأعطت زوجتي إبرة نتج عن ذلك أنها أصيبتْ بالالتهاب.

وهذا مما جعلني أقتنع أكثر بأن الولادة هنا - والتي ربما ستحتاج إلى تدخل جراحي - ليس قراراً مصيباً.

استخرتُ الله وعزمت أمري وأخذت انسحاباً من الجامعة وغادرت إلى ألمانيا، وهناك ولدت زوجتي ابنتي، وبعد ولادتها بتسع ساعات ازرّق لونها جداً وصارت شاحبةً، وبعد الفحوصات اتضح لنا أنها تأثرت بالسم الذي حكيت لكم قصته في الفندق، ثم أصيبت بعد ذلك بمرض في القلب، الأمر الذي جعلني لا أستطيع أن أترك أسرتي وحدها في ألمانيا ولا أن آتي بهم معي إلى مكة، والأمر لله من قبل ومن بعد.

❖ ماذا تعني مغادرتي لمكة؟

وقد كانت تلك كارثة عظيمة عليّ ما زلت أتجرع مرارتها إلى لحظة كتابة هذه السطور، وكان لتركي مكة والجامعة أثر كبير على مسيرتي العلمية والدعوية، وأزعم أني لو أكملت دراستي سيكون لي شأن أكبر مما كان لي بكثير، ولكن قضاء الله كله خير للمؤمن، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون، ولا نقول إلا ما يُرضي الرب.

كم تقطع قلبي وأنا أغادر تلك الربوع الطاهرة المقدسة، وأنا أخلف ورائي ذاك الصرح العلمي «جامعة أم القرى» التي هي حقاً اسمٌ طابق المسمى، فجمعت بين جنباتها أصنافاً وألواناً وأشكالاً من المشايخ والدكاترة وطلبة العلم من شتى دول العالم، في نسيج متناغم متجانس قلّ نظيره في العالم.

لقد كانت - وما زالت - أمنية حياتي أن أكمل دراستي الإسلامية الأكاديمية من الباكلوريوس فالماجستير فالدكتوراه لأعود إلى بلادي متسلحاً بسلاح العلم، وأخوض غمار الدعوة والتعليم على بينة وبصيرة من ربي.

ولطالما حاولتُ مراراً وتكراراً، وعلى أزمنة مديدة، وفي جامعات

ومعاهد شتى، أن أكمل دراستي ولكن دون جدوى، لقد أبثْ جامعتي مع أني شرحتُ لهم ظروفي القاهرة التي مررت بها، وبينتُ لهم مدى حرصي ونهمي في العلم، وأوضحت لهم علو درجاتي في كل المواد التي درستها = ولكن كل ذلك لم يشفع لي، وكان ردهم علي واحداً موحداً = هكذا تقضي قوانين الجامعة.

هكذا طويت صفحة من أهم صفحات حياتي وهي صفحة «طلب العلم في مكة» ورغم أني على مشارف الأربعين وقد مضى على مغادرتي مكة ما يربو على عشر سنوات، ومع ذلك كلما تذكرت ليالي مكة وأنسها وطيبها ونفحاتها الإيمانية وليالي السمر في العلم والحب في الله = أتأثر حسرةً وشوقاً وحنيناً إلى تلك الأيام الخوالي - سقى الله ربى مكة وسبحان من قذف في قلوب العباد حبها وتعظيمها رغم خلوها من كل عوامل الجذب السياحي والطبيعة الخلابة -

ولو قيل لي: لو أتيحت لك الظروف كي تعود إلى مكة الآن وتكمل دراستك وتعلمك فهل ستعود؟لقلت نعم سأرجع إليها بالحماسة نفسها.

❖ الاستقرار في ألمانيا

منذ أن رجعت إلى بلدي وولدتْ زوجتي ابنتي كما قلت = دخلت في صعوبات جديدة بسبب تردي الحالة الصحية لابنتي، وحاولت أن أتقبل هذا بالرضى والتسليم والصبر على قضاء الله وقدره ومصائبه في الدنيا، فهكذا علمني الإسلام أن هذه الدنيا هي دار ابتلاء وبلاء، ولا تدوم على حال، فمن صحة إلى مرض ومن سرور إلى حزن، ومن رام من الدنيا دوام الحال فقط رام منها المحال، وإنما ذلك يكون عند الانتقال إلى دار السلام الأبدي.

الحمد لله على قضاء الله: لقد مكثت ما يزيد على سنة كاملة وأنا أتردد على المستشفى باستمرار مع ابنتي، وفي السنة الثانية: بدأت تتناول الطعام

عن طريق الأنبوب المغذي في الأنف حيث كانت تعجز عن الأكل الطبيعي، وما هذا إلا بسبب المرض القلبي الذي أضر بجسدها كله فأتعبها جداً، ثم في ديسمبر ٢٠٠٦م قاموا بعملية جراحية في صدرها، وهكذا دخلنا في دوامة من العلاجات والعمليات.

❖ **بداية شرارة الدعوة**

قبل ولادة ابنتي بقليل في مارس عام ٢٠٠٦م جاءني رجل مغربي وقال لي:

هناك رجل عربي يُعطي دروساً ومحاضرات في مسجد الأتراك، وأحب أن أعرفك عليه.

ذهبت إليه فوجدتُ رجلاً في عقده الرابع حنطي اللون حليقاً، ذو سحنة عربية تميل إلى السحنة الخليجية أكثر من السحنة الشامية، له حاجبان غليظان، ويتمتع بهدوء قد يجذب المستمع إليه.

وسيكون لي مع هذا الرجل تاريخ مهم، فلا بد لي أن أعرف القارئ باختصار بهذا الرجل:

هو إبراهيم أبو ناجي الفلسطيني، يحمل الجنسية الألمانية وهو من مواليد معسكر النصيرات بمدينة غزة في فلسطين عام ١٩٦٤م متزوج ولديه ٣ أطفال، غادر إلى ألمانيا عام ١٩٨٢م لدراسة الهندسة الإلكترونية، وفي عام ١٩٩٤م دخل قطاع رجال الأعمال وامتلك معملاً لتصنيع المواد الأساسية لمجال الدعاية والإعلام، ثم طوّر أعماله لتشمل شركات ومكاتب تجارية في بلدان عربية عدة، وفُتح عليه في التجارة وصار مليونيراً في سن مبكرة إذ يقول هو عن نفسه في لقاء معه مسجل «ملكتُ الملايين وأنا في سن الثلاثين» ومع ذلك لم يكن يجد طعم السعادة وكان يسأل نفسه كثيراً عن «مغزى الحياة»، وفي عام ٢٠٠٥ م كانت نقطة التحول بالنسبة له حيث بدأ بقراءة القرآن قراءة

تدبرية ليتنقل بعدها نحو تأسيس مشروعه «اقرأ» استناداً لحديث «بلغوا عني ولو آية»، وبرجوعه إلى القرآن وجد للحياة طعماً وذاق حلاوة السعادة التي لم يجدها في جمع الملايين، وعمره وقت كتابة هذه السطور **٥٤** سنة، هذه هي الخطوط العريضة من سيرته.

حينما التقيت به كنت وقتها ألبس القميص العربي الطويل، فكان أمراً لافتاً له أن يراني هكذا.

مع الوقت: لاحظت أنه يتكلم في كثير من المسائل بغير علم، ولكن هذا لم يمنعني من التعاون معه في الدعوة حيث رأى فيّ فرصة لا تُفوّت إذا وظفت في الدعوة، وأنا كذلك رأيت فيه فرصة مهمة لبناء جسور التعاون بيننا في الدعوة.

وفي يوم من الأيام من عام **٢٠٠٥**م كان إبراهيم أبو ناجي مدعواً إلى مدرسة للحوار عن الإسلام في «بيركاين» اسم المدرسة «Gutenberg-Gymnasium»

وكان هناك فيلم يتحدث عن الإسلام، وظهرت فيه فتاة تتحدث عن قصص سيئة لبعض الأسر المسلمة، بمعنى أن الفيلم يصور الحياة في الأسرة المسلمة على أنها قبيحة وسيئة جداً، وكنّا أنا وإبراهيم أبو ناجي نعلق على الفيلم، أذكر أني علقتُ وقتها قائلاً:

«لا بد أن نفرق بين الإسلام والمسلمين، فالإسلام هو: ما على المسلم أن يفعله، وليس الإسلام هو ما يفعله المسلمون، فثَم فرق عظيم بينهما، ألا ترى أن من الظلم أن تتهم صانع السيارة بالقبح والسوء لأن سائقها لم يحسن القيادة؟ فصانع السيارة ليس مسؤولاً عن حماقات القائدين...» وهكذا..

كان عدد الجمهور لا بأس به، وكانت تلك المرة الأولى لي التي أظهر فيها بهذه الصورة أمام جمهور، وجلست في المنصة بجانب إبراهيم أبو

ناجي، ودخلنا في حوار ونقاش طويل مع أفراد من الجمهور، وكان من ضمن الحضور امرأة أفغانية أمرها عجيب، تبغض الإسلام بغضاً فظيعاً لا يمكن تخيله، وبدأت تتهجم علينا وعلى كلامنا ووجهت كلامها لي تحديداً قائلةً:

«أنا أعرف الإسلام أكثر منك!»

وهذا الكلام تكرر معي كثيراً لاحقاً في مسيرتي الدعوية، حين يرى بعض المنتسبين إلى الإسلام مواقفي ودعوتي إلى الإسلام كانت الحجة الجاهزة عندهم هي:

«نحن نعرف الإسلام أكثر منك، أنت في النهاية تبقى ألمانياً لم تعرف الإسلام إلا قريباً، أما نحن فقد ولدنا وشِبنا عليه فنحن أدرى منك بالثغرات الموجودة في الإسلام»

وهذا الكلام قد يبدو متماسكاً ومنطقياً بادئ الرأي... ولكن عند التحقيق والتمحيص= العبرة بالحجة والبرهان وليس بالأقدمية والولادة، وهذا الكلام إنما ينطلي على العوام مما يتأثرون باللعب على العواطف ولكن لا ينطلي على العقلاء والمنصفين.

وهنا ملمح قد لا يتنبه إليه بعض الناس:

عند كثير من الناس فكرة أن الداعية يجب أن يكون من جنس القوم، فحتى نؤثر في الألمان يجب أن يكون الداعية ألمانياً ومنهم وفيهم - كما يقولون - ولكن أنا في الحقيقة لا أرى ذلك، وأنا هنا أتكلم عن أوروبا أو عن ألمانيا على أقل تقدير، حيث يعتقد كثير من الناس في ألمانيا أن الداعية العربي أعلم وأدرى وأفهم من الداعية الألماني من كل وجه، لذلك يطمئن كثير من الألمان إلى الدعاة العرب أكثر لفهم الإسلام والاطلاع على تفاصيله، ويرون أن الداعية الألماني مهما اجتهد فلن يكون في مثل منزلة

الداعية العربي، ومن هنا نفهم أن الألمان يحتاجون حقاً إلى دعاة عرب ولو أتقنوا مع ذلك اللغة الألمانية فنورٌ على نور كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤].

أعود مرة أخرى إلى المرأة الأفغانية التي هاجمتنا حيث أضافت قائلة:

«كان لي زوج سيء وهو الذي أجبرني على لبس الحجاب رغم أني لا أريد لبسه»

فكان تعليق إبراهيم أبو ناجي على كلامها:

«إذا كان فعل ذلك فليس هو بمسلم!»

طبعاً كما نعلم أن كلامه خطأ شديد وجهل منه، وهذه في الحقيقة من الأمور التي كنت أنتقدها عليه وهو كلامه في كثير من المسائل دون علم ولا بينة، وهذه مشكلة التسرع وتقحم الدعوة دون التسلح بنور العلم.

ولما قال هو هذا الكلام أوقعني في حرج لأني لم أشأ أن أرد عليه فنظهر أمام الجمهور بمظهر المتنازعين وهذا سيضعف موقفنا، فالذي قمت به هو أنني صرفت الموضوع إلى موضوع آخر.

❖ الاجتماع الأول للتخطيط الدعوي

بعد ذلك: اجتمعنا نحن الثلاثة «أنا وأبو ناجي والمغربي الذي عرّفني على أبو ناجي» اجتمعنا في حديقة وأخذنا نخطط ونفكر ونتأمل كيف نبدأ مشوار دعوة الألمان، لم تكن المهمة سهلة جداً فنحن في بلد يعج بشتى الأديان والمذاهب والتيارات، والعلمانية المادية جاثمة على صدور الناس وتؤثر في كل صغيرة وكبيرة في البلد، ولو نظرنا إلى الأمر بنظرة دنيوية مادية بحتة فإن فرصة نجاح دعوتنا وتأثيرها في المجتمع ضعيفة جداً، فكل ما حولنا يناقض الإسلام تماماً، والحياة هنا مغرية جداً، وكثير من المسلمين

جاء هنا وذاب في المجتمع الألماني، لذلك كانت مهمتنا صعبة حيث تتمحور في محورين:

- إرجاع المسلمين إلى دينهم.
- دعوة الألمان إلى الإسلام.

والأمران كما يُقال «أحلاهما مر» فليس أحدهما بأسهل من الآخر بصفة عامة، أما على مستوى الأفراد فالأمر يختلف من حيث السهولة والصعوبة من فرد إلى فرد.

قبل اجتماعنا في الحديقة بمدة أي عام **٢٠٠٤**م كانت فرنسا قد حظرت الحجاب في مدارسها، ولما تولت «أنغيلا ميركل» الأمر عندنا في سنة **٢٠٠٥** م لم نكن نستبعد أن تحذو هي الأخرى حذو فرنسا في حظر الحجاب، وقلت أنا في الاجتماع الثلاثي هذا:

«لا يمكنهم منع الحجاب إلا بإحدى طريقتين:

١ - أن يقنعوا الناس أن الحجاب عادة وليس "عبادة" وأن الحجاب ما هو إلا عادة عربية نابعة من ثقافة العرب وانتشرت بين العجم، ودخلت في الدين وهي ليست من الدين، فإذا اقتنع الناس أن الحجاب لا علاقة له بالشريعة والدين فحينئذ يسهل منعه، ويهون على الناس تركه من الأساس، وذلك لأنه عندنا قانون يكفل الحريات الدينية في ألمانيا، فإذا ثبت أن الحجاب جزء من الدين فالقانون يكفل لك حرية ممارسة شعائر دينك دون الإضرار بالآخرين.

٢ - الطريقة الثانية أن يقنعوا الناس أن اللاتي يلبسن الحجاب إنما يلبسنه جبراً وإكراهاً من أزواجهن وأهلهن، وهذا ما يتعارض مع قانون مطلق "الحرية" حيث إن من مبادئ الغرب الأساسية أن كل

إنسان حر في تصرفاته ولا يحق لأحد أن يجبره على شيء وهو غير مقتنع به أو لا يريده، وكما هو معلوم فإن مصطلح "الحرية" مصطلح واسع فضفاض: يستطيع كل أحد أن يفصله على هواه ومزاجه تماماً كما يفعل الغرب، وقد أثبتت لي الأيام والسنون في الدعوة أن من أكبر الكذبات التي نصدرها نحن في العالم الغربي إلى العالم الشرقي هي أكذوبة «الحرية المطلقة» إذ لا وجود لها أصلاً إلا في أذهان أصحاب القرار، أما على أرض الواقع فما من حرية إلا وتتدخل فيها الأنظمة قصاً وتقليصاً وتكتيماً.

وبعد حوار ونقاش ثلاثي توصلنا إلى أنه لا بد أن نستبق الأحداث، وأن نقوم بإعداد الدواء قبل الجرح والمرض، وقررنا أن نلقي محاضرة بعنوان «**لماذا تلبس المسلمة الحجاب؟**».

أستطيع القول إن هذه المحاضرة كانت أول محاضرة مرئية رسمية فعلية مسجلة لي، وكنت قبل ذلك في عام **٢٠٠٤**م قد سجلتُ تسجيلاً صوتياً مع الشيخ صادق عبد الفتوح المغربي بعنوان «الدين الحق»، وهي مقتبسة من محاضرة للشيخ بلال فيلبس بعنوان «الدين الصحيح»، فهذه كانت بدايات انطلاق دعوتنا.

وأحسب أنها المرة الأولى على مرّ التاريخ التي يظهر فيها صوتٌ عالٍ سلفي واضح في قلب ألمانيا،وسترى في الصفحات القادمة أي صدى كان لهذا الصوت الذي أطلقناه.

عموماً:

قمت بالتحضير الجيد لهذه المحاضرة التي اعتبرها البداية الحقيقية لانطلاقة الدعوة، وحشدت كل النصوص الواردة في الباب من القرآن والسنة وكلام الأئمة وإجماع الفقهاء، كما اطلعت على شبهات المعارضين للحجاب وتفسيراتهم وتأويلاتهم لآيات الحجاب وليهم لأعناق النصوص.

أيضاً: بيّنا في المحاضرة آلية الحكم على الشيء بأنه واجب أو لا، وذلك من خلال قواعد "علم أصول الفقه" وشرحنا لهم معنى كون «الأمر يفيد الوجوب» وهكذا.

وفهمنا الناس كيف أخذ الفقهاء الأحكام الشرعية من النصوص وأن الأمر مبني على قواعد ثابتة وليس بالهوى والمزاج ولا بالعادات والتقاليد والثقافة كما زعموا، وأن الأمر دين رباني محفوظ منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة ولم يتلاعب فيه أحد بل قد حفظ الله هذا الدين من التبديل والتحريف، وبعبارة أخرى لقد علّمنا الناس كيف يردون على شبهةٍ حول الحجاب إذا أُثيرت أمامهم بأسلوب ميسر يفهمه كل واحد.

وهكذا قمنا بنسخ هذه المحاضرة في «أقراص ممغنطة» «CD"S» ووزعنا منها آلالف النسخ مجاناً، وكان هدفنا الأساسي هو تثبيت وتثقيف المسلمين، وأحسب أننا قضينا على الفتنة في مهدها، وأنه بعد هذه المحاضرة بفترة لم يعد هناك في تلك الحقبة جدال في ألمانيا حول «الحجاب» هل هو واجب أم لا؟

❖ اشتهار اسمي

كان هناك طبيب ألماني اعتنق الإسلام، وهو صديق مقرب من أبو ناجي، أنفقا مالاً كثيراً لنسخ هذه المحاضرة عن «الحجاب» حيث نسخا منها ٥٠ ألف نسخة، وصادف أنه في عام **٢٠٠٥**م جاء الداعية المصري «عمرو خالد» إلى ألمانيا وألقى محاضرة حضرها كثيرون، فذهب الإخوة هناك ووزعوا «السي دي» على الحاضرين ووضعوها في السيارات وغيرها، وبهذه الطريقة بدأ اسمي ينتشر تدريجياً بين الناس أن هناك داعية ألمانياً اسمه «بيير فوجل» ويكنى «بأبي حمزة الألماني» ألقى محاضرة عن «الحجاب»

وقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يتردد فيها اسمي بصفتي داعية على مسامع الناس.

حيث وزعت المحاضرات بكمية كبيرة في محاضرة «عمرو خالد» لم أكن حينها موجوداً بل كنت في السعودية، فلما رجعت بعد ذلك وجدت اسمي قد سبقني في الأوساط الدعوية، لذلك وجدتُ إلحاحاً كبيراً من الإخوة كي ألقي محاضرة عندهم في المسجد،وهو ما حصل، فحين وصلت ألمانيا عائداً من السعودية لم أذهب إلى أسرتي، بل ذهبت مباشرة إلى المحاضرة، ثم بعد ذلك ذهبت إلى بيتي، وألقيت في اليوم نفسه محاضرة أخرى، وهكذا دخلنا مضمار الدعوة وولجنا لجة البحر، ولم يكن لنا طريق ولا خيار آخر، حيث كانت الساحة شبه فارغة، والناس متعطشون.

ثم بعد ذلك توالت وتتابعت المحاضرات:

- فألقيت محاضرة عن قصة إسلامي.
- وتحدثت كذلك عن «الغاية من الحياة» وهي من أهم إن لم تكن أهم قضية مؤثرة في الشارع الغربي:

لماذا نعيش؟ وما الهدف من الحياة؟ وماذا نفعل هنا؟ ماذا بعد جمع المال والاستمتاع؟ الخ

وقد استفدت أيضاً في جمع المادة لهذه القضية من محاضرات الداعية الأمريكي الشيخ خالد ياسين، وزدت عليه أمثلة واقعية شهدتها بنفسي ومن حواري مع مئات من الشباب حول هذه القضية.

- وفي **٢٠٠٥**م ألقيت محاضرة بعنوان «مفتاح الجنة» وشرحت فيها معنى كلمة التوحيد.
- وفي رمضان من نفس السنة عام **٢٠٠٥** م محاضرة بعنوان «هل كان عيسى عليه السلام مسلماً أم نصرانياً»

وكنت ألقي عليهم أموراً صادمة استقيتها من مصادرها: مثل أن عيسى عليه السلام لم يأكل الخنزير وأنه صلى ساجداً كالسجود الذي يفعله

المسلمون، وأنه لم يقل قط إنه ابن الله، ولم يقل قط إنه إله معبود، وأنه كان مختوناً، وأن الحجاب موجود في الكتاب المقدس وأمور كثيرة.

في بدايات الدعوة لم يكن هناك أي تضييق علينا من الحكومة الألمانية، فكان المجال مفتوحاً لنا على مصراعيه في كل مكان فكنا نمارس الدعوة في الشوارع والبيوت والمساجد والحدائق والقرى والمدن.

كنا أحياناً نذهب إلى القرية الصغيرة:

ونحجز فيها قاعة واسعة، ونوجه دعوة حضور إلى كل سكان القرية، وكانت القاعات تمتلئ عن بكرة أبيها.

وكنت أعتمد كثيراً في دعوتي العملية على ما كان يفعله النبي ﷺ مع قومه، وقد ذكرت سابقاً كيف استخلصت الدروس والعبر الدعوية من قصة وقوف النبي ﷺ أمام قومه وصعوده على جبل الصفا حين ناداهم ودعاهم مباشرة، والتي سميتها لكم «بدعوة الشباك» وهي الدعوة الجماعية العامة.

حيث تدعو أشخاصاً كثيرين في وقت واحد وجيز، فقد كنا نسابق الزمن، ونريد أن نخرج الناس من ظلمات وجحيم الكفر إلى نور وسعادة الإسلام، ومن جرب مرارة الكفر والمعاصي والشك لم يطق أن يرى غيره يكتوي بالنار وهو يملك الدواء ثم يتركه في حيرته وألمه.

أيضاً من الأحاديث التي كنت أتأملها وأحاول استخراج العبر منها في دعوتي: قول النبي ﷺ «الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة»

فقلت في نفسي: سنبحث في عدد أكبر من مائة، لعل الشخص رقم ١٠١ يصلح أن يكون راحلة دعوية.

لقد كنا نبحث بين الجموع من يصلح لحمل الرسالة معنا، وكلما اتسعت دائرة الاستهداف = ارتفعت احتمالية وجود من يصلح معيناً لنا في دعوتنا وحاملاً للرسالة معنا.

وهكذا بدأنا نتجول في ألمانيا شرقها وغربها وشمالها وجنوبها وكنا بدون مبالغة في كل عطلة أسبوع نزور مدينة جديدة أو قرية جديدة، وكانت أغلب محاضراتنا في القاعات والمساجد، وكانت كل يوم سبت وأحد، بالإضافة إلى يوم الجمعة، وأحياناً خلال الأسبوع خاصة في رمضان.

- ثم بعد ذلك فتحنا موقعاً إلكترونياً وكان ذلك سنة **٢٠٠٦**م واخترتُ أنا اسمه، وكان فتح الموقع بالتشاور لا شك مع أبو ناجي الذي كان يتمتع بخبرة في مجال التنظيم والتكنيك.

سميت أنا الموقع باسم «الدين الحق» وبالألمانية «die wahre religion» وكان هدفنا من هذا الموقع هو تثبيت المسلمين على دينهم وجعلهم يفتخرون به ويعتزون به، وفي الوقت نفسه فيه دعوة لغير المسلمين بالدخول فيه، وقد اخترنا هذا العنوان «الدين الحق «بعناية، وكررناه في المحافل وعلى أسماع الناس، حتى صار إذا قيل «الدين الحق» انصرفت أذهان الناس إلى الإسلام، كما أردنا أن نوصل رسالة بهذا العنوان أن هذا الدين هو الحق لا غيره وأن كل ما سواه من الأديان باطل، ولا شك أن أتباع كل دين يعتقدون ذلك في حق دينهم، ولكن لا يرفعون أصواتهم بذلك في المحافل كما نرفعه نحن، فنحن جعلنا هذا الأمر مشتهراً جداً عن المسلمين، وهو الأمر الذي جذب كثيراً من الألمان ولم يصدهم عنه على خلاف ما يعتقده كثير من الناس.

وهكذا طبعنا على بطاقات صغيرة دعاية للموقع، ووزعناها في أماكن كثيرة، ولا سيما بعد المحاضرات، وبهذه الطريقة انتشر الموقع جداً بين الناس.

وفي هذه الفترة كثفت إلقاء المحاضرات، وكنت أركز في محاضراتي على القضايا التي تلامس واقع الشباب،فمن ذلك:

أني ألقيت محاضرة عن «جريمة الزنا» وبينت ما في الزنا من قبائح وما

يستحقه الزاني من عقوبة في الدنيا والآخرة[1]، وذلك أني لاحظت أن كثيراً من الشباب المسلمين في ألمانيا يقعون في الزنا باسم «الصديقة» GIRLFRIEND والعجيب أن كثيراً من الآباء لا يرى حرجاً في أن يتخذ ابنه صديقة له، ويبدلها كل فترة من الزمن، أما إذا اتخذت ابنته صديقاً لها فإنه تثور ثائرته، مع أن الجريمة واحدة والزنا واحد لا فرق فيه بين ذكر وأنثى.

واستفدت في محاضرتي من كتاب عالم الاجتماع «كلاوس فلدمن» له كتاب بعنوان «كل شيء موجز عن علم الاجتماع» يبين فيه مخاطر الزنا على المجتمعات، وقد سبقت الإشارة إليه.

وكذلك:

ألقيت محاضرة عن «فريضة الصيام» وتحدثت فيها عن مكانتها في الإسلام وخطورة تركها على دين المسلم، وذلك أنه في تلك الحقبة **٢٠٠٦** م يندر أن تجد شاباً يصوم في ألمانيا، وليس عندي إحصائية دقيقة في ذلك، ولكني أقول وبلا تردد ودون أدنى شك أن غالب الشباب المسلمين لا يصومون في ألمانيا، ونحن نعرف هذا لأننا في قلب الميدان ومخالطون للشباب في أماكن تجمعاتهم، وليست دعوتنا حكراً على المساجد، فلا شك عندي أنه قبل بدء الدعوة لم يكن غالب الشباب يصومون، وللأسف وجدنا بعض الأئمة لا يحث الشباب على الصيام وهذا لا شك خطأ عظيم، لذلك كثفنا في تلك الفترة الكلام عن فريضة الصيام وأنه ركن لا بد منه وأن تاركه على خطر عظيم، وذكرنا للناس فوائد الصوم الدينية والصحية والروحية، وأن الصيام بمثابة دورة إيمانية مكثفة مرة بالسنة تعطي الإنسان وقوداً وطاقة ليواجه الفتن طول العام، والآن أنا أقول بحمد الله تعالى وحده وله المنة والفضل

---

(١) يشنع كثير من الناس على الإسلام بسبب عقوبة رجم الزاني، وأحب أن أهديهم هذا النص من الكتاب المقدس «سفر الأحبار ـ العدد **٢٠**» الذي يقول «وأي رجل اتخذَّ امرأةً وأمها فتلك فاحشة، فليُحرق هو وهما بالنار، فلا تكن فاحشة في وسطكم»

سبحانه أنه بعد مرور عشر سنين على دعوتنا أن غالبية الشباب المسلمين يصومون الآن وأن القلة من الشباب هم الذين لا يصومون وأصبح الآن في عام **٢٠١٧**م نادراً ما يترك الشاب الصيام.

وكذلك:

ألقينا محاضرة عن «المرأة في الإسلام» ورددنا فيها على الشبهات الكثيرة المثارة في الإعلام الغربي والألماني عن المرأة المسلمة، واستفدت كثيراً من محاضرات الدكتور الداعية «ذاكر نايك»، وذلك لأن الصورة المستقرة في الإعلام أن المسلمة مظلومة ومقهورة وتعيش تحت سطوة مجتمع ذكوري وأنها مجبورة على لبس الحجاب والنقاب، وأنها لا تتمتع بحقوقها كإنسانة[١].

❖ أول مناظرة

في هذا العام الحافل بالأحداث **٢٠٠٦**م الذي يعتبر الشرارة لانطلاقة دعوتنا وتزايد شهرتها في ألمانيا حصلت قصة كانت سبباً كبيراً لاشتهار دعوتنا بين الألمان، وذلك أني التقيت بشاب بالصدفة في محطة وقود وكان هذا الشاب مسلماً لا يظهر عليه آثار التدين والالتزام بالدين، وأبلغني هذا الشاب أنه سيمثل في مكان معين أمام أستاذ يهودي متخصص، وآخرين من القساوسة النصارى المتخصصين أيضاً المتمكنين من دينهم، وأن هذا الشاب المسكين سيقف أمامهم في المناظرة!

وقد عرفت من حواري معه أنه لن يستطيع مواجهتهم ولا نقاشهم،

---

(١) على سبيل المثال: يهاجم الغرب كثيراً النظام الوراثي المالي في الإسلام وأنه ليس عادلاً مع المرأة، ولم نسمعهم يوماً يهاجمون الكتاب المقدس الذي جاء فيه «سفر العدد **٢٧**» «وكلم بني إسرائيل وقل لهم: أي رجل مات وليس له ابنٌ = فانقلوا ميراثه إلى ابنته» وهذا يعني أنه إذا كان له ابن أنها لا ترث شيئاً!

وسيكون ضرره على الإسلام كبيراً من حيث أراد الإحسان، فما كان مني إلا أن عرضت عليه فكرة أن أجلس مكانه للمناظرة فوافق فوراً.

ذهبت إليهم في اليوم الموعود وكان دخولي عليهم بالقميص العربي «الثوب» واللحية الشقراء = مشهداً يدعو إلى الغرابة والصدمة في نفس الوقت، ولم يكونوا قد هيأوا أنفسهم أني سآتي بدلاً من الشاب، فكسبتُ عنصر المفاجأة التي تربك الخصم في المناظرات، وكان ذلك مهماً جداً.

كان جمهور النصارى كثيرين جداً، وفيهم نصارى من تركيا، وهذا الصنف من النصارى من أشد ما يكون عداوةً للمسلمين.

كان موضوع المناظرة والنقاش يدور حول «الرسوم المسيئة إلى النبي ﷺ» حيث قامت صحيفة «يولاند بوستن الدانماركية» بنشرها في **٣٠** سبتمبر **٢٠٠٥** ونشرت **١٢** صورة كاريكاتورية، وبعد أقل من أسبوعين وفي **١٠** يناير **٢٠٠٦** قامت الصحيفة النرويجية Magazinet والصحيفة الفرنسية France Soir وصحف أخرى في أوروبا بإعادة نشر تلك الصور.

بدأت المناظرة وكان النقاش حامياً من شتى التيارات والأفكار، مما أذكره من حيثيات المناقشة المفتوحة:

أن رجلاً تركياً أظنه نصرانياً من الجمهور قام وقال:

لقد نشرت بعض الصحف الإيرانية صوراً وكاريكاتيراً لعيسى عليه السلام ولم يغضب العالم الغربي لذلك، ولم يحدثوا تلك الضجة التي أحدثها المسلمون، واعتبروا ذلك من حرية التعبير، فما المشكلة في ذلك؟ ولماذا لا نتقبل نقدهم بصدر رحب؟

فأجبته:

نحن نحب عيسى عليه السلام أكثر من أنفسنا، فلا تظن أننا سنسكت لو سب أحدٌ عيسى عليه السلام أو سخر منه، بل إننا نؤمن ونعتقد أن من سب عيسى عليه السلام

فهو كافر خالد في النار، ولا ذنب لي إذا كانت الغيرة الإيمانية قد سقطت من قلوب الأوروبيين ولم يعودوا يحبون عيسى كما نحبه نحن.

وقامت امرأة فقالت:

لو أن عيسى في زماننا وسبه أحدٌ لابتسم له وضحك!

فقلت لها:

ما رأيكِ لو سألنا «الكتاب المقدس» عن رأيه في سب الأنبياء وفي سب عيسى الذي هو «إله» في دينكم؟

فقالت: حسناً.

فقلت لها: هل تؤمنين بالعهد القديم؟

فقالت: نعم.

فقلت لها: جاء في العهد القديم «من سب الإله فاقتلوه»!

فضج الجمهور وعلت الأصوات...

وصاح أحدهم قائلاً: «نحن لا نؤمن بالعهد القديم بل نؤمن بالجديد»

فقلت له: حسناً، ورد في العهد الجديد في إنجيل لوقا الإصحاح **١٩** العدد **٢٧** يقول عيسى «وأعدائي الذين لا يريدون أن أصبح ملكاً لهم فأتوا بهم فاذبحوهم أمامي»

فعلت الأصوات مرة أخرى وضج الحضور، وصاح أحدهم قائلاً:

«هذا ليس في الإنجيل»!

فقلت له «أي الأناجيل تريد؟ عندي ثلاثة»

فقام رجل وقال:

«عندي نسخة من الإنجيل الآن بيدي، أين النص؟»

فقلت له:

«افتح الإصحاح **١٩** العدد **٢٧**»

ففتح الموضع الذي أشرت إليه، فامتقع وجهه وأراه صاحبه بجانبه وخنس جالساً في مكانه.

سار خبر هذه المناظرة وتناقلها الناس بين مادح وقادح، وتضاعفت شهرتنا كثيراً بعد هذه الواقعة.

❖ فكرة تصوير إشهار الإسلام

كان الناس يأتون إلينا ويشهرون إسلامهم ويذهبون دون أن يعلم بهم أحد، فخطرت ببالنا فكرة توثيق مشهد إشهار الإسلام بالفيديو، وفكرنا أنه سيكون لذلك تأثير كبير على الناس، فصورنا مشهد إشهار إسلام رجل فلبيني مقيم في ألمانيا، وهو أول فيديو نصوره في ذلك، ثم تتابعت الفيديوهات وكثرت وانتشرت، وعلى موقع اليوتيوب عشرات المقاطع لأناس يشهرون إسلامهم أمامي زرافاتٍ ووحداناً ولله الحمد والمنة.

ومشهد إشهار الإسلام من أكثر المشاهد الباكية التي يتأثر بها المسلمون، ولا يعرف شعور معتنق الإسلام في تلك اللحظة وتحوله من ظلمات الكفر والضياع إلى نور التوحيد والإيمان = إلا من ذاقه، فأنت أيها المسلم منّ الله عليك بالإسلام فولدتَ مسلماً فلذلك مهما وصف لك ما يشعر به من يُشهر إسلامه ويخلع ثوب الكفر ويلبس ثوب الإيمان = فلن تشعر بمشاعره على وجه الدقة.

كانت صيحات التكبير تعلو حينما يفرغ الألماني من نطق الشهادتين، وتختلط صيحات التكبير بالبكاء والدموع والأحضان الدافئة التي تعبر عن مدى فرح المسلمين بانضمام أخ إلى أسرتهم الكبيرة حول العالم.

أما هذا الرجل الفلبيني ذو الوشم الصليبي فقد بكى حينما نطق بالشهادتين، وكان مشهداً مؤثراً وذاع خبره وانتشر في ألمانيا.

وبعد انتشار هذا الفيديو جاءنا أناس كثيرون يريدون إشهار إسلامهم، فكنّا أول من سنّ هذه السنة الحسنة في ألمانيا بفضل الله تعالى وتوفيقه والحمد لله رب العالمين.

وفي عام **٢٠٠٧**م بعد محاضرة لنا أسلم لأول مرة ستة أشخاص دفعة واحدة وكانت هذه سابقة من نوعها، وفتحاً عظيماً من الله لم تشهده ألمانيا من قبل، وكنا نجعل الناس يشهرون إسلامهم على المنصة أمام الجميع، وكان بعضهم ينتقدنا على ذلك ويقول هذا سيجعل الأعين عليكم ويسبب لكم المشاكل مع الألمان، فكنا نخالفه ونقول إن الإسلام الصحيح سيُحارب ولو جلسنا قابعين في القبو، ولن يعجبهم شيء ولن يرضيهم شي، سواء جهرنا أم أسررنا.

لقد غرسنا في الشباب هذه الفترة عزة الإسلام والافتخار بالانتساب إلى هذا الدين، وترك الذل والخنوع والخجل من الإسلام، فقد كان كثير من الشباب يستحون من إظهار شعائر دينهم، ويستحون من الصلاة ومظاهر التدين في المجتمع الألماني، ولكننا استطعنا أن نقنع كثيراً من الشباب أن يكونوا فخورين معتزين بدينهم العظيم، الموافق للفطرة والعقل ولا خرافات فيه ولا خزعبلات، وأنه منهج حياة متكامل شامل.

❖ السفرة للدعوة في أوروبا

في بدايات **٢٠٠٧** م سافرت للدعوة إلى النمسا وسويسرا والبوسنة، والأخيرة واحدة من دول البلقان، التي كانت في زمن ما ولاية من ولايات الدولة العثمانية الإسلامية، ونصف سكان البوسنة تقريباً هم من المسلمين، وكان جميلاً أن ترى أوروبيين مسلمين بالولادة، لقد أحببت هذا البلد ذا

الطبيعة الساحرة الآسرة، وتجولت فيه لإلقاء المحاضرات، كما تيسر لي أن ألتقي بمفتي البوسنة، ودار بيننا حديث ودي، جزاه الله خيراً.

❖ أكاذيب على طريق الدعوة

خلال هاتين السنتين «٢٠٠٦م - ٢٠٠٧ م» كثُر الكذب الإعلامي الممنهج علي خصوصاً وعلى الدعوة عموماً، وبمجرد أن يستعمل عدوك الكذبَ وسيلةً لإسقاطك فاعلم أنه قد أعلن رسمياً إفلاسه وهلاكه، فالكذب المتعمد والتشويه لا يلجأ إليه إلا أولئك الذين لا يملكون حجةً ولا برهاناً ولا شجاعة للمواجهة.

فمن ذلك: أني زرت ولاية «بافاريا» لإلقاء محاضرة، وزرتُ مدينة « Regensburg» وهذه المدينة قد زارها بابا الفاتيكان وتهجم فيها على النبي ﷺ، وألقيت محاضرتي في المكان نفسه الذي خطب فيه البابا تقريباً ووفقني الله عز وجل للدفاع عن النبي ﷺ وشرفني بذلك، فما كان من وسائل الإعلام إلا أن هاجمتني ولفقتْ عليّ الدعاوى العريضة والأكاذيب السخيفة، ومن أسخفها وأكثرها مدعاةً للضحك أنهم نسبوني زوراً وبهتاناً إلى «حزب الله الشيعي»!

ومن ذلك:

أنه في نفس العام أيضاً **٢٠٠٧**م قامت صحفية لا أتورع أبداً من أن أصفها بأنها كاذبة خاطئة وهي الصحفية «يوليا قالخ» حيث كتبت في جريدة «Die Zeit» أموراً سيئة جداً عني، يعرف من له أدنى علاقة بي أنه كلام عارٍ عن الصحة، منها أنها زعمت أن موقعي يحتوي على رابط يدعو إلى العنف، وإلى اليوم وأنا أبحث عن هذا الرابط ولم أجده! لكن هؤلاء يكذبون ولا يستحيون ولا يخجلون وإذا بيّن لهم أحدٌ كذبهم لا يتراجعون ولا يرعوون، وهؤلاء يعلمون جيداً أننا لا نملك من المال الكافي لنوكل محامين يدافعون

عنا، لأن هذا يكلف أموالاً باهظة تعسر علينا، ولكننا نرجو الله عز وجل أن يدافع عنّا جزاء دفاعنا عن دينه سبحانه، كما قال في محكم التنزيل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحَجّ: ٣٨] فاللهم اجعلنا منهم.

ومن ذلك:

أني شاركت في برنامج تلفزيوني «Frontal 21» وكانت المذيعة تركية علوية، ثم قامت بنشر اللقاء مبتوراً ليظهر كلامنا على غير مرادنا، وذلك أن هذه المرأة للأسف كانت معادية للدعوة في ألمانيا، ثم إننا قمنا ببيان النص الكامل للقاء عبر موقعنا الإلكتروني، لعل وعسى أن نتدارك التلبيس الذي حصل، ولكن كما تعلمون لا مقارنة بين مشاهدي القناة وبين مشاهدي موقعنا الإلكتروني.

ومن ذلك:

أني في عام **٢٠٠٦**م ألقيت محاضرة في جامعة «دوسلدورف» وتطرقت في المحاضرة إلى النساء المسلمات وتكلمت عن دورهن في تربية الأطفال المسلمين في ألمانيا واقترحت عليهن فتح حضانة للأطفال المسلمين ونحو ذلك، ولم يكن في كلامي أي إساءة لأي شخص أو جهة، وإنما كان كلاماً طبيعياً، لكن الجريدة في اليوم الثاني لم تجد شيئاً تنقده على محاضرتي فخرجت بمقال عنوانه بالخط العريض «هل سبَّ الداعية الإسلامي بيير فوجل النساء »؟! طبعاً أنت إذا ناقشتهم سيقولون لك نحن لم ننسب إليك السب وإنما طرحنا الأمر كسؤال فقط، وهذه حيلة إعلامية نفسية، لأن القارئ غالباً لا يقرأ المقال، وسيكتفي بقراءة العنوان، والعنوان في حد ذاته يوحي ويعطي انطباعاً غير مباشر أن الجواب على هذا السؤال هو ببساطة «نعم»!

ومن ذلك:

أني دعيتُ إلى لقاء تلفزيوني ومناقشة مع امرأة كردية سورية وكان النقاش حول قضية «قتل الشرف» وذلك لأن أختها قُتلت حينما اكتشف أهلها

أن لها صديقاً، وزعمت هذه المرأة أنّ الإسلام يدعو إلى ما يسمى «قتل الشرف» وصورته: أن الإنسان إذا علم أن أخته أو زوجته مثلاً تزني فله الحق في قتلها مباشرة، وزعمت الكردية أن هذا موجود في شريعة الإسلام.

فأخذت المصحف الذي كان أمامي، وقلت لها أمام الناس:

هذا هو المصحف، أريني أين وجدتِ هذا مكتوباً في القرآن؟!

فقالت الكردية: حتى وإن كان هذا غير موجود في القرآن لكنه موجود في الشريعة.

فقلت لها: الشريعة مستمدة من نصوص القرآن والسنة، فلا فرق بينهما.

وفي نفس اللقاء مع المذيعة، دار نقاش حول «منع الحجاب» فقالت لي المذيعة:

- أنت عندك بنتان، فهل ترى مشكلة لو أن الحكومة منعت الحجاب في المدارس مثلاً؟
- فقلت لها: نعم، هذا تمييز عنصري، وتفريق.
- ثم قلتُ لها: دعيني أسألكِ ما الفرق بين إجبار البنت على لبس الحجاب وبين إجبارها على خلعه؟ أليس كلاهما إكراهاً وإجباراً؟
- فقالت: نعم، ولكن أنا لم أُولد بالحجاب!
- فقلت لها: ولا نحن أيضاً ولدنا بالسروال!

❖ السفر إلى السعودية للقاء بعض العلماء

في عام ٢٠٠٨م سافرتُ إلى الرياض العاصمة، والتقيت بجملة من المشايخ، ولكن أهم لقاء كان لي وتأثرتُ به كثيراً هو لقائي مع الشيخ العالم الجليل عبد الرحمن بن ناصر البراك - حفظه الله ومتع به ونفع به الإسلام والمسلمين -.

كان الشيخ عبد الرحمن قصير القامة نحيل البنية أبيض البشرة والشعر، بصير القلب «أي كفيف» عليه مهابة العلم وجلالة الإيمان ونور التقوى والورع والزهد وطرح التكلف، له صوت جهوري مهيب لا يطابق بنية جسمه، في الحقيقة إن الشيخ عبد الرحمن رجلٌ تحبه وتهابه من أول لقاء، فأنت أمام رجل صادق مع الله ومع الناس نحسبه كذلك والله حسيبه.

تناقشت مع الشيخ حول مواضيع عدة، وكان الشيخ يستمع إلينا بهدوء وسكينة وتواضع جم لا يفتر لسانه عن ذكر الله، كان معنا أخ يشكو للشيخ عن بعض المشاكل التي واجهها مع أهله حين أسلم، والشيخ لا يزيد على أن يقول «الله المستعان» ونحو ذلك من الكلام.

ثم تكلمت أنا مع الشيخ عن بعض الشبهات التي كانت تثيرها علينا «فرقة الأحباش» وهي فرقة صوفية تكفيرية مارقة أتعبتنا كثيراً في ألمانيا وسببت لنا المشاكل في الدعوة، خصوصاً أثناء المحاضرات حيث كانوا يأتون إلينا في وسط المحاضرة ويطلبون منا النقاش حول قضية لا علاقة لها بموضوع المحاضرة، وإذا قلنا لهم: نؤجل النقاش إلى ما بعد المحاضرة يغضبون ويبدأون بالتشويش والصراخ والعويل الذي يربك جو المحاضرة على الحضور، ويتهموننا بالجبن والخوف من النقاش.

كان الشيخ محافظاً على هدوئه إلا أنني حينما أوردتُ له أثراً يُروى عن علي رضي الله عنه كان يحتج به الأحباش علينا ونصه «كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما كان» ويريدون به التوصل إلى نفي علو الله عز وجل على عرشه، فإذا بالشيخ ينتفض من مكانه وخرج عن هدوئه وصرخ قائلاً «هذا الكلام كذب، والأدلة على علو الله عز وجل على عرشه أكثر من الأدلة الواردة على وجوب الصلاة» شعرت من نبرة صوته وطريقة كلامه أنه رجل صادق مع نفسه، طاهر القلب، نقي السريرة، حريص على نقاء العقيدة بشكل كبير وأنه ذو غيرة كبيرة على دين الله.

وفي نفس هذه السنة ٢٠٠٨م استضفنا الداعية الشهير «يوسف أستس» ونظمنا له محاضرات في مدن كثيرة، وكانت نتيجة هذه الزيارات أن أسلم قرابة العشرين شخصاً، والحمد لله.

لقد نصحني الشيخ «يوسف أستس» بألا أقصر دعوتي على الناطقين باللغة الألمانية، وأن أتجه إلى الدعوة باللغة الإنجليزية لأن المتحدثين بها حول العالم أكثر من الألمانية، ولا شك أن كلامه صحيح من ناحية العدد، ولكني رأيت أن أكثف وأركز جهودي على الناطقين بالألمانية لقلة الدعاة في هذا الحقل، والحاجة أشد، أما اللغة الإنجليزية فالدعاة بلسانها كثيرون في مشارق الأرض ومغاربها، وأرجو أن أكون مصيباً في قراري هذا.

ثم في رمضان من هذه السنة كانت لنا أشبه بالقافلة الدعوية، وهي سيارة كبيرة يمكن النوم فيها، والتجول بحرية، لقد قمنا بجولات كثيرة في شتى مدن ألمانيا.

❖ الانفصال عن أبي ناجي

في هذه السنة ٢٠٠٨م انفصلت في العمل الدعوي عن إبراهيم أبو ناجي، وفي الحقيقة لا أريد أن أخوض في تفاصيل وأسباب الانفصال، لأن كثيراً من تفاصيل هذا الخلاف الدعوي قد لا يفيد القارئ شيئاً ذا بال.

على كل حال، لما انفصلت عن أبي ناجي توليت أنا زمام الأمر، ومعي إخوة مساعدون، وحينها فتحنا موقعاً جديداً على الشبكة بعنوان «الدعوة إلى الجنة» كان هذا في مارس ٢٠٠٨م وفي فترة وجيزة استقطب الموقع كثيراً من الزوار والمعجبين.

وفي هذه الفترة اشتد الصدام بيننا وبين الأحباش، كان الأحباش يرون نجاح دعوتنا وتقدمها وتأثر الناس بنا ودخولهم في دين الله أفواجاً فغاظهم ذلك وامتلأت قلوبهم حسداً وغضباً، وكما أسلفتُ فقد كانت طريقتهم معنا

هي حضور محاضراتنا وفعالياتنا والقيام بأعمال تشغيب وتشويش على المحاضر والجمهور، بالصراخ والعويل والمقاطعة وطلب المناظرة في أثناء المحاضرة.

فلما أكثروا من ذلك علينا = دعوتهم إلى المناظرة وأعلنت ذلك في موقعي المذكور آنفاً، وحددت التاريخ واليوم والزمان والمكان، وطلبت منهم الاتصال بي لمزيد من التفاصيل، وكان من رأيي أن تكون المناظرة علمية في مكان هادئ بعيداً عن ضوضاء الجمهور وتحسباً من وقوع مشاكل أو اشتباك بالأيدي بسبب حماقاتهم.

فما كان منهم إلا أن رفضوا المناظرة على شرطنا، واشترطوا أن تكون المناظرة أمام الجمهور كي يعرف الناس الحق من الباطل حسب زعمهم.

وقد كان الذي تولى كبره منهم رجل يقال له «محمد الأشعري» وقد حاولت أن أوضح له أن تصوير المناظرة بالفيديو يغني عن إقامتها أمام الجمهور، ففي النهاية سيشاهدها الجميع، إضافة إلى أننا سنضع رابطاً ينقل المناظرة على الهواء مباشرة، إلا أنهم رفضوا!

فعلمت حينها أنهم لا يريدون المناظرة وإنما يريدون التشغيب والإثارة فحسب، وقد قاموا بتصوير مقاطع فيديو يزعمون فيها أننا هربنا من المناظرة ونحو ذلك، وكل ذلك لم يكن.

وحتى أقطع عليهم الطريق والحجة، وافقتُ على المناظرة العلنية، وأعلنت ذلك في موقعي، وأعطيتهم مهلة ٦ أسابيع تقريباً للاستعداد، كما طلبت منهم الاتصال بي لتحديد المكان المناسب للجميع، والعجيب أنه قبل اليوم الموعود بأربعة أيام اتصل بي رجل منهم يقال له «عبد الرحمن الأسمري» - وهو أثيوبي اعتنق الإسلام- وقال: «لا نريد مناظرة علنية أمام الجمهور بل نريدها في مكان منعزل!» فلما رأيت ذلك منهم عرفت أنهم يلعبون وليسوا طالبي حق، وألقيت محاضرة عنهم مدتها ساعتان، تحدثت

فيها عن أفكارهم وضلالاتهم بالتفصيل، واستفدت كثيراً من كتاب الشيخ عبد الرحمن الدمشقية «موسوعة أهل السنة في نقد أصول فرقة الأحباش ومن وافقهم في أصولهم»، ومنذ ألقيت المحاضرة وإلى اليوم لم أتلق منهم أي رد أو تعليق على ما ورد في المحاضرة، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥].

❖ السفر إلى المغرب

في السنة من عام ٢٠٠٨م عزمت على السفر إلى المغرب بغرض البحث عن جهة تقبل بي للتزود من طلب العلم، وذلك بعد أن يئست من إكمال الدراسة في السعودية، فالعمر قصير والوقت يمضي سريعاً والعلم كثير، وكان عمري حينها ثلاثين سنة، ذهبت هناك إلى دار من «دور القرآن» التابعة «لجمعية الدعوة إلى القرآن والسنة» التي يرأسها الشيخ المغراوي، وذلك لأن الشيخ أسس هذه الجمعية التي انبثقت منها العديد من دور القرآن في المغرب، وتحدثت معه عن نيتي في طلب العلم، فرحب الشيخ بيّ كثيراً وقال لي يمكنك الالتحاق معنا بسهولة والهجرة إلينا.

عدت إلى ألمانيا ورتبت أموري للهجرة إلى المغرب بنية طلب العلم، ولكن حصل أمر لم يكن في الحسبان، وهو أن السلطات المغربية قررت إغلاق دور القرآن التابعة للشيخ والتي كنت أنوي الدراسة فيها.

وبهذا تبخر حلمي الثاني في الهجرة لتحصيل العلم.

لكني لم أيأس وكثفت البحث في المغرب مرة أخرى لعلي أجد مكاناً آخر يقبلني.

وبعد بحث وجدتُ معهداً علمياً في «مراكش» ووعدوني بأن يقبلوني، فلما مثلتُ أمامهم بدأوا يبحثون عن الحجج الواهية لعدم قبولي ورفضي، فلما ضاقت عليهم الحيلة قالوا لي: عليك أن تحضر لنا ترخيصاً من

«الأحوال المدنية» أو «الشؤون المدنية» شيء من هذا القبيل لست أتذكر الآن، ولما ذهبت إلى تلك الجهة التي نعتوها لي قالوا لي «ليس هناك ترخيص من هذا النوع، هذا أمر مباح ولا يحتاج إلى ترخيص، ولا نصدر نحن أصلاً ترخيصاً من هذا النوع!».

بعد ذلك عرفتُ أن هؤلاء القوم كانوا خائفين جداً من يد السلطات أن تطالهم وتضيق عليهم كما ضيقت على الشيخ المغراوي إن هم قبلوا برجل سلفي ألماني.

وهذا المرض مرض الخوف المبالغ فيه هو الذي أودى بكثير من الإسلاميين والدعاة.

❖ السفر إلى بروكسل

في عام **٢٠٠٩**م قررت الذهاب إلى بروكسل عاصمة «بلجيكا» وهناك درست على مشايخ يُدرسون في كلية إسلامية[١]، وارتبطت بدروس مكثفة مع الشيخ أحمد المغربي - وهو خريج الجامعة الإسلامية-، وبشيخ آخر اسمه عبد الرحمن شلحا، ودرستُ عليهما «نخبة الفكر» و«العقيدة الطحاوية» و«نظم الورقات» و«نظم الآجرومية»

ولكن لم يطل مكثي في بروكسل للأسف الشديد وذلك لصعوبة المواصلات والسفر إلى بروكسل، ولأني كنت أسافر لها بسيارة أصدقائي، ووجدت أن ذلك شاقاً عليهم، فانقطعت عن الدراسة في بروكسل.

وقبل انقطاعي؛ دلني هؤلاء المشايخ في «بروكسل» على معهد في طنجة في المغرب، سافرت إلى مراكش، ومن مراكش أخذت حافلة إلى «طنجة» في الشمال المغربي، وهذه مسافة بعيدة تقرب من ٧٠٠ كيلو، فلما وصلت عند

---

(١) أغلقتْ لاحقاً.

باب المعهد وجدت المعهد مغلقاً، ولما اتصلت بهم أبلغوني أني أحتاج أن أرجع إلى الرباط العاصمة وهي مسافة ٥٠٠ كيلو،كي أحصل على ذاك الترخيص المزعوم.

❖ أشد الأحداث حزناً وتأثيراً على قلبي

في بداية يوليو من عام ٢٠٠٩ م وقعت الحادثة الشهيرة التي اهتز لها المسلمون في ألمانيا وأوروبا وكثير من دول العالم الإسلامي ألا وهو مقتل الأخت الكريمة الدكتورة الشهيدة إن شاء الله مروة الشربيني رحمة الله عليها رحمة واسعة وكتبها مع الشهداء الصالحين أحسبها كذلك ولا أزكيها على الله.

طُعنت الأخت مروة الشربيني ست عشرة طعنة في المحكمة وهي حامل ولها ابن عمره ٣ سنوات، وزوج، وقد جُرح زوجها الآخر من قبل الشرطة.

وسبحان الله العظيم لقد كنت حذرت من وقوع أمثال هذا قبل شهرين من مقتل الأخت مروة وقلت بصريح العبارة في إحدى تصريحاتي الإعلامية «إذا استمر تحريض الإعلام الألماني-وخصوصاً في النت- ضد المسلمين على هذا المنوال الذي نراه = فسيأتي يوم نرى المسلمين يُقتلون أمام الناس في الشوارع»

وما خشيتُ منه وقع بالضبط، وقلت هذا الكلام أيضاً في محاضرة لي ألقيتها في شهر أبريل بمدينة «بازل» بسويسرا من عام ٢٠٠٩م تحدثتُ فيها عن التحريض ضد المسلمين، وشبهتُ هذا التحريض بتحريض النازيين ضد اليهود في أوروبا قبل سبعين سنة، وضربت لهم أمثلة ونماذج من أساليب «أدولف هتلر» التي كان يستخدمها للتحريض ضد اليهود، وأن هذا الأسلوب نفسه هو الذي أفرز لنا الأحزاب اليمينيّة المتطرفة الآن.

كان تحريض المتطرفين الألمان ضد المسلمين ليس مقصوراً على

الإعلام التقليدي بل أيضاً في الإعلام البديل، أعني وسائل التواصل الاجتماعية الحديثة، وقد يكون الثاني أخطر من الأول وكلاهما لا شك خطير.

❖ منعي من دخول سويسرا

في شهر ديسمبر أردت أن أدخل «سويسرا» وذلك بهدف القيام بمظاهرات مرخصة من الحكومة، والمظاهرات كما هو معلوم وسيلة سلمية للاحتجاج ضد شيء معين، وهي سائغة ودارجة في عموم أوروبا، وكانت تلك المظاهرات على خلفية منع سويسرا المآذن، فتفاجأتُ بهم يقولون لي «أنت ممنوع من دخول سويسرا، وذلك لأسباب تتعلق بالأمن الداخلي»

رغم أنهم يعلمون أن مظاهراتنا هي مظاهرات سلمية، ولم يحصل أن صدر منا أي تخريب أو تشغيب أو أعمال عنف سواء في ألمانيا أو سويسرا، ولكن هذا المنع جاء نتيجة التحريض الإعلامي ضد المسلمين وضد الدعاة المؤثرين على وجه التحديد، ولا شك عندي أن حقد الإعلام السويسري على المسلمين يفوق حقد الإعلام الألماني علينا بمراحل.

❖ حادثة منع المآذن في سويسرا

أثار هذا الحدث ضجة كبيرة في **٢٩/ ١١/ ٢٠٠٩** م حيث خرجت نتيجة الاستفتاء بكون الأغلبية من السويسريين مع قانون حظر المآذن.

وأنا هنا لست في صدد مناقشة وتحليل هذا الحدث فقد تناوله كثير من الباحثين والكتاب حول العالم، كما أن هناك كثيراً من البرامج التلفزيونية التي ناقشت هذا الأمر من الطرفين أعني من طرف الموافق والمخالف، كما فعلت مثلاً قناة الجزيرة في برنامجها «الاتجاه المعاكس» واستضافت الأب الروحي لحملة منع المآذن وهو أوسكار فرايزينغر وحاوره الأستاذ عزام التميمي.

ولكن أحب أن أطرح أسئلة منطقية عقلانية وأريد من القارئ الغربي والعاقل أن يجيب عليها بمنتهى الصدق والتجرد:

- ماذا لو عكسنا الصورة؟ ماذا لو كان هذا التصويت في دولة من الدول العربية التي تمتلئ بالكنائس كسوريا وفلسطين ولبنان ومصر وغيرها، وصوتوا على منع النواقيس أو إبراز الصلبان على الكنيسة ونحو ذلك، ماذا سيكون موقفك؟ وما موقف الإعلام الغربي من ذلك؟
- هل هذا القانون ينسجم مع «الديموقراطية» و«حرية التعبير والحريات الدينية» التي تنادون بها في المحافل؟
- لماذا المنع والتضييق والحظر والقوانين لا تصدر إلا في حق المسلمين؟ رغم أن مآذن المسلمين في سويسرا تُعد على أصابع اليد الواحدة تقريباً.
- لماذا لا نسمع عن قوانين وتضييق ضد الأديان الأخرى كاليهود والسيخ والبوذيين ونحوهم؟ بل لماذا لا نطرح تصويتاً في البرلمان السويسري أو الألماني للمطالبة بحظر معابد اليهود مثلاً أو حظر ملابسهم الدينية التقليدية؟ هل تجرؤ دولة أوروبية على ذلك؟ بل هل يجرؤ أحد في العالم على ذلك؟ بالطبع لا، وسنرى الدنيا كلها تضج وتقوم ولا تقعد لو أن دولة ما فكرت فقط - لا أقول نفذت - بالتضييق على اليهود أو النصارى في شيء.

❖ هل أسلم دانييل ستريتش؟

دانييل هو سياسي سويسري عضو في حزب الشعب السويسري الذي كان - أي الحزب- من أبرز القائدين لحملة منع المآذن، وقد تناقلت عشرات المواقع العربية والإسلامية على الشبكة خبر إسلامه، وتحدثت عنه قناة الرحمة الفضائية وغيرها، وقبل أن أذكر رأيي في هذا الموضوع أحب أن

أعرفكم أولاً بقصة هذا الرجل وقصة إسلامه المزعوم حسب ما ورد في كثير من المواقع العربية، وهذا ملخص ما ورد:

"أشهر السياسي السويسري دانييل ستريتش، العضو السابق بحزب الشعب، الذي قاد مؤخرًا حملة ضد منع بناء المآذن في بلاده إسلامه".

وسبّب إسلام ستريتش صدمة كبيرة لمؤيدي منع بناء المآذن.

وأخفى ستريتش خبر اعتناقه للإسلام عن أعضاء حزبه السابق لمدة عامين كاملين، غير أنه لم يعد يحتمل موقف الحملات الإعلامية المعادية للإسلام.

وبعدما كان ستريتش عضواً مسيحياً هاماً في حزب الشعب السويسري ويقرأ "الكتاب المقدس" كما كان يذهب إلى الكنيسة بصورة منتظمة، أصبح الآن مدربًا عسكريًا وعضواً في المجلس المحلي لبلدة "بال"، وأصبح يقرأ القرآن ويصلي الفرائض الخمس يوميًا، ويذهب إلى المسجد باستمرار.

ويشارك ستريتش الآن في تأسيس الحزب الديمقراطي المدني المحافظ في كانتون فريبورج.

ونقلت مصادر إعلامية سويسرية عن سترايش قوله: "لقد أجابني الإسلام على التساؤلات التي طالما شغلت بها طوال حياتي والتي لم أجد لها إجابات مطلقًا في المسيحية".

كما قال سترايش "أتساءل لماذا بذلت نفسي سياسيًا ومهنيًا لأكثر من ثلاثين عامًا من أجل هذا النظام السياسي، بينما في المقابل سويسرا في حاجة ماسة إلى مزيد من المساجد، وليس جديرًا بها أن تجبر المسلمين على أداء الشعائر الدينية في الأزقة الخلفية".

وتعليقي على هذا الخبر كالتالي:

أولاً: هذا الخبر كما قلت نقلته كثير من المواقع الإخبارية العربية،

وتكاد تنفرد المواقع العربية بالخبر، ويندر أن تجده في موقع أجنبي، ومن أبرز المواقع العربية التي نقلته موقعان، موقع CNN العربية، وموقع «ويكيبيديا».

ثانياً: دانييل ليس هو الذي قاد الحملة، بل الذي قاد الحملة والمبادرة وكان الأب الروحي لمنع المآذن هو أوسكار، وقد تقدمت الإشارة إليه.

ثالثاً: دار نقاش طويل في بعض المنتديات الجدلية حول مدى صحة الخبر من كذبه، وذلك لأن المواقع لا تذكر مصدراً أجنبياً محايداً واضحاً في الأمر،وكثير من المسلمين للأسف الشديد يبادر بتصديق أي خبر من هذا القبيل ويعده نصراً للإسلام والمسلمين دون التثبت من الخبر، ومنهج التثبت هو منهج قرآني رباني ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحُجرَات: ٦] وأنا هنا لا أنفي الخبر ولا أثبته وإنما أتكلم عن منهج تلقي مثل هذه الأخبار.

رابعاً: في مقابل سيل من المواقع العربية والإسلامية التي نقلت الخبر، ففي مقابلهم مواقع نصرانية وملحدة أنكرت الخبر وسخرت منه ومن تصديق المسلمين له، كما قام مركز يُدعى «مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربية» بإصدار بيان حول نفي هذا الخبر، واعتمدوا في ذلك على بعض الحجج التي أوردوها في بيانهم الذي تناقلته مواقع مسيحية بسرور بالغ، كما نفت الخبرَ صحيفةُ الوطن السعودية وجاء في كلامهم ««علمت 'الوطن' من مصدر مطلع في جنيف أن ما تناقلته بعض المواقع على الإنترنت حول إشهار من وصفته بـ'السياسي السويسري دانييل ستريتش' إسلامه على خلفية منع المآذن ليس صحيحاً، وأن هذا الشخص ليس له علاقة بمبادرة منع بناء المآذن ولا هو صاحبها».

وأوضحت: "إنه مدرب عسكري كان ينتمي لحزب اتحاد الوسط الديمقراطي في سويسرا، ثم انسحب من الحزب لأسباب لا علاقة لها بالمآذن، وانتمى إلى الحزب الراديكالي، وأنه أشهر إسلامه منذ عام **٢٠٠٤**

وليس على خلفية استفتاء سويسرا حول بناء المآذن، كما ذكرت تلك المواقع"[1].

خامساً: موقفي الشخصي أني لا أنفي ولا أثبت هذا الخبر، بل أنا متوقف فيه، فلا أصدقه ولا أكذبه، والله أعلم بحقيقة الحال والتفاصيل، لكني أنصح المسلمين بعدم التسرع في نشر هذه الأخبار قبل التحقق منها بيقين، فقد ثبت أن كثيراً من الأخبار التي تنتشر بين المسلمين على أنها نصر وفتح من الله تكون من اختلاقات الملاحدة ومادة للسخرية عند النصارى والعلمانيين وأشباههم.

سادساً وأخيراً: سألت بعض الأصدقاء في سويسرا فذكروا أنهم لا يعرفونه.

❖ العودة إلى حادثة مروة الشربيني

كان هذا استطراداً أحسبه مناسباً ومفيداً للقارئ، وبعد هذا أعود إلى سرد تفاصيل قصتي مع الأخت مروة الشربيني وما جرى في شأنها من أحداث جسام لا تُنسى في تاريخ الدعوة الألمانية.

تعود تفاصيل القصة إلى شهر أغسطس عام **٢٠٠٨**م حيث كانت الأخت مروة - ذات الثلاثين عاماً - في نزهة مع طفلها البالغ ثلاث سنوات، وكان القاتل المجرم - واسمه ألكس فينس وهو ألماني من أصول روسية - جالساً على أرجوحة في الحديقة، فطلبت منه الأخت مروة بكل احترام وأدب أن يسمح لابنها بالجلوس على الأرجوحة، فما كان من المجرم إلا أن شرع في شتمها وشتم حجابها ووصفها بالإرهابية ونحو ذلك.

---

(١) وجدت الخبر في موقعين أجنبيين، موقع ألماني وهو هذا http://www.20min.ch/schweiz/news/story/Ex-SVPler---Schweiz-braucht-mehr-Moscheen--27286120 وموقع آخر باللغة الإنجليزية وهو هذا https://www.opednews.com/populum/page.php?f=Member-of-the-Swiss-Politi-by-Jason-Hamza-van-Bo-091204-506.html

سلكت الأخت مروة المسلك القانوني وقامت بمقاضاته في المحكمة التي أنصفتها وحكمت عليه بغرامة قدرها ٧٥٠ يورو، قام المجرم بالطعن في الحكم، وفي محكمة الاستئناف بمدينة «دريسدن» وفي أثناء المحاكمة أخرج المجرم سكيناً كان خبأه معه وطعن به الضحية - وهي حامل - ١٦ طعنة أمام القاضي والشرطة والحضور، ولما أراد زوجها أن ينقذها طعنه المجرم عدة طعنات خطيرة، وفي محاولة من الشرطة للسيطرة على المشهد أطلق شرطي النار فأصاب ساق الزوج عن طريق الخطأ، مما حول المشهد إلى مزيد من المأساوية والدموية، وقد عاش الزوج ونقل في حالة حرجة إلى المستشفى، وأما مروة فقد انتقلت إلى رحمة الله تعالى.

إذن قُتلت مروة أمام الناس وفي المحكمة، كان سؤال الناس الذي يتردد كثيراً بين الفينة والأخرى هو:

كيف يقتلها في محكمة؟

كيف تجرأ على ذلك وتم له ذلك؟

أما أنا فكان سؤالي الأهم من هذا كله، وهو:

كيف دخل الحقد في قلب هذا الرجل على المسلمين؟

ومن الذي أدخل الحقد في قلبه؟

وما هي الظروف والملابسات التي أدت إلى أن يحمل هذا الرجل السكين ويطعن به امرأة مسالمة بريئة حاملاً زعماً منه أنها تُنجب الإرهابيين.

الجواب عن هذه الأسئلة أهم من الجواب عن سؤال «كيف تم ذلك في المحكمة؟» لأنه إن لم يقتلها في المحكمة فسيقتلها في غيرها.

والجواب هو طبعاً:

أن هذا الرجل واحد من عشرات ضحايا التحريض المستمر عبر مواقع

النت وغيرها ضد المسلمين، والمطالبة بطردهم من أوروبا والتخلص منهم وقتلهم بأي طريقة لأنهم منبع الإرهاب[١].

لا شك عندي أن هذا الرجل لم يستيقظ في صباح ذلك اليوم ليقرر فجأة هكذا وبلا مقدمات ولا أسباب أن يقتل مسلماً.

لقد تأثر هذا الرجل بلا شك بتلك المواقع التي تسب وتحرض وتطالب بقتل المسلمين.

وكي أكون صريحاً أكثر معكم، أقول:

إن الحكومة الألمانية تتحمل جزءاً من مسؤولية هذه الجرائم التي تقع على المسلمين في ألمانيا، وذلك لأسباب كثيرة، من أهمها:

أن الحكومة والأجهزة الأمنية على دراية تامة كاملة بكل تلك المواقع المحرضة ضد المسلمين، وقد تغافلت عنها عمداً - في نظري على الأقل - لأنها لا يهمها ذلك، وأنا هنا أتسائل بكل براءة «هل ستتغافل الحكومة عن مواقع إسلامية تدعو إلى قتل اليهود في ألمانيا مثلاً؟» الجواب أتركه للقارئ المنصف.

كما أتمنى من القارئ الغربي المنصف المتجرد أن يجيبني على هذه الأسئلة:

- ماذا لو قتل مسلم متطرف ألمانياً في دولة عربية مثلاً؟
- ماذا لو كان المقتول قُتل - فقط - لأنه يهودي أو نصراني؟

---

(١) قال وزير العدل الألماني في ولاية سكسونيا «يورغن مارتنز» في تصريح له عبر قناة الجزيرة:
«استوعبنا بعد مقتل مروة الشربيني أن ظاهرة معادات الأجانب وأتباع الديانات الأخرى = لا يمكن غض الطرف عنها بل تجب مواجهتها!» من مقطع على اليوتيوب بعنوان «الذكرى الأولى لمقتل المصرية مروة الشربيني».

- كيف أدخل القاتل السكين إلى محكمة؟ وعلامَ يدل تمكنه من ذلك؟
- ماذا لو حصلت جريمة مشابهة في محكمة من الدول العربية، ألن تكون مادة دسمة للسخرية والتندر في وسائل الإعلام الغربي هذا فضلاً عن المسارعة إلى وصف العرب بالهمجية والتخلف وانفلات الأمن والإرهاب؟
- ما موقفك من حكومة عربية ترى مواقع تحرض على قتل النصارى، ثم تتغافل عن تلك المواقع ولا تترصد لها وتغلقها؟
- هل يجوز ويصح عقلاً أن يُقتل إنسان بجريمة غيره؟ فإذا كان بعض المسلمين قد قاموا بقتل أبرياء، فهل نُحمل هذه الحماقة كل المسلمين المتجاوز عددهم للمليار مسلم؟

أليست هذه حماقة وسخفاً؟ هل يصح أن يُعاقب الألمان بسبب جرائم هتلر في البشرية مثلاً؟ سبحان الله العظيم، مالكم كيف تحكمون؟

❖ موقف الإعلام الألماني من الحادثة

كما هي العادة في الإعلام الغربي عموماً: حاول الإعلام الألماني أن يمر هذا الحدث بهدوء ودون أن يحدث ضجة أو ردة فعل عنيفة، وحاولوا بكل ما يمكن أن يتكتموا على هذا الخبر قدر المستطاع، وإن انتشر فلينتشر بسلاسة على أنه حادث عابر وليس حادثاً إرهابياً.

وهذا ليس كلامي أنا فحسب كي لا يتهمني القارئ بالتعصب والتحيز إلى جهة المسلمين، بل هذا ما صرحت به العديد من وسائل الإعلام العالمية، فعلى سبيل المثال لا الحصر جاء في تقرير أعدته قناة BBC - العربية ما نصه:

«غياب ردود فعل السلطات الألمانية المباشرة على الحادثة أثار موجة من الاستياء في مصر ولدى الجالية المسلمة في ألمانيا، حيث لم تحتل

الجريمةُ العناوينَ الرئيسة في الصحف الألمانية! إلا بعد حدوثها بأيام!»[١].

فلما رأيت ذلك منهم عقدت العزم على نشر الخبر في الدنيا، وإحداث أكبر ضجة وردة فعل ممكنة أمام هذا الحدث الجلل، لأنه تبين لي أنهم يريدون التكتم على ما حصل.

بلغني خبرٌ مفاده أن أخا مروة واسمه «طارق» سيأتي إلى ألمانيا لمتابعة مجريات القضية، مباشرةً قررت أن أذهب إلى مدينة «دريستن» لألتقي به.

كان هناك أناس حول طارق يحاولون أن يحولوا بيننا وبين وصولنا إلى طارق، لما وصلنا إلى مدينة «دريستن» حيث يقيم هو، ظللنا ثلاث ساعات نجوب الشوارع والطرقات دون فائدة، وكلما وصلنا إلى عنوان ظهر لنا أنه خطأ، وكلما ذهبنا إلى عنوان آخر قالوا لنا إنه خطأ، لقد كان من معه يتعمدون تضليلنا.

وبعد جهد جهيد: استطعت أن أصل إلى طارق، وتحدثت معه في كلام مهم ولمصلحة أخته رحمها الله ولمصلحة الإسلام والمسلمين، وكان من ضمن الكلام الذي قلته له:

«أخي طارق... اسمعني جيداً، أختك رحمها الله قتلت نحسبها والله حسيبها شهيدة عند الله «فمن قتل دون دينه فهو شهيد» ونحن لا نملك أن نعيدها إلى الحياة مرة أخرى، ولكنني أقول لك: لو كانت أختك حية وكان لها يد في أن تقف في وجه الإسلاموفوبيا لفعلت، لو كان بيدها أن توقف العنف والتحريض ضد المسلمين لما ترددت في ذلك، ولئن كانت لم تستطع إيقاف ذلك وهي حية فإنها تستطيع فعل ذلك وهي ميتة، وذلك بأن نوظف هذا الحدث في صالح الإسلام والمسلمين، وأن نهتبل هذه الفرصة التاريخية لإيقاف التحريض ضدنا، وأنا لا أطلب منك كثيراً، فكل الذي أريده منك هو

---

(١) تجده على اليوتيوب بعنوان «بدء محاكمة قاتل مروة الشربيني وسط إجراءات مشددة».

شيء واحد، وإنه ليسير جداً، ما أريده منك أخي هو أن لا تقيموا جنازتها في هذه المدينة الصغيرة، لأن عدد المسلمين فيها قليل جداً، وأطلب منك أن تجعل جنازتها في برلين العاصمة، ونحن سنعلن عن جنازتها بعد أن تخبرني باستلامك الجثة، وسيأتي آلاف المسلمين من أنحاء ألمانيا بل ومن خارجها ليصلوا على أختك في جنازة مهيبة عظيمة، نريد أن يكون هذا اليوم يوماً يعز الله فيه الإسلام وأهله، ونحن سنتولى بقية الأمور بعد الجنازة، ولا علاقة لك بما بعد الجنازة، فنحن سننظم مظاهرات تليق بالحدث وسألقي أنا محاضرة أبين فيها مآلات التحريض ضد المسلمين... أرجوك رجاء أخي طارق، خذ رقمي هذا، واتصل بي كي ننسق أمر الجنازة في برلين... لا تخيب ظني!».

حينما قلت له هذا الكلام كان بجانبه رجل مصري، وكان هذا الرجل ينظر إليّ بعبوس وغضب وامتعاض، علمتُ لاحقاً بأنه السفير المصري.

مضى الوقت وأنا أنتظر الأخ طارقاً كي يتصل بي، ولم يتصل، احترت ماذا أفعل، وذلك لأن طارقاً لم يعطني رقمه وإنما اكتفى بأخذ رقمي، فلم أجد حيلة إلا أن أتصل بشركة تُعنى بشؤون الجنائز، وسألتهم متى تستلمون الجثمان؟ فكانوا أيضاً يتهربون من الإجابة فلما أكثرت عليهم قال لي رجل عربي منهم:

«إنّ السفير المصري هددّ طارقاً أنكم إذا أدخلتم هذا الرجل في قضيتكم فلن تتحمل السفارة المصرية تكاليف أي شيء يخص المرحومة، فلن تتكفل بتكاليف الجنازة ولا تكاليف إرسال الجثة إلى مصر»

هكذا بكل خسة ودناءة.

فقلت له:

«المال ليس مشكلة، نستطيع نحن عبر إعلان واحد على موقعنا أن نجمع تكاليف كل هذا في غضون ساعات».

فرد علي قائلاً:

«السفير لا يريدك أن تدخل في القضية، هم خائفون من الحكومة الألمانية، ويخشون حصول مشادات أو مشاكل من جراء ذلك».

فقلت في نفسي:

سبحان الله، أي ذل هذا؟ من قتلَ من؟ ومن الذي ينبغي أن يخاف ويخنع ويذل؟

ثم نحن ماذا سنفعل؟ هل هددنا بانتقام مماثل؟ أو هددنا بتفجير أو تخريب أو تكسير؟ كل أعمالنا سليمة وموافقة للقانون الألماني الذي يكفل حرية التعبير والاحتجاجات والمظاهرات السلمية.

كل الذي أردته هو حضور عدد أكبر من المصلين على الجنازة، مع مظاهرة سلمية، وهذا لن يضرهم في شيء.

عموماً أضاف الرجل العربي قائلاً لي:

«سيقومون بجنازة مختصرة، في الميعاد المحدد، ومعنى هذا أن الحضور سيكون محدوداً جداً، لأنهم لا يريدون أن تكبر القضية»

فالتقطتُ منه زمان ومكان الجنازة، وهو في مسجد صغير، أرادوا أن يصلوا عليها هناك خفيةً بعيداً عن الجماهير الغفيرة، وأعلنتُ مباشرة في «الموقع» عن ميعاد الجنازة، والحمد لله كان المسجد ممتلئاً رغم أنف السفير المصري.

❖ عمرو أديب يتهمني بقتل مروة الشربيني

في مشهد مثير للسخرية والضحك خرج ذلك الشيء الذي يقال له «عمرو أديب» في برنامجه «القاهرة اليوم» ووضع صورتي أمام الملايين ليتهمني بكل

غباوة ووقاحة وحماقة بأني قاتل الأخت مروة وقال معلقاً[1] على صورتي بلهجته العامية «هو الرجل شكله غريب، معانا صورته على الشاشة دي الوقتي، شكله غريب، يعني شكله غير طبيعي».

ثم عاد في نفس المقطع[2] واعتذر قائلاً:

«آسف، بنعتذر، بيقولوا أنه الصورة دي لأحد الدعاة الإسلامين وليست للقاتل»!

وأنا لا أريد أن أعيش حالة «المؤامرة» وإن كنت لا أستبعد من هؤلاء القوم الذين لا دين لهم ولا مروءة ولا قيم ولا مبادئ أن يكونوا قد دبروا ذلك بليل، فكل ذلك وارد، وقد يكون خطأً غير مقصود، فالله أعلم بحقيقة الأمر ولا أريد أن أعطي هذا الرجل أكبر من حجمه.

لم أُردْ أن يمر هذا الحدث في ألمانيا مرور الكرام، كما أرادت ذلك الحكومة المصرية ممثلة في سفارتها،بل جعلت همي الحديث عن هذه القضية عبر المظاهرات التي نظمناها في عدد من المدن الألمانية، وكما هي العادة سيطر الجُبن على كثير من أئمة المساجد في ألمانيا الذين تلقوا اتصالات من السلطات الألمانية تدعو فيها الأئمة إلى تحذير المسلمين من المشاركة في مظاهراتنا لأننا أناس "غير جيدين"!

نعم نحن "غير جيدين" لأننا لا نسكت عن الحق، ونجهر بالحقيقة، ونبغض الظلم وأهله من أي جهة كانت سواء من مسلم أو غير مسلم، ونحن "غير جيدين" لأننا نفضح إهمال الحكومة الألمانية.

وقد قلتُ كلاماً شبيهاً بهذا في تصريح صحفي لقناة الجزيرة -

---

(١) عنوان المقطع في اليويتوب «مروه الشربيني ـ شهيدة الاسلام ـ اتصال ابنه عمها» بهذا النص، وتجد كلامه عني في الدقيقة ١:٥٠.

(٢) في الدقيقة ٥:٣٠.

الإنجليزية[١]، ولكن مشكلة وسائل الإعلام أنهم يركزون في مقابلاتهم مع الذين يسمونهم بالمسؤولين أو الرسميين، وكثير من هؤلاء الذين يتقلدون مناصب إسلامية رسمية في ألمانيا لم ينصروا الإسلام والمسلمين في قضاياه المهمة حين احتيج إليهم.

في الحادي عشر من شهر سبتمبر **٢٠٠٩**م سجلت مقطعاً مرئياً نشرته على اليوتيوب بعنوان (Message to our brothers and sisters in Egypt) «رسالة إلى الإخوة والأخوات في مصر».

وأبرز ما قلته فيه:

«إخواني وأخواتي في مصر، إني لأرجو أن تكون الأخت مروة شهيدة عند الله، فاصبروا واحتسبوا وعليكم بالسكينة والهدوء، فإن المشاكل لا تُحل بالانفعال والغضب[٢]، ولو أنكم أردتم أن تنتقموا لمروة بأن تقتلوا سائحاً ألمانياً أو أوروبياً لكنتم بذلك الصنيع والفعل من الظالمين، فإياكم وذلك، وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي «يا عبادي إني حرمت الظلم على

---

(١) عنوان الرابط على اليوتيوب:

Maximum Penalty for the Murderer of Marwa El.- Pierre Vogel in Al Jazeera!

(٢) جاء على موقع «اليوم السابع» ما يلي: تحولت جنازة مروة الشربينى إلى مظاهرة عارمة، هتف فيها جميع المشاركين رافعين لافتات "بالروح بالدم نفديكى يا مروة"، "يا ألمانى يا خسيس دم المصرى مش رخيص"، "الدكتورة دى مصرية يا وزارة الخارجية"، "لا للعنصرية"، "حسبى الله ونعم الوكيل"، "إسلامية إسلامية لا شرقية ولا غربية"، و"مروة مروة يا شهيدة أخت سمية فى التخليدة".

كما طالب المتظاهرون الرئيس مبارك بقطع العلاقات مع ألمانيا، وتولت عملية الهتافات من جماعة الإخوان المسلمين، وحاولت قوات الأمن تفريق الجموع لمرور السيارة التى تحمل جثمان مروة بسرعة، وتفرقت قوات الأمن لفض الجموع، إلا أن المتظاهرون استكملوا المسيرة وحدهم، رافعين لافتات تقول "لا إله إلا الله تسقط تسقط ألمانيا"، وتسببت المظاهرة فى توقيف شارع الكورنيش» يمكن مشاهدة الجماهير الغفيرة التي خرجت من جامع القائد إبراهيم على اليوتيوب.

نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» وقال تعالى «ولا تزو وازرة وزر أخرى» وإنّ غالب الألمان أستطيع القول بنسبة ٩٠٪ إن لم يكن أكثر من ذلك يستنكرون قتل هذا الجاني للمسلمة، وهم مرعوبون من ذلك كما أنتم مرعوبون، ويألمون كما تألمون...»

❖ الموقف المصري من القضية

أما الموقف الشعبي فغني عن القول أنه أشعل الشارع المصري وكان على قدر القضية، وأدنى بحث في محركات البحث سيظهر لك مدى تفاعل المصريين وحماستهم وتعاطفهم مع ابنتهم المغدورة.

أما الموقف المصري الرسمي:

فقد تعاملت الخارجية المصرية والسفارة مع الموضوع بكل خوف وارتباك وذعر وكأن القاتل مصري والمقتولة ألمانية! وليس هذا بغريب من دولة عربية تعيش تحت الذل والقهر والاستعباد وتدنيس كرامة المواطن المصري منذ عقود، ولا أريد أن أخوض في تفاصيل أكثر حول هذه القضية التي تكفل بها المصريون بما يكفي، ولكني أكتفي بما فضحهم به محامي مروة الشربيني الأستاذ خالد أبو بكر حيث خرج عبر مكالمة ومداخلة هاتفية في قناة «التحرير» عبر برنامج «في الميدان» ليتساءل عن المليونين جنيهاً مصري الذي صرفته الخارجية على قضية مروة، أين ذهب هذا المال؟ وماذا تم من خلاله؟ في إشارة منه إلى فساد مالي فظيع، وأضاف قائلاً:

«أقسمُ بالله أني دخلت على السفير المصري في ألمانيا وأنا خارج من المحكمة حيث رأيت دمَ مروة الشربيني، فوجدته يحتسي «الواين» وهي من أغلى أنواع الخمور، ويكلمني بكل استعلاء!»[1].

---

(١) بعنوان «محامى مروة الشربينى سفارات مصر بيتشرب فيها خمرة ولسة بيعملونا باستعلاء» «على اليوتيوب»

❖ ما الذي آلتْ إليه القضية؟

بعد محاولات فاشلة من محامي القاتل في الادعاء أن موكله مصاب بارتجاج في المخ أو أنه مريض نفسي - كعادة الغربيين في مثل هذه الحالات - حكمت المحكمة على القاتل بالسجن المؤبد، وهذا الحكم في نظري هو نصف العدل وليس كل العدل، وأحياناً يكون نصف العدل ظلماً، وعلى كل حال فالقانون الغربي لا يفهم ولن يفهم أنه لا أعدل ولا أحكم ولا أعلم ولا أنصف من القانون الرباني الإلهي الذي يقول بوضوح «القاتل يُقتل» «النفس بالنفس».

وأما مروة فقد نقل جثمانها إلى مصر وصُلي عليها في جامع القائد إبراهيم الشهير وانطلقت مظاهرات ضخمة بعد الصلاة مندددة بالحدث ومطالبة بالقصاص، كما نصبت جمعية أهلية ألمانية نصباً تذكارياً في المدينة التي شهدت مقتلها، ورغم كون مشروع النصب التذكاري لم يكتمل بسبب معارضة بعض نواب الولاية إلا أنه تعرض للتخريب والتدمير من قبل بعض الجماعات النازية المتطرفة[(١)].

وقبل أن أقلب صفحة الأخت مروة رحمها الله أحب أن أقول:

قارن حجم تفاعل الإعلام العالمي - وليس الغربي فحسب - مع قضية إنسانية فظيعة مثل ظروف مقتل مروة وبين قصة «مالالا يوسف» التي جعلها الإعلام الغربي والعالمي بطلة الأبطال وسيدة نساء العالمين وجعلها من الشخصيات الخالدة على مر الدهور، فإذا استوعبتَ الفرق في التعامل بينهما أدركت حجم الكارثة والفضيحة والغزو الإعلامي والفكري الذي نعيشه، نحن نعيش في زمن ليس البطل فيه من كان بطلاً حقاً، بل البطل فيه من التفتتْ إليه أجهزة الكاميرا.

---

(١) شاهد تفاصيل هذا الخبر على موقع DW بعنوان «نصب مروة الشربيني ضحية حيادية برلمان ولاية سكسونيا».

❖ **قدوم الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني إلى ألمانيا**

في نهاية **٢٠٠٩**م أرسلت امرأة ألمانية إلى صفحتي رسالة إلكترونية، وهذه المرأة رحمها الله هي صديقة زوجة الشيخ أبي إسحاق وتقيم في «كفر الشيخ» مفاد هذه الرسالة: أن الشيخ أبا إسحاق مريض ويريد أن يعالج في ألمانيا فهل تستطيع مساعدتنا في ذلك؟

وبقدر ما فرحت بهذا الأمر جداً فهذا يعني أن الشيخ سيأتي إلينا ونستفيد من علمه وتوجيهاته عن قرب في ألمانيا إلا أني في الوقت نفسه حزنت أيضاً لحالة الشيخ الصحية.

بادرت بالاتصال على صديق لي يعمل طبيباً في إحدى المستشفيات الألمانية، ولا أريد ذكر اسمه كي لا يتضرر من الحكومة الألمانية، ورتبت معه أمر قدوم الشيخ للعلاج.

اتصل بي الشيخ أبو إسحاق وتحدثت معه حول الأمر وكنت سعيداً جداً بسماع صوت الشيخ الذي كانت شهرته كبيرة، ويتمتع بسمعة طيبة في الأوساط العلمية والدعوية.

قدم الشيخ إلينا في شهر أبريل من عام **٢٠١٠** م ومعه من المرافقين «مدحت عمار» و«محمد سعد الأزهري» واستقبلنا الشيخ استقبالاً يليق به نحن ومجموعة من دعاة ألمانيا في مطار «فرانكفورت».

فرحت جداً لرؤية الشيخ أمامي لأول مرة في حياتي أراه على الطبيعة، فقد كنت محباً له ومعجباً بدروسه ومحاضراته، وتوقعتُ أني سأرى الشيخ على نفس الحالة التي رأيتها عليه في مقاطع الفيديو.

ولكني وجدت الشيخ مختلفاً كثيراً عما عهدته، فقد كان قد هدّه المرض وهو جالس على كرسي متحرك يدفعه مرافقاه، وقد بدا نحيلاً ومتعباً، يشع نور الإيمان وصدق اللهجة من وجهه أحسبه كذلك والله حسيبه.

تجاذبت أطراف الحديث مع الشيخ وكان من أوائل ما سألني عنه هو حال الدعوة والدعاة في ألمانيا، فأجبته ثم قلت له:

الأولوية الآن في سفرك هذا هو العلاج وتحسن حالتك الصحية، فقال لي الشيخ «لا يا أبا حمزة، بل الأولوية للدعوة، فالدعوة هي حياتي» وكلامه هذا لا شك أثر فيّ، وشعرتُ أنه رجل يحب الدعوة من كل قلبه وروحه، كان هذا واضحاً من طريقة كلامه.

وفي طريقنا إلى الفندق - مدة ساعة تقريباً - كثّف الشيخ أسئلته مرة أخرى عن حال الدعوة في ألمانيا، وكانت هناك قضية تشغلني وتشغل كثيرين وهي مسألة شرعية دعوية، عنوانها «هل وسائل الدعوة توقيفية أم اجتهادية»؟ كانت هذه القضية محل جدل كبير بين طلاب العلم وفي الساحة الدعوية، وكنت أنا أميل إلى أنها ليست توقيفية، بل هي اجتهادية وفق ضوابط الشريعة، ومن المسائل التي تتفرع عن هذه القضية: قضية «الدعوة في الشوارع» ولنا على اليوتيوب العديد من مقاطع الفيديو ونحن نمارس الدعوة في الشوارع.

وذلك أننا في هذه المدة كانت الحكومة الألمانية قد ضيقت الخناق علينا، وصرنا لا نتمكن من الدعوة في المساجد ولا نستطيع أن نستأجر القاعات لإلقاء المحاضرات، وكنت أختلف مع الإخوة الذين استسلموا للواقع وقالوا علينا أن نكتفي بطلب العلم وتعليم المتون العلمية في حدود المتاح، وزعموا أن نصر الله سينزل علينا ونحن نكتفي بتدريس «الأصول الثلاثة» و«كتاب التوحيد» دون أن نتحرك للدعوة في الشوارع.

كنت أرفض هذه الفكرة الخمولية الصوفية بشدة، وأرى أن التغيير لن يحصل بتدريس المتون في البيوت أو الشوارع، بل التغيير يحصل بمخالطة الناس ومزاحمتهم في شوارعهم وأسواقهم وحدائقهم، والله عز وجل يقول ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفرقان: ٢٠].

ومن هنا قررنا أن ننطلق في الشوارع العامة المفتوحة التي ليست حكراً على أحد ولا تستطيع الحكومة ولا إدارات المساجد أن تمنعنا من شيء.

وكي نضفي مزيداً من القانونية على عملنا كنا نأخذ إذناً من الحكومة لإقامة فعالية في الشارع تحت مسمى «مظاهرة» وهذا حق مكفول لكل أحد، ونحدد للشرطة الزمان والمكان.

ثم نقف في منصة في الشارع العام ويتجمهر الناس حولنا ونتحدث بما شئنا، فالفعالية إذن ظاهرها مظاهرة وباطنها محاضرة، وبعد الانتهاء من الفعالية كنا ننظف المكان ونتركه كما كان، ونوصي كل من معنا بعدم الدخول في مشادة أو مشاجرة مع أحد مهما تعرضنا لاستفزاز - وما أكثرها - كما نأمر الإخوة بطاعة الشرطة في التوجيهات الأمنية، وقد قمنا بحمد الله بأكثر من ثلاثين فعالية على هذا النحو، وكانت الشرطة معجبة بانضباطنا، حتى جاءنا مرة قائد الشرطة في مدينة « Duisburg» وقال لنا: «أنا لم أرَ تجمعاً مثلكم من حيث الانضباط والنظافة والأدب والخلق»

واجهتنا إشكالية الاختلاط بين الجنسين، حيث لم نتمكن من الفصل بينهما بحكم أن المكان أصلاً ليس قاعة ولا مسجداً ولا مكاناً مغلقاً، بل هو شارع مفتوح، وكان بعض الناس يعيب علينا اختلاط الجنسين في فعالياتنا هذه، وعذرنا في ذلك أننا نتكلم في الشارع العام، والشريعة لم توجب علينا فصل الجنسين في الطرقات والأماكن المفتوحة، وإنما يكون ذلك في الأماكن المغلقة التي قد ينتج عنها فتنة، إضافة أن كثيراً من الحضور لم يسمع في حياته مطلقاً بمبدأ الفصل بين الجنسين مما قد يسبب له ربكة في تقبل الإسلام وفهم حقيقة التوحيد الذي هو أهم من كل جزئيات الشريعة، ومع هذا كله فقد كنا نقترح فقط على الجمهور أن ينفصلوا، وأن يكون الرجال في جانب والنساء في آخر، نقترح ذلك ولا نستطيع إلزام أحد.

شرحت للشيخ أبي إسحاق الحويني كل هذا وأردت رأيه وتعليقه كي نعتضد به في دعوتنا، ولكنه جزاه الله خيراً من ورعه قال:

«أحتاج إلى وقت للتفكير حول هذه المسألة والقضية»

وهذا في الحقيقة أثر فيّ وعلمني ألا أستعجل في الأمور، كما أن الشيخ كبر في عيني وعلمت أنه لا يتكلم بهوى أو عشوائية بل بتأمل وروية وعلم، بارك الله فيه وفي علمه.

وفي نهاية السفرة شاهد الشيخ مقاطع فيديو ونماذج لدعوتنا في الشوارع ففرح بها وشجعنا على ذلك، جزاه الله خيراً.

كما شاهد الشيخ أيضاً الجهود التي بذلناها في قضية مقتل مروة الشربيني من خلال الفيديوهات فتأثر بذلك وبكى وفرح جداً.

على كل حال...

لقد كنا حريصين جداً على إخفاء مكان إقامة الشيخ عن الجماهير، وذلك لأن الناس إذا علموا بمكان إقامته فلن يرحموه ولن يرحموا ضعفه وصحته، وسيتوافد الناس عليه ليل نهار والشيخ بحاجة شديدة إلى الراحة.

ولكن بعد يوم من إقامته في الفندق انتشر الخبر بين الناس بسرعة، وتفاجأنا بقرابة عشرة أشخاص يطرقون باب الغرفة علينا وهم من دول المغرب العربي ويودون السلام على الشيخ، كان مدحت عمار حازماً في هذا واعتذر منهم بشدة، ولكن الشيخ لما علم بوجودهم عند الباب تحامل على نفسه وجاء إليهم ورحب بهم وأدخلهم إلى الغرفة، ومكثوا للسلام عليه الساعات الطوال.

ظل الشيخ طوال هذه الساعات يعظهم ويذكرهم ويوجههم وينصحهم ويحاورهم، وكان يركز كثيراً على قضية الهجرة إلى بلاد المسلمين.

وهذه الأخلاق العالية من الشيخ والترحيب بالضيوف في شدة المرض أمرٌ أثر فيّ لا شك.

رتبنا للشيخ محاضرته الأولى وأعلنا عن ذلك فتوافد الناس من كل مكان واكتظ المكان بالحضور الذين كانوا بالآلاف، جاؤا من أنحاء أوروبا من النمسا وبلجيكا وهولندا وغيرها.

ولما أطلّ عليهم الشيخ بطلعته البهية وهيبته ووقاره، وطاقيته التي اشتهر بلبسها = فرح المسلمون لرؤيته كثيراً وكبروا لرؤيته كما لو كانوا يشاهدون هلال رمضان.

كان مشهداً مهيباً والناس من شدة الزحام متلاصقون ببعضهم، واضطر بعضهم للجلوس على الأرض، وكنت أجلس بجانب الشيخ أقدمه للجهمور، وكان الفرح ظاهراً على وجوه الناس، وصرح كثير منهم بعد المحاضرة في مقابلات إعلامية أُجريت معهم عبر قناة DAWAH-TV أن رؤية الشيخ بالنسبة لهم أمنية تحققت، كان الحضور من شتى الجنسيات من العرب والعجم.

كما جاء رجل ألماني وأشهر إسلامه على يد الشيخ بعد المحاضرة، وفرح الشيخ به كثيراً وبادر الشيخُ بتقبيل الرجل على رأسه، لقد كانت أياماً ومشاهد لم يشهدها المسلمون في ألمانيا منذ زمن سحيق[١].

وهذا الرجل الذي أسلم على يد الشيخ حسُن إسلامه وتسمى بياسين، وما زال ملتزماً بدينه، وكان الشيخ يسأل عنه كثيراً.

قضى الشيخ شهوراً في ألمانيا وتجول في دول مجاورة وألقى العديد من المحاضرات المتنوعة في عدة مجالات، في التوحيد والأخلاق والسلوك

(١) شاهد مقطعاً على اليوتيوب بعنوان «كواليس محاضرات الشيخ أبو إسحاق الحويني في أوروبا»

وغيرها، كانت عناوين محاضرات الشيخ جذابة جداً مثل «ثم يتوبون من قريب» «أيها التائه...قف» «اللحظة الفارقة» ونحو ذلك.

نظمنا للشيخ محاضرات في عدد من المدن الألمانية وفي وهولندا وبلجيكا وأسبانيا - وكان الشيخ قد تعلم الأسبانية قديماً ونسيها - كما كنا رتبنا محاضرة للشيخ في تركيا، ولكنه لم يتمكن من السفر فسافرتُ نيابة عنه وألقيت محاضرة تُرجمت إلى اللغة التركية.

وحيثما ذهب الشيخ لإلقاء محاضرة كانت الحشود الغفيرة تنتظر قدومنا بفارغ الصبر، وينهال عليه الناس سلاماً وتقبيلاً وترحيباً واحتضاناً، ومثل هذه المشاعر الأخوية الصادقة لا تكون إلا لله تعالى، فهذا الحب العظيم نابع من حب هؤلاء الناس لله ورسوله ﷺ، فهم عظموا الشيخ لأنه يدعو إلى الكتاب والسنة، ولأن في صدره إيماناً بالله نحسبه كذلك والله حسيبه، ولم تكن هذه المشاعر الجياشة لدنيا يصيبونها إطلاقاً، لقد تركوا مشاغلهم وارتباطاتهم فقط للجلوس بين يدي الشيخ والنهل من علمه وأخلاقه وتوجيهاته، ومن عاش في أوروبا عرف قيمة ومعنى وجود العالم بين ظهرانيهم، فهم في أمس الحاجة إليه.

كما كانت الحشود تتزاحم على سيارتنا ونحن نغادر القاعة ولا تكاد السيارة تتمكن من السير من شدة الزحام، وكان الشيخ لا يضيق بذلك ولا يعبس، بل يتلقاهم بحب وتواضع وبابتسامة.

لقد انتفعت من ملازمة الشيخ في هذه المدة، وتأثرت بمواقف تربوية وأخلاقية كثيرة يصعب حصرها، ووجه لي الشيخ الكثير من النصائح والتوجيهات التي نفعتني في مسيرتي ودعوتي،

فمن نصائح الشيخ لي:

- لقد علمتُ أنّ حسادك كثيرون، ولكن امض ولا تلتفت إليهم.

- ادع إلى الله وكأن القرآن نزل عليك.

وأكثر صفة تأثرت بها في الشيخ هي صفة التواضع وهضم النفس مع الجميع.

ولاحظت أن الشيخ كان يديم الاستماع إلى تلاوة الشيخ المنشاوي، ويقرأ كثيراً في «فتح الباري» ويشتاق إلى مصر بشدة.

❖ السفر إلى قطر

كان السفر إلى قطر **٢٠٠٩**م بتقدير رباني ليس بترتيب ولا تخطيط مني، وذلك أن رجلاً قطرياً يعمل في القطاع العسكري كان لأمر ما في ألمانيا، والتقى برجل ألماني اعتنق الإسلام حديثاً، وعن طريقه سمع بي ورغب في لقائي، وقد كنت في اليوم نفسه يجب أن أكون في الطائرة التي ستحملني إلى المغرب ـ ولكن قدر الله فطارت عني الطائرة، وبهذا تمكنت من لقاء هذا الرجل القطري الطيب الذي كان سبباً لزيارتي الدعوية إلى قطر.

ذهبت أنا وأسرتي ومكثت فيها أسبوعين تقريباً، وقد كنت سعيداً جداً بوجود أهلي معي، لأنها المرة الأولى والوحيدة في حياتي التي ترافقني فيها أسرتي في رحلة دعوية.

بحمد الله ألقيت العديد من المحاضرات في مركز فنار الشهير في قطر وغيرها وخطبت الجمعة مرتين، بالعربية والإنجليزية.

ثم زرت قطر مرة أخرى عام **٢٠١٠**م بغرض زيارة شيخنا أبي إسحاق الحويني الذي كان هناك لإلقاء محاضرات دعوية - متعه الله بالصحة والعافية - ثم سافرت ورجعت إلى قطر مرة أخرى في العام نفسه في رمضان، ومكثت شهراً، حفظت فيها «سورة التوبة» وما تيسر من «سورة الإسراء» مع شيخ مصري.

ثم زرتها في ٢٠١٥م مرتين، إحداهما باستضافة كريمة من امرأة قطرية فاعلة خير جزاها الله خيراً، وهذه المرأة لها فضائل كبيرة عليّ وعلى أسرتي خصوصاً وعلى الدعوة عموماً، كتب الله أجرها، وفي هذه الزيارة ألقيت محاضرات في مركز فنار وفي «أسباير».

ثم زرت قطر في ٢٠١٦م وكانت باستضافة من أحد الإخوة، وخطبت فيها الجمعة باللغة العربية في مدينة الخور.

لقد التقيت في قطر بمجموعة من المشايخ والدعاة وطلاب العلم والفضلاء، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

شيخنا د. بلال فيلبس – وفقه الله - وقد سبق الحديث عنه، زرته في بيته بالدوحة مراراً وتجاذبت معه أطراف الحديث، واستنصحته في أمور الدعوة.

كما تشرفت أيضاً بلقاء الشيخ القارئ الشهير صاحب الصوت الفريد الذي يُعد ظاهرة صوتية بحق تبارك الله وهو عبد الرشيد صوفي - وفقه الله - وأعجبت جداً بسمته وهديه ووقاره ودهشت من أخلاقه العالية وابتسامته التي لا تفارقه وتحدثت معه حول الدعوة والقرآن والقراءات.

❖ الشعب القطري

بدا لي أن الشعب القطري شعب مسالم جداً، بعيد عن العنف والعدوانية، إنهم قوم يحترمون الآراء ومؤدبون جداً مع من يخالفهم الرأي، والبلد هادئة لا ترى ولا تسمع فيها إزعاجاً صاخباً، بل الهدوء هو الغالب على البلد، كما أنه بلد نظيف ومرتب، وقد كانت أوروبا تدندن كثيراً حول اضطهاد قطر للعمالة التي تعمل لديها فكنت أحرص على سؤال العمال الذين ألقاهم وسألت سائقي الأجرة «هل أنتم مرتاحون هنا» فأجابوا بنعم، مما لم يعجبني: الاعجاب الشديد بالغرب عند بعض الناس، وتسلط اللغة الإنجليزية

على مفاصل الحياة، ومع ذلك تبقى قطر - في نظري - هي من أفضل البلدان لمن أراد أن يحيا حياة كريمة، ولكني لم أجد فيها بغيتي لتحصيل العلم الشرعي والتفرغ لذلك.

وأثناء وجودي في قطر حصلت حادثة مهمة، وهي:

قصة مشروع المركز الإسلامي والحرب مع الإعلام

من أبرز المساجد الدعوية مسجد «السنة» في مدينة «منشن جلدباخ» والذي يديره بعض الإخوة منهم «أبو آدم سفين لاو»،وكنت أخطب فيه مرتين في الشهر تقريباً، فقرر الإخوة أن يشتروا المكان الذي فيه المسجد، لأنه كان بالأجرة، واتفقوا مع أبي أنس التركي على أن ينتقل هو مع مدرسته الإسلامية التي في مدينة «بغاونشوايج» إلى مدينة «منشن جلدباخ» فتتحد الجهود ويوسعوا المكان، وليضم المكان مسجداً ومدرسةً في وقت واحد، لأن عدد المسلمين في هذه المدينة أكثر بكثير من مدينة «بغاونشوايج».

فلما أرادوا أن يشتروا المكان ودفعوا جزءاً من المبلغ وشرعنا نجمع التبرعات لإكمال المبلغ المتبقي وساعدتهم أنا في ذلك عبر تسجيل الفيديوهات وانتشر الخبر = جُن جنون أعداء الدعوة وجن الإعلام الألماني وشُنتْ علينا حملة شعواء لا تبقي ولا تذر.

وسبب جنون الألمان - كما قلت - أن هذه المدينة التي سيقام فيها المشروع عدد المسلمين فيها أكثر وأكبر، والمبنى سيكون ليس مسجداً فحسب بل مدرسة إسلامية، وعدد من الأنشطة الدعوية المؤثرة، فخافوا من ذلك جداً وذعروا من انتشار الدعوة وتأثر الناس بها، لأن المخابرات تتابع كل صغيرة وكبيرة وتعرف حجم تأثيرنا في الشارع الألماني، فهو تأثير لا يستهان به.

فماذا فعل الإعلام معنا؟

كنت أنا في قطر حين شنوا الحملة على المشروع، ولم أكن على دراية بتفاصيل ما كان يُكتب عنا، بعد ذلك علمت أنهم كذبوا علينا كثيراً وخوفوا سكان المدينة منا كثيراً،واتهمونا وافتروا علينا افتراءات لا يعلم بها إلا الله، كل هذا كي لا يقوم المشروع في هذه المدينة.

فمن ذلك:

أنهم بتروا مقطعاً من محاضرة مسجلة بالفيديو ألقاها أحد الدعاة وهو أبو أنس، وكان يرد فيها على غلاة التكفير، ويناقشهم في موضوع حد الردة، فأشار بيده إلى جهة رقبته، في إشارة منه إلى قطع الرأس بالسيف، فقطعوا هذا المشهد ونشروه عبر وسائل الإعلام، حتى يتوهم الناس أننا ندعو إلى قطع الرؤوس في ألمانيا.

ومن ذلك:

أنهم وضعوا فيديو لي في تقرير تلفزيوني، حين كنت ملاكماً، وقالوا: هذا الداعية أيضاً خطير، فقد كان ملاكماً سابقاً، ثم سافر إلى أفغانستان والتحق بالمجاهدين الإرهابين! ثم أظهروا فيديو لرجل ملثم ألماني يتحدث بالألمانية من أحد مغارات أفغانستان، ويتوعد فيها ألمانيا بالويل والدمار ويتهددهم! وقالوا في التقرير: ربما يكون هو أبا حمزة نفسه.

وهكذا تتابعت الهجمات علينا من كل حدب وصوب، ثم كانت قاصمة الظهر، حيث عثروا على ثغرة تتعلق بالحصول على ترخيص لهذا المبنى، واستغلوا هذه الثغرة، وفعلوا الأفاعيل، حتى تمكنوا من إيقاف هذا المشروع الطيب.

وقد استغل هذا الحدث أعدائي في الدعوة وخصومي، وكذبوا قائلين أن المركز أغلق بسببي أنا، وبسبب «تهمة الإرهاب» وقد صرح محافظ المدينة نفسه بأن سبب الإغلاق يتعلق بحقوق البناء، وليس بسبب الإرهاب.

اتفقت مع الإخوة أنه يجب أن لا نسكت عن الافتراءات التي وجهت إلينا، وقلت لهم لا بد أن نلقي محاضرة في المدينة نفسها، وفي الشارع العام، ونرد على كل ما وجه إلينا، ونشرح لهم فيها حقيقة الإسلام، فعلنا ذلك، وبحمد الله أسلم في تلك المحاضرة ما لا يقل عن عشرة بفضل الله تعالى وحده، وصدق الله القائل «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون» وللأسف كثير من أهل هذه المدينة لم يستمعوا إلينا وصدقوا ما يقال عنا من الكذب في الإعلام، لأن بعض المسلمين من الفرق الصوفية ساهموا في ترويج هذه الأكاذيب الإعلامية.

❖ اشتداد الحرب الإعلامية وما نتج عنه

من منتصف **٢٠١٠**م إلى بداية **٢٠١١**م اشتدت الحرب الإعلامية الألمانية على دعوتنا بشكل لا يُتخيل، وكثف أعداء الدعوة من النصارى والعلمانيين واللادينيين والملاحدة هجماتهم علينا، واستعلموا آلات ووسائل تقنية وإعلامية لا نملك نحن عشرها، وقد قيل: إذا أردتَ أن يصدقك الناس فعليك أن تكذب ثم تكذب ثم تكذب حتى يصدقوكَ.

وهذا الذي حصل...

فقد رمونا بسهام الأكاذيب والافتراآت من كل صوب.

فألصقوا بنا كل عيب، واتهمونا بما نحن براء منه، وقالوا إننا نعطي زوجاتنا نقوداً كي يلبسن النقاب وقالوا عنا إرهابيون وقالوا...

وإذا جئنا نرد فنحن لا نملك إلا الإعلام البديل «وسائل التواصل الاجتماعي» وإن خاطبنا فسنخاطب عدداً محدوداً، فلا شك أن شريحتنا لا تقارن بشريحة ومساحة الإعلام الألماني الضخم، وإذا كنا نحن نخاطب الآلاف، فإنهم يخاطبون الملايين.

وكان الأشد علينا من كذب هؤلاء علينا هو تصديق بعض المسلمين لتلك الأكاذيب التي قيلت عنا وعن دعوتنا، كان ذلك أشد وأنكى وأدهى وأمر.

وقد أتيحت لنا فرصة إعلامية تاريخية لندافع عن أنفسنا ونوضح اللبس ونتبرأ من الأكاذيب التي روجت عنا، وذلك عبر لقاء تلفزيوني مع المذيع الألماني المشهور «يوهنس ب.كغنا» وبفضل الله كان لقاء جيداً واستطعت بحمد الله أن أزيل كثيراً من الأوهام التي لفقت علينا، وقد سألني المذيع عن كثير من الأمور المتعلقة بالإسلام وبدعوتنا، وكان مما سأله سؤالاً حساساً ولعله ظنّ أنه سيحرجني بهذا السؤال أو أني سأتملص منه أو أرتبك، قال لي:

- وهل أنا أدخل النار؟

فأجبته بلا تردد:

نعم، ولكن عندك وقت كي تسلم، فما زلتَ حياً.

فقال: ولكن احتمالية إسلامي ليست كبيرة؟

فقلت له: لو مت على غير الإسلام لكنت حزيناً جداً عليك.

ولو كان عندي مزيد وقت لقلت له:

ولن تدخل النار إلا بعد أن تأخذ فرصتك كاملة، وتبلغك الدعوة واضحة، وتقوم عليك الحجة البينة، فإذا رددتها بعد وضوحها وجلائها مكابرةً منك وعناداً ورضيت بالشرك عوضاً عن التوحيد فإنّ الإنسان في هذه الحالة يستحق دخول النار، وحينئذٍ سأكون حزيناً جداً عليك ولن يسعدني ذلك ولن أشمت بك.

طبعاً بحكم أني كنت ملزماً بوقت ضيق ومحدد لم يسعني المقام لأبسط الكلام في هذه القضية الكبيرة، وهنا أحب أن أضيف فأقول موضحاً:

نحن - وكل الأديان كذلك[1]- نؤمن بصفة عامة أن من مات على غير الإسلام وقد بلغته الدعوة الصحيحة بلا تحريف فردها فإنه يخلد في النار، وهذه قاعدة عامة، بمعنى أننا لا نحكم على كل فرد بعينه بذلك، لأن ذلك من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله، ومن معتقد أهل السنة أنهم لا يشهدون لفرد معين «كزيد أو عمرو» بأنه بعينه في الجنة أو في النار، إلا من شهد له الوحي بذلك، أما نحن فنقول بصفة عامة «كل مؤمن في الجنة» و«كل كافر في النار» هذا على سبيل الإجمال، أما بالنظر إلى الأفراد فلا ندري ما مصير كل فرد في هذا العالم، وأنا شخصياً لا أعرف ما مصيري في الآخرة هل أكون من أهل الجنة أو من أهل النار، نسأل الله أن يدخلني الجنة، حتى قال النبي ﷺ عن نفسه «والله أنا رسول الله ولا أدري ما يُفعل بي»، والمقصود أننا نرجو رحمة الله ونتفائل ونطمع في أن يدخلنا الله الجنة، ونجتهد في العمل، ونحب دخول الجنة، ونخاف من دخول النار ونحذر من المعاصي والشرك اللذين يقودان إلى النار، ونؤمن إيماناً جازماً أن ربنا عز وجل لن يظلم واحداً منا، فلن تدخل الجنة إلا بفضل ولن تدخل النار إلا بعدل فلا تضيع عند الله الحقوق، ولا يظلم ربك أحداً، أقول هذا الكلام كي لا يظن ظان أو يفهم إنسان أن هذا أمر مرعب، بمعنى أن أتحول مسلماً وأعبد الله مائة سنة ثم لا أعرف مصيري هل إلى جنة أم إلى نار؟! أقول ليس الأمر كذلك، وليس حكم الله عليك عشوائياً، بل إن أعمالك ستوزن بميزان الحق والعدل والقسط، فاعمل الصالحات وأخلص النية وأبشر بالخير وستكون من أهل الجنة يقيناً بإذن الله، المقصود أنه ليس عندنا صكوك غفران وضمان، بل كلٌ مطالب بأن يعمل ويكدح ويجتهد، هذا هو حال الدنيا، هذا أمر.

---

(١) كل صاحب دين سماوي - على الأقل - يؤمن أنه في الجنة وغيره في النار، فليس هذا المعتقد حكراً على المسلمين، بل اليهود والنصارى يعتقدون أننا كفار وفي النار، وهذه هي فلسفة الإيمان في كل دين، ولا يتم للإنسان إيمان ولا يصح له إلا إذا اعتقد بذلك.

الأمر الثاني:

أنه لن يدخل النار إلا من يستحقها وبلغته الدعوة الصحيحة إلى التوحيد، وأما من لم يسمع عن الإسلام شيئاً والأطفال والمجانين ونحوهم فهؤلاء معذورون عند الله ولا نحكم عليهم بالنار، قال الله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] ولمزيد من التفاصيل أدعو القارئ إلى قراءة تفسير ابن كثير حول هذه الآية الكريمة من سورة الإسراء.

وقد جاءتني سهام النقد بعد اللقاء خصوصاً على جوابي حول النار، وقال بعض الناس: «ليس من الحكمة أن يقول هذا الكلام في التلفاز»

وهذا أمر عجيب حقاً، وأنا أحب أن أقول لهؤلاء:

- هذه المسألة لا تتعلق بالوضوء أو السواك، بل تتعلق بالمعتقد، وليس أي معتقد بل تتعلق بأصول الاعتقاد والإيمان، وهذا المعتقد من أوائل ما جهر به النبي ﷺ في دعوته إذ أعلنها صريحةً واضحةً «**يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار**» وما فتئ وما انفك النبي ﷺ يدعو ويصرخ أن من اتبع هداي فهو في الجنة، ومن عصاني دخل النار، نطقت بذلك عشرات الآيات والأحاديث.
- ثم إني أقول لهؤلاء ماذا تريدون مني أن أقول؟ هل أقول لهم أن من مات على الشرك فهو في الجنة؟ فأكون بذلك خائناً للأمانة، أم أقول لهم لا أدري فأكون بذلك كاذباً وكاتماً للعلم أم أقول هو في النار؟ وهذا ما نطق به القرآن وليس هناك خيار رابع للجواب عن هذا السؤال.

إذن كانت الهجمة شرسة جداً، ولا أخفي عليكم أنها أثرت كثيراً، وفتت في عضد الدعوة، كما أنها كسرت من همة بعض الإخوة معنا، وبدأ يشعر بعض الإخوة أن طريق الدعوة صعب للغاية - وهي كذلك - وذلك لأن هذا المركز كان أملنا الوحيد لتوسع الدعوة ولتثبيت أركانها، فلما فشل المشروع وأغلقوه أصاب الإحباط كثيراً من الإخوة.

كما بدأنا نسمع من يقول «أنتم المخطئون، لماذا تصادمتم مع الحكومة، ولماذا دعوتم الناس في الشوارع، ورفعتم صوتكم، وجعلتم الأنظار والأضواء كلها تتسلط عليكم، حتى أصبحتم حديث الغادي والرائح»

وكأن هذا القائل لا يعلم، أننا لم نتجه إلى دعوة الشوارع إلا بعد أن أغلقت في وجوهنا كل المساجد والقاعات، وقد جاء مشروع المركز الإسلامي هذا الذي باء بالفشل = محاولةً منّا لتنظيم دعوتنا.

كانت هذه الأزمة - أزمة الهجوم الإعلامي وفشل المشروع - قد أحدثتْ شرخاً كبيراً في صفوف الإخوة، كما أظهرت هذه الأزمة ضعف بعض النفوس، التي لم تتحمل الأمر، وإنّ هذا الأمر لا يثبت عليه إلا رجل لا يعرف للجبن ولا للخوف معنىً ولا اسماً.

وطبيعة البشر عند الأزمات أنها تتفاوت في تقبلها لها والثبات أمامها، والله عز وجل خلق الناس متفاوتين في شجاعتهم وصبرهم.

ومن أبزر ما نتج عن هذه الأزمة وقد آلمنا ذلك جداً هو أن الإخوة أغلقوا موقعي «الدعوة إلى الجنة» لأن الموقع وإن كان لي إلا أن الإشراف والإدارة كانت بيد الإخوة، لقد ترك كثير منهم الدعوة، وتشتت شملنا، وانصرف بعضهم إلى حال سبيله، وهو ما يريده أعداء الإسلام منا أن تكون مسلماً تصلي وتصوم وتجلس في بيتك، فليس عندهم مشكلة مع هذا النوع من التدين والإسلام، الإسلام الانعزالي الانطوائي، أما أن تكون داعيةً حركياً أو إصلاحياً وبعبارة موجزة «أن تكون إسلامياً» فهنا سيقف الجميع في وجهك.

وأنا أقدر أن رسولنا ﷺ لو لزم بيته في مكة ولم يمارس الدعوة مع الناس، واكتفى بالصلاة والصوم = لم تكن قريش لتمانع في ذلك،ولخصصوا له مكاناً يصلي فيه - إن شاء - في الحرم المكي! وإنما بدأت العداوة الحقيقة تتجلى مع المشركين حين نزلت عليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ [المدَّثِّر: ١-٢]

وقوله تعالى ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٤] وقوله ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [الحِجر: ٩٤] وأمثالها من الآيات البينات الواضحات في الأمر بالدعوة الصريحة.

كان بعض الإخوة يقول «لو كانت دعوتنا صحيحةً لما حاربنا الناس»

فكنت أقول له:

سبحان الله! ألم تحارب دعوة النبي ﷺ؟ والأنبياء من قبله كلهم؟ هل رأيت نبياً رحب به قومه وفرشوا له الطريق بالورود؟ بل كلهم حاربوه ورموه عن قوس واحدة ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأنعَام: ٣٤] يقول الشيخ ابن عثيمين في شرح الأصول الثلاثة عن هذه الآية «وكلما قويت الأذية قرب النصر».

فمن الأنبياء من قُتل، ومنهم من طرد ومنهم من رمي في النار، ومنهم من قطع رأسه وقُدم لبغي، ومنهم ومنهم... وما ردهم ذلك عن طريق الدعوة قيد أنملة.

إنّ محاربة الإعلام الألماني لنا وتحريضهم ضدنا = لأكبر برهان ودليل على أننا على الطريق الصحيح، ولأكبر برهان على نجاح دعوتنا، ولو لم يكن لنا شأن لما عبأوا بنا ولا التفتوا إلينا، ولم يرفعوا إلينا رأساً، لقد خافوا من هذا المد الإسلامي الزاحف على ألمانيا، ورأوا بأعينهم الألمان وهم يدخلون في دين الله أفواجاً.

إنّ طريق الدعوة وعر ومتعب كله، فمن أحب أن يسلكه معنا فهذا طريقنا، وفي آخر هذا الطريق جنة عرضها السماوات والأرض، ومن لم يطق ذلك فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وتعجبني هنا كلمة تُنسب للداعية محمد الغزالي يقول فيها:

«لو انتصر الحق دائماً = لامتلئت صفوف الدعاة بالمنافقين، ولو انتصر الباطل دائماً = لشكّ الدعاة في الطريق، ولكنها ساعة وساعة» وصدق.

ثم لماذا نصاب باليأس لمجرد فشل مشروع واحد وإغلاق مسجد لنا؟ فهذا رسول الله ﷺ فقدَ المسجد الحرام فهل يئس أو ضعف؟ كلا والله، ذهب إلى المدينة وأسس دولة ورجع وفتح مكة، ثم إنّ الدعوة ليست محصورة في مركز أو مسجد بل هي أوسع من ذلك بكثير، وأمامنا وسائل متاحة أخرى.

في هذه الفترة شعرت أن الإخوة بحاجة شديدة إلى معرفة «مفهوم الدعوة» و«تاريخ الدعوة النبوي»، لذلك كثفت محاضراتي حول هذا الموضوع.

لقد ترسخت فكرة مغلوطة باطلة ومعادلة كاذبة تقول «إنّ الدعوة الصحيحة " الحكيمة " = لا تُحارب» ومفهوم هذه المعادلة «أن الدعوة الباطلة غير الحكيمة هي التي تحارب»

لقد اقتنع بعض الإخوة أننا سلكنا طرقاً خاطئة مستفزة للرأي العام في ألمانيا، وهذا يدل أن طريقتنا لم تكن حكيمة ولا سليمة ـ فلذلك علينا أن ندعو بطريقة أكثر حكمة.

وهذا كلام نظرياً مقبول، لكنهم واقعياً وعملياً يريدون شيئاً آخر، وكثير من الناس يُلبسون جبنهم وخوفهم لباس الحكمة!

والحكمة منهم براء.

إنّ الذي يريدونه هو أن نكتفي بالصلاة في المساجد وإلقاء بعض المحاضرات، وتدريس متون العقيدة، ويظنون أن التاريخ يتغير بتدريس المتون العلمية.

ليست هذه همتي ولن يتغير التاريخ في ألمانيا بهذا، ومن رضي لنفسه

بالدون فله ذلك، وأما أنا فقد أخذت على عاتقي أن أغير وجه الإسلام في ألمانيا،وقد قطعنا شوطاً كبيراً في ذلك بحمد الله.

هنا بدأت ملامح الانقسام تتضح بين الإخوة، فريق يرى الابتعاد عن المصادمة والمناكفة والاكتفاء بالدعوة الفردية، والابتعاد عن كل ما يثير الإعلام «وهذا نوع من الهزيمة وإن سموه حكمة» وفريق يرى الاستمرار على ما نحن عليه وتوسيع رقعة الدعوة واستعمال كافة الوسائل الدعوية المتاحة والمشروعة شرعاً وقانوناً وكنت بطبيعة الحال على رأس هذا الفريق، وأستدل على ما أذهب إليه بنصوص من الوحي ومن التاريخ.

لم تكن لدعوتنا أن تبرز وتؤثر حتى تصبح حديث الرأي العام في ألمانيا وتسامع الناس بنا في كثير من دول غرب وشرق أوروبا وغيرها، وكتبت عنا عشرات المقالات والتقارير، وتناول الباحثون دعوتنا بالدراسة والبحث والرصد والتصنيف والتحليل = لم يكن كل ذلك ليحصل لو نمنا واكتفينا بالأكل والشرب والذهاب إلى صلاة الجمعة.

وقد قلتُ من قبل وأكررها بكل أسى:

إنّ كثيراً من المساجد في أوروبا لا تقوم بدورها المطلوب الذي كلفها الله به في دعوة ملايين من البشر التائهين ممن يتسكعون حول المسجد ولا يعرفونه، إنّ ملايين من الأوروبيين لا يعرفون عن الإسلام إلا كل ما هو عار وعيب، ولم يحصلوا على كتيب واحد يشرح له حقيقة الإسلام وجمال أخلاقه، ولستُ أنفي التقصير عن الأوروبيين أنفسهم في البحث عن الحق، فالتقصير مشترك من الجانبين، من جانب المسلمين ومن جانب الأوروبيين.

على كل حال..

انتهى الأمر بنا أن انفصلنا في العمل الدعوي، وفتح الأخ إبراهيم توماس موقعاً لي بعنوان «بيير فوجل».

❖ مع الشيخ الفاضل د.بلال فيلبس[١]

الحديث عن شيخي الحبيب الدكتور بلال حديثٌ ذو شجون، وأنا أعتبره

---

(١) هو الدكتور أبو أمينة بلال برادلي فيلبس، من مواليد ١٩٤٧ م في جمايكا، ونشأ في كندا وحصل على جنسيتها،
- ولد الشيخ في أسرة مسيحية بل كان جده قسيساً.
- تأثر الشيخ بالدعوات القوية في زمنه إلى الشيوعية ولا سيما من اتحاد الطلبة في الجامعة، فصار بذلك شيوعياً،وبعد سنة بدأ يلاحظ خللاً في تطبيقات وأفكار الشيوعية وصار يفقد الثقة بها، إضافة إلى ذلك أن طالبة أعتنقت الإسلام وتزوجت بمسلم، فلفت نظره ذلك، وسألها عن ذلك فقالت له «الإسلام شيء مختلف!» فطلب منها الشيخ كتباً.
- وأعلن إسلامه عام ١٩٧٤م في كندا بمدينة تورنتو.
- يعود السبب الرئيس لإسلامه . بعد توفيق الله . هو إدمانه على المطالعة والقراءة، حيث قرأ كل ما طالته يده من الكتب المصنفة عن الإسلام، ومن أبرز الكتب التي قرأها وتأثر بها هو كتاب «شبهات حول الإسلام» للمفكر المصري د. محمد قطب ﷺ، وبعد زمن من التدبر والتأمل فيما قرأ اقتنع بذلك وأشهر إسلامه ليصبح واحداً من أبرز وأشهر الدعاة على مستوى العالم في اللغة الإنجليزية.
- بعد واحدٍ وعشرين سنة من إسلامه = أسلم والده بفضل الله.
- ومع شدة المعارضين له والمثبطين قرر الشيخ السفر إلى السعودية لطلب العلم الشرعي وتعلم الإسلام بتفاصيله.
- تعلم الشيخ هناك اللغة العربية ودرس العلوم الشرعية كلها.
- من المحطات الفارقة في حياة الشيخ الدعوية: حينما كُلف رسمياً بإعداد فريق دعوي لدعوة الجيش الأمريكي الذي احتشد في شرق المملكة العربية السعودية في مدينة الدمام وقد بلغ عددهم نصف مليون جندي أمريكي، وكان ذلك إبان حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ م وبعد أن وضعت الحرب أوزارها فتح المجال للشيخ أكثر في دعوة الأمريكان وفتح خيمة دعوية باسم «خيمة الثقافة السعودية العربية» فتح الله عز وجل على يديه فتحاً عظيماً وأقبل كثير من الجنود الأمريكان إلى دين الله أفواجاً يقول الدكتور وفقه الله عن هذه الحادثة «بلغ عدد الذين يعتنقون الإسلام منهم إلى العشرين شخصاً في اليوم الواحد، وبعد خمسة أشهر ونصف وصل عدد المسلمين الأمريكان إلى الثلاثة آلاف أمريكي، غالبيتهم من الشباب من سن ١٩ إلى العشرينات».

الأب الروحي والدعوي لي، وهو يُعد مبرزاً في باب دعوة غير المسلمين،ولي مع الدكتور ذكريات وصولات وجولات وأخبار وأسمار.

وأنا أعلم أنّ كثيراً من القراء قد يعدون كلامي عنه نوع مبالغة وذلك لأنهم لم يخالطوا الشيخ كما خالطته، ولم يعرفوا أثره وعمله الدؤوب في الدعوة، وذلك لأن الشيخ قد بلغ من التواضع الغاية ويهضم نفسه كثيراً.

والشيخ يستحق أن يكتب عنه كتاب كامل في سيرته وجهوده وإنجازاته ولعل أحد الباحثين ينشط في ذلك، ومن أراد الاستزادة في سيرة الشيخ فليشاهد اللقاء التلفزيوني الذي سجله معه الأخ فهد الكندري في برنامجه «بالقرآن اهتديت»، وكذلك أجرت معه قناة الجزيرة لقاءً وغيرها من القنوات.

كنا نحن والإخوة نحلم بأن نستضيف الشيخ بلالاً إلى ألمانيا، وبحكم بعد الديار وتكاليف الاستضافة لم نتمكن من ذلك، وقدر الله مرةً أن الشيخ كان في زيارة إلى أوروبا وتحديداً إلى الدينمارك، والتذكرة منها إلينا رخيصة، فتم ذلك:

- فتح الله عز وجل على الشيخ في الدعوة الإلكترونية أيضاً حيث أنشأ «جامعة إسلامية إلكترونية» وبلغ عدد الطلاب المسجلين في الجامعة ٢٥٠ ألف طالب، من ٢٢٨ دولة، وهذه واحدة من إنجازات الشيخ العظيمة وقد أجرت الصحف معه حوارات عديدة حول نجاح مشروعه هذا.
- للشيخ أكثر من ١٧ مؤلفاً باللغة الإنجليزية.
- وكأي داعية يدعو إلى الحق والتوحيد في هذا الزمان فقد اتهم الشيخ باتهامات كاذبة، وألصقوا به التهمة المعلبة الجاهزة وهي تهمة الإرهاب، فعلى سبيل المثال: في ٢٠٠٧ م منعته السلطات في أستراليا من الدخول إلى أراضيها بحجة أن الشيخ له صلة بهجمات سبتمبر!
- وهو حالياً يقيم في دولة قطر وقد زرته في بيته مراراً، نفع الله به الإسلام والمسلمين.

شرحتُ لشيخنا بلال الظروف الحالية لدعوتنا في ألمانيا، لأنه في هذه الفترة أعني ربيع ٢٠١١م كانت السلطات قد ضيّقت علينا الخناق في تحركاتنا الدعوية، نتيجة للتحريض الإعلامي الذي شرحناه سابقاً، فوضحتُ لشيخنا أنّنا حالياً في ظل هذه الظروف لا نستطيع أن ننظم لك محاضرة في المساجد، ولا في القاعات المستأجرة، أما المساجد فلأن أهلها أصبحوا يخافون من الإضرار بسمعتهم إذا نحن أقمنا نشاطاً عندهم، وكذلك القاعات لا نتمكن من استئجارها، وأحياناً نحجز القاعة ونرتب للمحاضرة ثم تأتي الضغوط على صاحب القاعة فتُلغى، فما الحل إذن؟

بيّنت للشيخ أن الحل الوحيد أمامنا هو أن نلقي محاضرة مفتوحة في الشارع والهواء الطلق، ونأخذ من الشرطة إذناً تحت مسمى «إذن مظاهرة» وهي في الواقع بالنسبة لنا محاضرة لا مظاهرة، وهذا حق للجميع يكفله القانون ولا يستطيع أحدٌ منعنا من ذلك، فوافق الشيخ على هذه الفكرة ورحب بها دون تردد.

لقد وجدتُ الشيخ عاقلاً فاضلاً محباً للدعوة، دائم الابتسامة، متفائلاً مستبشراً، ينضح طيبةً وصدقاً وبراءةً ونقاءً، لا تملك إذا جلست معه إلا أن تحبه دون أن تشعر.

وكم للشيخ من فضلٍ عليّ ومنة، سواءً في بداية إسلامي أم في مشواري الدعوي، وما زلت أذكر في بداية إسلامي أني كنت أنتظر برنامجه على «قناة اقرأ» بكل شغف ولهف، وشاهدت له كثيراً من المحاضرات والدروس باللغة الإنجليزية التي كان لها الأثر الكبير في تثبيت إسلامي.

❖ قرار المحكمة المنصف

لما انتشر الخبر، طالب السياسيون بمنع إقامة هذه الفعالية، وبدأ الإعلام بالهجوم علينا والطعن في الشيخ بلال بأنه إرهابي ونحو ذلك،حتى

إنهم نشروا أن المحاضرة مُنعتْ، فطلبنا من الناس عدم تصديقهم، وتطور الأمر حتى لجأنا إلى المحكمة لتفصل في الأمر.

قبل صدور قرار المحكمة، وفي الليلة التي صبيحتها يوافق موعد المحاضرة، استيقظت في ثلث الليل الأخير وبدأت أصلي، ومن عادتي - ككثير من الناس- لا أفكر في ماذا سأقرأ بعد الفاتحة، وإنما أقرأ ما يأتي على لساني دون تقصد لسورة معينة، بل غالباً ما أقرأ قصار السور كالإخلاص، لكن في تلك الليلة ألهمني الله أن قرأت دون شعور مني صدر سورة محمد التي يقول الله فيها ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١﴾ [محَمَّد: ١] فاقشعر شعر جلدي لهذا الموقف واستبشرت بهذه الآية التي ألهمني الله قراءتها، وتفاءلت بأنها بشارة خير إن شاء الله.

جاء قرار المحكمة في صباح يوم المحاضرة بالموافقة، ورفض طلب السياسيين بمنعها، والحمد لله.

❖ يوم الفتح العظيم

بدأنا في التجهيزات لتنظيم هذه المحاضرة التي سليقيها الشيخ بلال، واجتهدنا كثيراً كي يكون التنظيم يليق بالحدث، وتسامع الناس بالخبر، ووصل الخبر إلى أعداء الدعوة، وكتبوا في صفحاتهم تهديدات شخصية لي، وأنّهم مستعدون أيضاً وجاهزون للوقوف في وجه المد الإسلامي، وأنهم سيحضرون هذه الفعالية، وهؤلاء الناس من صنفين: فيهم نازيون، وفيهم أناس كارهون للإسلام.

حين قرأت هذه التهديدات قررت أن أتخذ جميع الاحتياطات اللازمة، ليس خوفاً منهم، بل أنا أسعد جداً بالملاكمة معهم، فهي هوايتي المفضلة، وأحب أن أمارسها على أرض الواقع متى ما اقتضت الحاجة ذلك، ولكني ما أردتُ أن تفسد المحاضرة والفعالية بسبب تصرفات واستفزازات هؤلاء، كما

أني لا أريد أن يتعكر مزاج شيخنا بلال فيؤثر ذلك سلباً على إلقاءه وكلامه.

فمما فعلتُه كإجراء وقائي احتياطي أني تواصلت مع الصديق المقدام الأسد التركي «عزيز كارا أوغلو» وطلبت منه توفير حماية وحراسة، فوافق وجلب معه أصحاباً لا يقلون شجاعةً وإقداماً وهيبةً منه..

وجاء يوم المحاضرة الموعود وحُشر الناس من كل حدب وصوب[1]، وكان ذلك بالضبط في عام ٢٠١١م من شهر أبريل - ٢٠، وجاء النازيون والكارهون للإسلام، ووقفوا خلف الجماهير يندّدون ويصرخون ويحاولون إحداث الشغب والتشويش، وقد رفع الكارهون للإسلام الأعلام الإسرائيلية عالية إغاظةً لنا، وأما النازيون فلم يرفعوا علماً لأنهم أساساً يبغضون اليهود كبغضهم لنا.

وإذا أردتُ أن أصف لكم أجواء المحاضرة فإن لساني يعجز وقلمي ينكسر، لأني مهما وصفتُ وعبرتُ وشبهتُ لأقرب لكم المشهد إلى الأذهان فإني سأفشل عن ذلك.

إن حروف اللغة العربية ومفردات العرب على سعتها تخذلني الآن كي أعبر عما كان في نفسي حينها من الهيبة والجلال والفرح والفخر والعزة والنصر والإباء.

تحدثتُ أنا في أول الأمر ورحبتُ بشيخنا الجليل ثم تكلمت حول «العنصرية وموقف الإسلام منها» وأوردت في ذلك بعض النصوص كقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحُجرَات: ١٣] وأوردت أيضاً قوله تعالى ﴿وَٱخۡتِلَـٰفُ

---

(١) «قدرت التقارير الإعلامية أن عدد الحضور بلغ حوالي ١٥٠٠ شخص، بينما يقدر المنظّمون أن عدد الحضور يتراوح بين ٣٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ شخص» من كتاب «حول صناعة سلفية ألمانية» ص ٨٨

﴿أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾ [الرُّوم: ٢٢] وقد كان هذا اليوم الذي اجتمعنا فيه يصادف يوم ولادة «أدولف هتلر»، ثم تحدث شيخنا عن صورة الإسلام المشوهة وأسباب ذلك والجواب عن بعض الشبهات المثارة وأنّ الإسلام لم يصل إلى الناس بصورة صحيحة في الغرب، واستمر اللقاء مدة ساعتين ونصف مع الترجمة لأني كنت أترجم إلى اللغة الألمانية، وفتح الله عز وجل على شيخنا في هذا اليوم قلوباً غلفاً وأعيناً عمياً وآذاناً صماً، فله الحمد والمنة وهو الفتاح العليم.

أما عدد الجماهير الحاضرين فقد كان عظيماً قدرّته الجريدة الرسمية بـ(١٥٠٠) شخص، ومن شاهد الفيديو المتداول للمحاضرة جزم أن العدد يفوق الضعف من ذلك بكثير.

ثم إني أخذت الجهاز اللاقط، ورفعت صوتي في الحشود المجتمعة، وكان الضجيج والضوضاء والتزاحم قد بلغ مداه بحيث بالكاد يسمع الناس صوتي لشدة الإزعاج، قائلاً:

- من يريد أن يكون محظوظاً اليوم؟ من يريد أن يشهر إسلامه فليتقدم إلينا؟

فارتفعتْ أعناق الناس يبحثون يمنةً ويسرة عمن يفتح هذا الباب ويُقدم أمام الملأ ويشهر إسلامه، وسط مراقبة الشرطة والنازيين ووسائل الإعلام وأصناف وألوان من المخالفين والموافقين احتشدوا وتجمهروا في موقف مهيب ومكان واحد مفتوح، والمكان بالكاد يسعهم.

وفجأة أشار رجل بيده أنه يريد أن يُسلم، فضجّ المسلمون بالتكبير، وطلبت من الجمهور أن يفسحوا المجال والطريق للرجل كي يمكنه التقدم، وأشرت إلى الرجل أن يتقدم ويصعد على المنصة «والمنصة عبارة عن سيارة شاحنة، فتحنا صندوق الشاحنة من جهة واحدة، وباب الشاحنة الخلفية أصبح كالدرج إلى المنصة، والجهة الثالثة من الشاحنة هي خلفية وحاجز»، حيث

أقف أنا وشيخنا بلال والحارس التركي الخاص ومجموعة من الإخوة المنظمين والجنود المجهولين.

ثم صحت فيهم قائلاً:

ومن يريد أن يسلم أيضاً؟

فأشار رجل بيده وصعد المنصة وسط تكبير الناس وتهليلهم.

ثم صحت فيهم:

ومن يريد أيضاً؟

فأشارت امرأة بيدها ومعها امرأة أخرى، فتعالت أصوات التكبير وصعدت على المنصة، ليصبح العدد أربعة.

هنا تكلم شيخنا بلال وقال مازحاً:

«أعطونا السيف» فضحك الناسُ، وذلك في إشارةٍ منه وسخرية من الذين يتهموننا بالإرهاب وقطع الرؤوس.

وكنا نظن أنه لن يخرج أحد غير هؤلاء الأربعة، ولو لم يكن إلا هذا العدد لكفى به إغاظةً وغماً لأعداء الإسلام، فسألناهم قائلين:

- هل أجبركم أحد على ذلك؟ هل دفع لكم أحدٌ مالاً؟

فنفوا ذلك بشدة أمام الناس.

وبينما نحن كذلك:

إذ ارتفعت أصوات الجمهور بكلام غير مفهوم، وصرخ رجل من الجمهور قائلاً: «هناك آخر، هناك آخر»

فجاء وصعد لينضم إلى المجموعة، ولم يكد يستوي واقفاً على المنصة، حتى جاء سادس،وأنا في كل ذلك وبين ذلك أرفع صوتي بالتكبير ويكبر

الناسُ بتكبيري في مشهدٍ مؤثر تذرف له عيون الموحدين المؤمنين، ويغيظ قلوب الحاسدين الناقمين.

ثم طلبت من الجمهور أن يسمحوا لي بكلمة شكر، ووجهتُ شكراً خاصاً للقضاء الألماني وشكراً خاصاً للقاضي الذي سمح لنا بإقامة هذه الفعالية والمؤتمر المفتوح في الهواء الطلق، وذلك لأنه كانت هناك محاولات كبيرة من خصوم الدعوة لعدم إقامة هذا المؤتمر.

وبينما أنا في كلامي هذا إذ قال لي رجل قريب مني: يا أبا حمزة هناك ثلاثة آخرون أيضاً.

وهكذا تتابع الناس وتسابقوا للدخول في دين الله أفواجاً حتى بلغ العدد سبعة عشر شخصاً ولله الحمد والمنة، وهنا ضاق علينا الوقت، لأننا كنا في نهاية المحاضرة، وما كنا نظن أن يصل العدد إلى هذا الحد، وامتلأت المنصة كاملة بالراغبين في الإسلام حتى ضاق علينا المكان، وأنا أجزم أني لو مكثت أطول فقد يأتي رجل آخر، فاكتفينا بهذا العدد.

أعطيت الجمهور ظهري وخاطبت المهتدين الجدد وقلت لهم بعد أن أحصيتهم عدداً:

- الآن سننطق معاً بالشهادتين، هل تعرفون معناها؟

وكانت صرخات الجماهير خلفي عالية جداً بحيث لم أستطع التحدث إلى المهتدين، وكانوا يكررون بصوت جهوري:

لا إله إلا الله

محمد رسول الله

لا إله إلا الله

محمد رسول الله

فالتفتُ إليهم وأشرتُ لهم بيدي أن اخفضوا أصواتكم واهدؤوا، ثم نظراً لضيق الوقت والمكان قلتُ للجمهور:

- سننطق الشهادتين الآن معاً، وعلى الجمهور أن يردد معنا، بحيث لو كان هناك أحدٌ يريد أن يسلم من مكانه دون أن يرغب في الصعود على المنصة فله ذلك، ولينطقها حيث يقف، وبذلك يكون مسلماً.

وهنا حصل موقف مؤثر حيث ظهر فجأةً بين الحشود إبراهيم أبو ناجي، الذي تحدثت عنه بإسهاب سابقاً وما آلت إليه علاقتنا من الفراق والانفصال والاختلاف في منهاج الدعوة، لما رأيته بين الناس أشرتُ إليه بأن يتقدم ويصعد معنا على المنصة تعاطفاً معه، وكانت تلك أول مرة ألتقي به بعد هذا الفراق والخصام الطويل، فلم أتمالك نفسي إلا أن عانقته ظناً مني أنه قد غيّر موقفه مني، ولم أجد تفسيراً آخر لحضوره محاضرتنا ووقوفه مبتسماً بين الجمهور، بعد أن عانقني قام بمعانقة الشيخ بلال، وبقي واقفاً معنا.

ثم جاءت اللحظة الحاسمة، وقلت للجميع رددوا معي ولقنتهم الشهادة كلمة كلمة مقطعةً وظهري إلى الجمهور ومستقبل المهتدين، وعن يميني الشيخ بلال، وصحتُ قائلاً:

أشهد - أن - لا إله - إلا الله

و - أشهد - أنّ - محمداً - رسول الله

وكنت كلما نطقتُ كلمةً رددها معي المهتدون من أمامي والجمهور الغفير من خلفي، وكان النطق بالشهادة بصوت مهيب مجلجل اهتزت معه الأرض من حولنا، وألقى الله الرعب في قلوب المشركين، وارتفعت أجهزة الجوال من الجمهور توثق هذا الحدث التي كادت تسقط من أيدي بعضهم بسبب الاهتزاز أثناء النطق بالشهادتين[١].

---

(١) كل هذا موثق في اليوتيوب.

بعد المحاضرة خرجنا أنا والشيخ بلال والإخوة نمشي في الطرقات، وكان الزحام كبيراً لا يذكرني إلا بتجمهر الناس وضجيجهم بعد مباريات كرة القدم، خرجنا من الزحام، وهربنا من الجموع عائدين إلى منازلنا، وفي الطريق حصلت مفاجأة لم نكن نتوقعها:

أوقفتنا الشرطة وحاصرنا أفراد الشرطة مدججين بالسلاح وطلبوا منا تسليم أنفسنا لهم، وأخذونا معهم إلى مركز الشرطة.

وهناك وجهوا للشيخ تهمة الإساءة إلى «المثليين» وأبلغونا بأمرين:

الأول: يجب أن يغادر الشيخ بلال البلاد فوراً.

الثاني: يحظر على الشيخ دخول ألمانيا مستقبلاً.

هذه هي الحرية والديموقراطية التي يتغنى بها الغرب، وهذه هي حرية التعبير التي يترنمون بها، وأنا أترك للقارئ أن يقرر بنفسه هل هذا من العدل أم من الظلم البيّن؟

لقد سلك الشيخ وسلكنا معه كل الطرق القانوية لإقامة هذه المحاضرة، ولم نرتكب أي مخالفة قانونية، لا في تنظيم الفعالية ولا في مضمونها، فكل الذي قلناه وفعلناه هو تحت مظلة القانون.

هذه الشعارات «حرية الرأي» وأخواتها يرفعونها متى ما أرادوا، ويخفضونها متى ما شاءوا، يجب أن نعلم جيداً وأن يعلم جميع المسلمين - وخصوصاً أولئك الدعاة والمشايخ الذين يحسنون الظن بالغرب كثيراً ويرونهم نموذجاً وجنةً على الأرض- أن الغرب لا مشكلة لديه مع جميع الديانات في الأرض، سواء من يعبد البقر أو من يعبد الحجر، ولكن الغرب عنده مشكلة كبيرة جداً مع الإسلام والإسلاميين،وإنْ أظهروا خلاف ذلك، ثم الدول الغربية تتفاوت في عداوتها للإسلام فمستقلٌ ومستكثر، ولا أتكلم عن الأفراد، لأهم متباينون، فمنهم المعادي ومنهم المسالم، وأما قوله تعالى

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠] فلا يلزم من عدم الرضى المحاربة، لأنهم ليسوا كلهم محاربين، فالله تعالى يقول ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [المُمتحنة: ٨].

وأما المحاربون، فمنهم من يحارب بالمال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ... ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦] ومنهم من يحارب بالقول ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ... ﴿٨﴾﴾ [الصَّف: ٨] ومنهم من يحارب بالسلاح ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧].

حين رأينا هذا الظلم السافر استعنا بالله أولاً ثم استعنا بمحامي فاضل وهو الأخ «خان» الذي يقيم في مدينة «فرانكفورت» وتولى هو القضية، وكسبها جزئياً، حيث استطاع أن يسقط الحكم الثاني، فيجب على الشيخ أن يغادر فوراً، ولكنه أزال الحظر عنه، فيستطيع مستقبلاً أن يأتي إلى ألمانيا.

انتشر خبر إسلام ١٧ نفراً في ألمانيا، وصار حديث الناس، وفرح المسلمون بهذا اليوم فرحاً عظيماً، وساء ذلك السلطات كثيراً، فقد كانت ضربة قاصمة موجعة لهم أن يدخل هذا العدد الكبير في الإسلام دفعةً واحدة، فعلامَ يدل هذا؟ يدل على أنّ هؤلاء الدعاة إذا تركناهم يدعون الناس إلى الإسلام بلا تضييق، فسيدخل أضعاف مضاعفة في دينهم، وهو الأمر الذي لا تريده السلطات العلمانية.

وكنوع من إرهاب الناس من الحضور لنا: قامت الشرطة بزيارة بيوت بعض الأشخاص الذين حضروا المحاضرة، واستجوبوهم استجواباً سريعاً، كي ينتشر هذا بين الناس ويخافوا مستقبلاً من حضور محاضراتنا.

❖ مع الشيخ الفاضل عبد الرحيم جرين[١]

وفي نفس السنة، وبعد استضافة الشيخ بلال بشهر تقريباً، وفقنا الله عز وجل لاستضافة الداعية البريطاني الشهير عبد الرحيم جرين.

---

(١) ولد الشيخ عام ١٩٦٤ م باسم «آنتوني فاستواف غالفن غرين» من أب بريطاني وأم بولندية.
- كان والد الشيخ مديراً لإحدى مستعمرات الإمبراطورية البريطانية وتحديداً في «تنزانيا» حيث ولد الشيخ.
- بعد سنتين من ولادته غادر هو وأسرته عائدين إلى بريطانيا.
- حين بلغ الشيخ سن العاشرة سافر مع والده إلى مصر، وهناك دخل الشيخ مدرسة داخلية دينية كاثوليكية مشهورة تعرف باسم «آمبلفورث» وكان ذلك بتشجيع من والدته.
- منذ البداية كثرت شكوك الشيخ حول صحة النصرانية، من ذلك أنّ أمه كانت تلقنه الصلاة الكاثوليكية وفيها يقول «السلام عليكِ يا مريم، يا والدة الرب» فكان الشيخ يتساءل مع نفسه كيف يكون للخالق والدة؟
- وفي سن المراهقة كثرت شكوكه أكثر، واتسعت حتى شملت أسئلته الغاية من الوجود وأين المصير بعد هذا ومن أين جئنا؟
- في هذه الفترة التي اتيحت الفرصة للشيخ بقدر الله أن يقيم في بلد عربي مسلم، أخذ الشيخ يتأمل ويقارن بين الثقافة البريطانية والثقافة المصرية، ثم طفق يراقب المصريين وحياتهم، فوجد أنهم سعداء في الجملة، راضين بالقليل، مفعمين بالحياة، متعلقين بالله، لحياتهم روح ومعنى وطعم وحيوية، يصبح الواحد منهم على الأمل ويمسي على الرضى، لا يخلو كلامهم من ذكر الله، فيكثرون من قول «ما شاء الله، الحمد لله، سبحان الله، معليش حصل خير» ونحو ذلك من الكلمات التي هي كالبلسم، هذا الأمر هو الذي أذهل الشيخ خصوصاً حين يعقد المقارنة مع أوروبا القارة العجوز وما يملكونه من نعيم مادي ضخم ومع ذلك يبدون حزينين، ولطالما كان الشيخ يسمي أوروبا بأرض الأحياء الأموات، هذا الأمر نقض المعادلة التي كانت مستقرة عند الشيخ المراهق التي تقول «المال يساوي السعادة»
- قال الشيخ: أثناء وجودي في مصر وطوال عشر سنوات لم يحدثني أحد عن الإسلام أو يناقشني عن الدين إلا اثنان، أحدهما كان حواره مؤثراً جداً، حيث قال لي أثناء النقاش:
- إذن أنت تؤمن أن عيسى هو الله؟

جاءنا الشيخ عبد الرحيم في شهر مايو - ٢٠١١م ورتبنا له محاضرة في مدينة «كوبلنس» وكان الحضور جيداً، ويمكن للقارئ مشاهدة المحاضرة عبر اليوتيوب، نعم لم يكن العدد مثل الذين حضروا محاضرة الشيخ بلال، بسبب أن الأخير ألقى محاضرته في مدينة «فرانكفورت» وهي أكبر بكثير بطبيعة

- نعم
- وتؤمن أن عيسى مات على الصليب لأجل خطاياك؟
- نعم
- إذن أنت تؤمن أن الله مات؟

حين طرح عليّ السؤال سبب لي صدمة عنيفة، وللمرة الأولى شعرتُ أني أشك في كل ما أؤمن به.

- ثم إن الشيخ جرين بدأ يقرأ في الأديان واخترع لنفسه ديناً خليطاً من الأديان لم يلبث أن تركه.
- ثم بعد رحلة تفكير وبحث قرر الشيخ جرين أن ينظر في كتاب المسلمين لأن معلوماته عن الإسلام كانت يسيرة جداً.
- وفي لحظة تأمل عميقة حيث كان الشيخ جالساً في كرسيه بالقطار متجهاً إلى عمله، وهو مستغرق في قراءته للقرآن بتأمل، رفع رأسه فجأةً ونظر من النافذة بهدوء وقال لنفسه «إن كنتُ قد قرأتُ كتاباً في حياتي كلها نزلَ من عند الله= فهو هذا الذي بين يديّ»
- ثم نظر الشيخ في السيرة النبوية فازداد يقيناً أن هذا الرجل رسول من عند الله، وهكذا أصبح الشيخ مسلماً رسمياً عام ١٩٨٨م.
- انطلق بعد ذلك الشيخ في الدعوة ليصبح واحداً من أشهر الدعاة المسلمين حول العالم باللغة الإنجليزية.
- عرفه الناس واشتهر وذاع صيته من خلال ظهوره الإعلامي ومناظراته في ركن «هايد بارك» الشهير، وكذلك عبر البرامج التي قدمها في قناة «السلام».
- أسس الشيخ عام ٢٠٠٩ م أكاديمية البحث والمنهج الإسلامي، وهي مؤسسة غير ربحية تهدف إلى حركة دعوية عالمية إلى الإسلام.
- للشيخ مقاطع دعوية كثيرة رائعة أدعو القارئ إلى الاستمتاع بها ومشاهدتها عبر اليوتيوب، خصوصاً باللغة الإنجليزية.
- كما له كتاب مشهور بعنوان «الرجل ذو السروال الأحمر . حوار عقلاني من الإلحاد واللادينية إلى الإسلام» بالإنجليزية، وقد صدر مترجماً بالعربية عن «مركز دلائل» المهتم بمحاربة الإلحاد، وهو كتاب ممتع جداً أنصح به بشدة.

الحال، لكن الساحة على صغرها امتلأت عن آخرها، ولمحت وسط الحشود رجلاً يرفع رايةً سوداء كُتب عليها كلمة التوحيد.

تحدث فيها الشيخ عن الإسلام عموماً، ومنّ الله عز وجل علينا بأن أسلم في ذلك اليوم أربعة أشخاص، وقد وثقنا نطقهم بالشهادة، بحيث يمكن لأي أحد أن يشاهده وتقر عينه بذلك.

في اليوم الذي يليه جلسنا نتحاور مع الشيخ في مكان عام، في جلسة ودية أخوية مفتوحة، ووجهنا سؤالاً للشيخ:

ما هو انطباعك عن محاضرة أمس التي كانت في الهواء الطلق؟

فقال الشيخ عبد الرحيم - وكل ذلك موثق في النت بالفيديو -:

«**أولاً**: علي أن أعترف أنني قبل أن آتي إلى هنا كنت أقول لعل أبا حمزة من هواة المصادمة، ولعل الألمان ليسوا مستعدين لهذا النوع من المكاشفة والمواجهة في الأسلوب الدعوي، ولعله من الأفضل أن نطرق أبواب الناس أولاً، لكن علي أن أقول بعد هذه التجربة: ما رأيته في الحقيقة أن غالب الناس هنا لم يعاملونا بسوء بل الكثير منهم كان يبتسم ويضحك ويستمتع معنا بهذا اليوم الجميل، ولم أرَ من يريد أن يفسد علينا الوضع، لقد كانت تجربة رائعة حقاً، وأعتقد أنها كانت ممتازة بالدرجة الأولى للمسلمين، فقد كانت مصدر إعزاز للمسلمين، وتعطيهم الثقة بأنفسهم، وهذا مهم جداً، لأن المسلمين يحتاجون هذا النوع من الثقة، يحتاجون لأن يثقوا بأنفسهم ويعرضوا ما لديهم ويتحدثوا عن الإسلام ويخبروا الناس عنه، وأعتقد أن حدثاً مثل هذا يعطيهم هذه الثقة.

ومن أكثر الأشياء التي أسعدتني عندما نطق الناس بالشهادة كنت أبتسم ابتسامةً كبيرة لدرجة أن فكي آلمني من شدة الابتسام، وحتى عندما نزلت أتحدث مع الناس نطق شخص آخر بالشهادة.

ثانياً: لا أدري لماذا لم أفكر في عمل مثل هذا في إنجلترا - يقصد محاضرة الشارع - وأنا أدعو إخواني من فرنسا وهولندا وإنجلترا إلى أن يأتوا هنا ويجربوا هذه التجربة وأن يفعلوا مثلها في بلدانهم، لذلك أنا أدعوك يا أبا حمزة إلى أن تعلن عن عملك هذا مستقبلاً كي يتسامع الناس بالأمر ويأتوا من كل أنحاء أوروبا ليعيشوا هذه التجربة الرائعة».

بادلت الشيخ نفس الشعور، وذكرت له أنه يجب أن تزورنا مرة أخرى، كما دعوت الإخوة إلى أن نزور الإخوة في إنجلترا ونستفيد أيضاً من تجاربهم الدعوية.

ثم طلبتُ من الشيخ أن يوجه نصيحة إلى مسلمي ألمانيا، فقال:

«نصيحتي للمسلمين في ألمانيا وفي كل أوروبا، والتي أكررها دائماً، هي أن يمتثل المسلمون بدينهم وأن يتخلقوا بأخلاق الإسلام، فلو أن المسلمين عملوا بدينهم فقط فأنا على يقين أننا سنرى الكثيرين يدخلون في الإسلام وسيودون العيش في المجتمع المسلم، لأن المجتمع المسلم هو أكثر أمناً ونظافةً وطهارةً واستقراراً، حيث لا خمور ولا مخدرات ولا دعارة، مَن منا لا يود أن يتربى أولاده في مجتمع كهذا؟»

ثم قلتُ للشيخ وما نصيحتك لغير المسلمين في ألمانيا؟

فقال الشيخ وهو يضحك - وضحكنا معه -:

أن يدخلوا في الإسلام، فهذا أفضل شيء ممكن أن يفعلوه في حياتهم، وأنا أنصح الألمان ألا ينظروا إلى الإسلام من خلال ممارسات المسلمين وتصرفاتهم، وإنما عليهم أن يتعرفوا على الإسلام من خلال مصادره الأصلية، من القرآن الكريم والسنة النبوية، كما عليهم أن يقرؤوا سيرة النبي ﷺ ليعرفوا أي رجل كان»

الشيخ عبد الرحيم أحسبه والله حسيبه ولا أزكيه على الله رجلاً من

المخلصين الذين يعملون لله وحده، وقد وجدته رجلاً عملياً جاداً لا يتدخل فيما لا يعنيه ولا يتكلم إلا عن الدعوة وهمومها، ولا يحب أن يتكلم في أمر لا يدركه، بل هو رجل يحب التخصص ويحترمه، ولمست كذلك من الشيخ ذكاءً شديداً في الحقيقة، وأشعر أن الله عز وجل فتح عليه في باب دعوة غير المسلمين، فيأتي بأمثلة وأطروحات عجيبة لم يُسبق إليها، ومن نظر في كتابه «الرجل ذو السروال الأحمر» عرف الذي أعنيه، كما لاحظت في الشيخ تواضعاً جماً وبساطة، حيث لم يطلب منا طلبات مرهقة، ولم يطلب فندقاً ذا خمس نجوم ونحو ذلك.

❖ السفر إلى مصر قبيل الثورة

لقد كنت أشتكي للشيخ أبي إسحاق من إخفاقي في الهجرة إلى بلد عربي جيد لطلب العلم والتزود من العلم الشرعي، وذكرت له محاولاتي في عدة دول والتي باءت كلها بالفشل.

وكان مما قلته له: إنّ العرب يقولون لي دائماً «أبشر... أبشر» ثم لا أرى شيئاً بعد «أبشر» هذه!

فقال لي الشيخ مباشرة: «أبشر» ستدرس عندنا في «مصر» وهذه «أبشر» مصرية، فثق بي.

وحقاً كان ما قاله الشيخ.

سافرت إلى مصر في يناير ٢٠١١م وتحديداً إلى مدينة «نصر» في القاهرة، كان ذلك في حقبة الأيام الأخيرة لنظام مبارك، لما وصلت إلى مطار القاهرة لمحني الضابط وأنا واقف في الصف بقميصي العربي ولحيتي فأمرني أن أتنحى جانباً ثم أخذني إلى مكتب تحقيق أمن الدولة، وهناك سألني بعض الأسئلة ثم سمح لي بالدخول.

كان في استقبالنا بعض الإخوة من طرف الشيخ أبي إسحاق وأشهد أنهم أحسنوا استقبالي وضيافتي جزاهم الله خيراً فقد أخذوني إلى بيت أحد الأخوة وكانت هناك مائدة كبيرة من الطعام البحري، ثم خرجنا إلى «مدينة نصر» بالسيارة، وكان الأخ سائق السيارة يكرر النظر عبر المرآة كي يطمئن أنه لا أحد من أمن الدولة يتتبعنا ويراقبنا، وكنت أشعر أن التضييق على المتدينين قد بلغ مبلغاً كبيراً.

بعد ذلك وصلنا إلى مركز «الفجر» وكان معي في سفري هذا الأخ أبو آدم الألماني - فك الله أسره[1] - وساعدني شيخنا الحويني في الحصول على شقة مناسبة، وكنا في هذه الفترة أنا وأبو آدم ندرس الأوضاع والأحوال للهجرة إلى مصر لهدف واحد وهو: التزود من العلم الشرعي.

إذن أتيحت لي الفرصة الآن كي أتفرغ لطلب مزيد من العلم، وللهجرة إلى بلد عربي، بعد أن فشلت في محاولة الهجرة إلى السعودية **٢٠٠٨**م وفشلت في المغرب **٢٠٠٩**م ها أنا الآن تتاح الفرصة أمامي في مصر **٢٠١١**م.

بعد الاستطلاع والتحري الذي قمت به في هذه الأسابيع رجعت إلى ألمانيا وبشرتُ أهلي بأن الأوضاع مريحة جداً في مصر والأحوال مهيئة للدراسة ومعينة، وأن البيئة مناسبة لنا ولأولادنا كي يلتصقوا بالقرآن ويعتادوا على سماع اللغة العربية والتكلم بها، وشرحتُ لهم كيف أني وجدت من الإخوة المصريين كل ود وترحيب وحسن ضيافة بفضل الله ثم بفضل الشيخ أبي إسحاق الحويني، كما سعدت جداً «بدار التيسير» وهي مدرسة للأطفال في تحفيظ القرآن، التي أعجبتني حقاً وما رأيت مثلها، وهي مدرسة تابعة للأزهر نظامياً وإدارياً وقد أدخل فيها الإخوة بعض المتون السلفية كالأصول الثلاثة ونحو ذلك.

---

(١) أفرج عنه في مايو **٢٠١٩**م أثناء تحرير مادة هذا الكتاب.

ما أعجبني في هذه المدرسة هو حشمة المدرسات حيث كنّ منقبات، والمعلمون مهذبون، وغالب الأطفال في المدرسة هم من الأجانب، وهذه ميزة عظيمة جداً لأنه بهذا سيتشجع الجميع للتحدث بلغة واحدة موحدة وهي «اللغة العربية الفصحى» لأني كنت خائفاً على ابني أن تضيع لغته الفصحى التي تعلمها في بيتي وأن يتأثر باللهجات العامية، وقد كان هذا من أهم أسباب هجرتي أعني المحافظة على عربية ابني النقية.

إنّ المحافظة على اللغة العربية في أوروبا لأمرٌ جد عسير، ولا أعرف في ألمانيا كلها - في ذاك الوقت - إلا مركزاً أو مركزين يساعد الطفل على تعلم اللغة العربية والمحافظة عليها.

لقد كنت مرة ألقي محاضرة في مدينة «دوزردولف» وسألت الحضور «هل يوجد في هذه المدينة دروس في اللغة الألمانية؟!»

ولعلكم تتساءلون كيف تسأل عن الألمانية وأنت تريد البحث على العربية؟

فالجواب:

لا يمكن للألماني المسلم أن يقتنع بحاجته الشديدة إلى العربية إلا بواسطة الدروس الدينية الألمانية التي تخاطبه بلغته وتحبب إليه لسان العرب وتبين له أن تعلم العربية يزيد في الإيمان والخلق والعقل كما يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد كانت ألمانيا قبل دعوتنا لا تكاد تجد فيها درساً باللغة الألمانية، وذلك لأن معظم الدعاة أو الوعاظ العرب أو العجم جاؤوا من بلادهم وهم لا يعرفون شيئاً عن الألمانية[1]، فيحتاجون إلى تعلمها من الصفر، وغالبهم

---

(١) جاء في كتاب «حول صناعة سلفية ألمانية»: «معظم الأئمة في مساجد المسلمين لا يتحدثون الألمانية أصلاً» ص ٥٧.

بحكم عمله في المسجد لا يحتك بالألمان إلا قليلاً،فتكون حاجته إلى الألمانية قليلة، فيتعلم منها ما يقضي به حاجته السريعة، نحو كلمات الترحيب والتوديع ونعم و«لا» وكم ومتى، ونحو ذلك، وهذا لا يخوله لأن يتحدث بالألمانية لمدة خمس دقائق متصلة فضلاً عن أن يلقي محاضرة أو خطبة،وهذا بخلاف بريطانيا مثلاً فكثير من الذين هاجروا إليها يعرفون الإنجليزية في مدارسهم قبل الهجرة، إضافة أن كثيراً من المهاجرين إلى ألمانيا لا ينوون الاستقرار بها إلى الأبد، وإنما يمكثون سنوات ثم يعودون إلى بلادهم، ومهما يكن من شي فليست لغة من اكتسب الألمانية كلغة من كانت الألمانية له سليقة واللغة الأم.

فلذلك من أعظم ما يشجع الألماني المسلم في أن يتعلم العربية وأن يحبها هو أن يخاطب بالألمانية خطاباً يقنعه أن تعلم العربية هو من صميم الإيمان ومن مراتب التقوى وشعار الإسلام العظيم.

وعلى ذكر اللغة العربية أذكر أني حين شرعت في تعلم اللغة العربية قبل إسلامي في عام ٢٠٠١م والتحقت بدورة يلقيها علينا أستاذ ألماني متمكن من اللغة العربية ومتقن لكثير من اللهجات العامية الدارجة، وقد كان شاذاً جنسياً يسافر إلى دول عربية لهذا الغرض! ثم تركت دروسه لأنه تكلم مرةً عن الإسلام بسوء.

عوداً إلى مصر...لقد قضيت في مصر أجمل أيام حياتي، حيث أحضرت زوجتي وأولادي الذين وزعتهم بين الروضة والمدرسة الإبتدائية، وهي مدارس إسلامية تحافظ على هوية المسلم من حيث الدين واللغة والآداب والأخلاق، وقد كانت مثل هذه النوعية من المدارس وإدخال أولادي فيها = أمنية من أمنيات حياتي، وها هي قد تحققت بفضل الله تعالى ثم بفضل الشيخ أبي إسحاق الحويني وإخوانه الذين معه.

كنت على تواصل دائم مع الشيخ محمد سعد الأزهري الذي ساعدني

في التحصيل العلمي وفي كل ما أحتاج إليه، ورتب لي الدراسة أيضاً في مدينة «كفر الشيخ» حيث كنت أسافر إليها وأدرس عند تلاميذ الشيخ، ، وهناك درست الفقه والعقيدة على شيخين كريمين.

وأما الصديق سفين لاو «أبو آدم الألماني» فقد اختار الإقامة في «الإسكندرية» وقضى فيها أجمل أوقاته أيضاً.

أما أنا فقد وجدت كل عون ومساعدة من الإخوة المصرين، لا سيما وقد أوصى بي شيخنا الحويني خيراً، فقد كان الإخوة يتسابقون على خدمتي، لأنهم بإحسانهم إليّ كأنما يكرمون الشيخ الحويني، مع مالهم من الأجر العظيم والثواب الجزيل عند الله.

وأشهد أني في تلك الفترة ما وجدت منهم إلا كل خير وكل حب وود، ولم ينقصني شيء من متطلبات المعيشة الضرورية مع قلة ذات يدي، ولكن الإخوة ما تركوني أحتاج إلى أحد ولا أمد يدي لإنسان، لقد كان أحد الإخوة يساعدني تطوعاً بمبلغ شهري فيه الكفاف لي ولأسرتي، جزاه الله عني خيراً، وأنا أجزم أنه ليس حريصاً على التصريح باسمه هنا لأنه فعل ذلك أحسبه والله حسيبه لوجه الله: لا يريد مني جزاء ولا شكوراً، وماذا يمكنني أن أجازيه به من حطام الدنيا وأنا الذي لا أملك إلا قوت يومي، كما كان بعض الإخوة قد تبرع بإيصال ابني إلى المدرسة، وهكذا قدم لي الإخوة المصريون خدمات مجانية لوجه الله.

كنت مرةً مع سائق تاكسي فلما عرف أني تركت ألمانيا وجئتُ بأسرتي هنا= قال لي أخشى أن يلومك أولادك على صنيعك هذا بهم حينما يكبرون.

فقلت له: لماذا؟

فقال: لأن ألمانيا دولة متقدمة.

فقلت له: ليس هناك شي من ضروريات الحياة إلا وهو موجود هنا، فكل

ما أحتاج إليه من مقومات الحياة وضرويات بل وكماليات العيش موجود هنا، بل أنا أعيش في بيتٍ أكبر من بيتي في ألمانيا، والماء والكهرباء والغذاء والدواء والتعليم والمواصلات = كلها متوافرة وميسورة، هذا من ناحية.

ومن ناحية ثانية: أنا وأسرتي يهمنا أن نتعلم اللغة العربية والشريعة الإسلامية وأن نسمع الأذان خمس مرات ونأكل الطعام الحلال ويتربى أولادنا في بيئة صالحة إسلامية على نور القرآن والسنة = يهمنا كل ذلك أكثر بكثير من نظافة الشارع وتطاول البنيان وتطور المواصلات، ويكفي أن الناس هنا في غاية الود واللطف والتعاون معي، على الأقل الذين أصاحبهم.

وعلى ذكر التعاون والإعانة:

لا أنسى أمراً أريد أن أسجله بحروف من ذهب، كنتُ أعيش في شقة تقرب من شارع مصطفى النحاس، ولكن المكان لم يناسبنا من حيث النظافة، فلذلك قررت أن أبحث عن شقة أخرى بعيدة قليلاً وأنظف.

وفي المدة التي كنت أبحث فيها عن شقة جديدة = زرت مكتبة إسلامية في «مدينة نصر» قرب شارع مصطفى النحاس، لشراء بعض الكتب، وصادفتُ فيها رجلاً تعرفت عليه اسمه «تامر» ذكر لي الأخ تامر أنه شاهدني في محاضرة مشتركة مع الداعية الأمريكي الشهير القسيس سابقاً يوسف أستس وفقه الله، ولي مع الداعية يوسف العديد من المحاضرات المسجلة، وقد أسلم على يدينا معاً في محاضراتنا المشتركة كثير من الناس، ويمكن مشاهدة مقطع على اليوتيوب لي معه في ألمانيا والناس يشهرون إسلامهم.

الشاهد أن الأخ تامر قال لي هل تحتاج إلى مساعدة في شيء ما؟

فذكرت له أني أبحث عن شقة، وشرحت له الأمر.

لستُ أتذكر الآن هل رد علي مباشرةً أو كان ذلك في اتصال هاتفي منه بعد ذلك اللقاء بقليل حيث أخبرني فقال:

إنّ أمي تملك شقةً جيدة، وهذه الشقة مهجورة منذ ١٠ سنوات، لا أحد يسكن فيها، فإن شئتَ سكنتَ فيها، ودفعت لي مبلغ كذا، وكان هذا المبلغ رخيصاً جداً جداً.

إذن هذا رجل لا أعرفه إلا منذ ساعات، يعرض عليّ هذا العرض السخي، الذي لا يرجو هو من ورائه ربحاً ولا تجارةً مع البشر، ولكنه يرجو تجارةً مع الله وأرجو ألا تبور.

ولعلك تظن أن الشقة كانت ضيقة أو قديمة وخربة وسيئة، ولو كانت كذلك لكان هذا الرجل أيضاً قد تجملّ في حقي تجملاً عظيماً، ولكن المفاجأة كانت حين ذهبت لاستكشاف الشقة، فوجدتها كبيرة جداً وواسعة وجميلة، وتقع في موقع رائع في شارع الجهاد بمدينة «نصر» وهناك بالقرب من الشقة مباشرة «المدرسة الليبية» و«معهد لتعليم اللغة العربية والقرآن» والحي نظيف ومعقول، وقريب جداً من «رابعة العدوية».

كانت أم تامر قد علمتْ أني جئت من ألمانيا لطلب العلم لا لدنيا، فلما علمت بذلك، تبرعت بهذه الشقة لي ولأسرتي،

والمفاجأة الثانية كانت حين التقيت بأم تامر لأستلم منها المفتاح، أني وجدتها امرأةً لا تلبس الحجاب.

فأخذتُ أتأمل وأقول: والله ما فعلت هذه المرأة هذا الخير العظيم لنا، إلا وهي تريد الأجر والثواب من الله، فمتى سنكف عن النظر إلى غير المتحجبات نظرة احتقار، وأنهن لا خير فيهنّ ولا تقوى ولا إيمان؟

ترك الحجاب معصية كسائر المعاصي، ولكن هذا لا يعني أنها لا تحب الله ورسوله ﷺ، وهذا لا يعني أنها ليس فيها ذرة خير، وحرص على الطاعات والعمل الصالح.

مكثتُ في هذه الشقة سنة كاملة تقريباً، نعمتُ فيها كثيراً، ولكن في آخر

الأمر حصل أمرٌ عكر علينا إقامتنا هنا، ولا أريد الخوض في تفاصيل هذه الحادثة ولكني أوجزها لكم إيجازاً:

خلاصة الأمر أن رجلاً كان يقيم قريباً منّا قد تأثر بالدعاية الإعلامية ضد الإسلاميين، فظن أننا إرهابيون متطرفون، وخاف من وجودنا قريباً منه، وتحدث مع أم تامر - وفقها الله - حول هذا الأمر، وهنا بدأت أشعر أن وجودي أضحى غير مريح نفسياً، وأيضاً غير مرغوب بنا هنا،فأعطونا مهلة معينة للخروج، فعزمتُ على المغادرة والبحث عن شقة أخرى.

وكما أعانني الله تعالى على الحصول على هذه الشقة بكل يسر وسهولة، وساق إليّ رجلاً لا أعرفه، فكذلك سيرزقني من حيث لا أحتسب ولا أدري بشقة أخرى.

كنت مرةً أمشي في شارع «عباس العقاد» بمدينة «نصر» فرآني رجل «أتحفظ على اسمه الآن لأسباب أمنية، لأنه ما زال في مصر، ووالده ﵀ كان من الإخوان المسلمين» من الجهة المقابلة للشارع وهرع إليّ، سلم علي ولاطفني وبادلته الكلمات الترحيبية المصرية المعتادة، وقد كنت أحب تطعيم كلامي ببعض المفردات من اللهجة المصرية مثل «إزيّك - عامل إيه - يا بختك - أمك داعية لك- الجو كويس النهار ده...» ونحو ذلك، المهم أن الرجل قال لي: أعرفك من خلال الإعلام، وأحب سماع محاضراتك ونحو ذلك، ثم قال لي:

- هل تحتاج إلى مساعدة؟

حين قال ذلك ظننت أنه يقصد المساعدة المالية، فشكرته على ذلك، وقلت لا أحتاج إلى شيء، جزاك الله خيراً.

فإذا به يفاجأني قائلاً:

- هل تحتاج إلى شقة؟

كان سؤاله صاعقاً لي، هل كان مكتوباً على جبهتي عبارة «أنا أبحث عن شقة!» هذا أمر غريب، لكن هذا فضل الله وكرمه الواسع أن يرسل لك من يساعدك من حيث لا تحتسب، فأجبته فوراً:

- نعم أخي، أنا أبحث عن شقة، وأحتاجها في أسرع وأقرب وقت.

ومعلومٌ أن الحصول على شقة مناسبة بسعر مناسب في القاهرة ليس بالأمر الهين ولا السهل.

كانت المفاجأة الكبرى لي أن الرجل بادرني قائلاً:

- اسمع، أنا عندي شقة لا أحتاج إليها الآن، ويمكنك أن تسكن فيها مجاناً!

نعم هذه مصر الطيبة، هذه مصر التي شوهتْ سمعتها بشتى الطرق والأساليب، هؤلاء هم الذين يمثلون مصر خير تمثيل، ولا أعلم أني وجدتُ حباً ومعونةً وإغاثةً وإخاءً في بلد ما كالذي رأيته وشهدته في مصر.

- فشكرته جداً على هذه المروءة العظيمة والسماحة والجود المنقطع النظير، وقلت له: لا يمكنني السكن فيه مجاناً، خذ مني أجرة ولو يسيرة، فوافق، وقال: حسبي أن تدفع لي جنيهاً واحداً في الشهر!

ثم ذهبتُ معه لأنظر في الشقة، فوجدتها نظيفة جداً، سعتها **٢٠٠** متر مربع تقريباً، ولها شرفات كثيرة، وهي أكبر شقة رأيتها، فهي أكبر من الشقة الأولى والثانية،وقريبة جداً من شارع «عباس العقاد» الرئيسي،ثم هناك رجل أمن «حارس» يحرس المكان، وهذا يجعلني أشعر بالراحة والأمان أكثر على أسرتي حينما أخرج أو أسافر.

وقد يذهب خيالك بعيداً فتظن أن هذا الرجل كان ذا لحية كثة وثوب قصير، ويضع السواك في فمه، ولكن الواقع أنه لم يكن يظهر عليه شيء من آثار التدين، بل كان رجلاً عادياً كما يقولون.

ولك أن تفكر معي: لو أنه أراد أن يؤجر هذه الشقة، فكم سيجني من ورائها أرباحاً؟

ولكن من المؤمنين رجالٌ لا يفكرون في أرباح الدنيا، وإنما تهمهم أرباح الآخرة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ثم إني تعرفتُ إلى أسرة هذا الأخ، فوجدتهم لطيفين جداً، ومهذبين كثيراً في التعامل، لا سيما والدهم الكريم الذي كان غاية في اللطف، ومحباً للدعوة، وكان مرافقاً للشيخ حسن البنا رحمه الله «مؤسس جماعة الإخوان المسلمين»، ثم إن والدهم لم يلبث أن توفي بعد ذلك غفر الله لنا وله، وجزاه الله خيراً.

وكان هذا الأخ الذي ساعدني على هذه الشقة يأخذ ابني أحياناً إلى نادي المصارعة في الجيش، النادي الذي ذهلتُ من تطوره وجماله وسعته وتوافر كل المعدات فيه، وليست مبالغةً إذا قلت إنّ التجهيزات التي رأيتها في هذا النادي لم أشاهدها في ألمانيا.

ومع الأسف الشديد لم تطل إقامتي في هذه الشقة، فلعلي مكثت فيها قرابة أربعة أشهر ونحو ذلك، لأن الانقلاب العسكري قلب الأمور رأساً على عقب، ودمر كل شيء، وأفسد جميع مخططاتي وأحلامي، وأصبحت مصر بالنسبة لي مجرد ذكريات جميلة.

❖ هدفي في مصر

من عادتي أني أحب التخطيط المستقبلي لكل شيء، وكانت خطتي في مصر أني أريد أن أمكث فيها ما لا يقل عن عشر سنوات، وكان حلمي - شهد الله - أن أصبح عالماً من علماء المسلمين، ينفع الله بي البلاد والعباد في ألمانيا وغيرها، هذه كانت أمنيتي ونيتي، فهل يحصل للمرء كل ما يتمناه؟

وفي صيف ٢٠١١م وإلى قبيل الانقلاب العسكري بيومين ٢٠١٣م درست كثيراً من العلوم الشرعية كالسيرة والعقيدة والفقه وحفظت المزيد من القرآن، وتطورت لغتي العربية كثيراً.

وفي هذه المدة أيضاً كسبتُ خبرة كبيرة في مجال الدعوة، فقد دعاني الدكتور محمد صلاح إلى قناة «الهدى» وكانت لي فيها مشاركات باللغة الإنجليزية، وكذلك دعاني إلى رحلة دعوية مع الشيخ الفاضل محمد إسماعيل المقدم إلى مدينة «أسوان» وألقينا هناك مجموعة من المحاضرات، كما نظّم الدكتور محمد صلاح محاضرة لي وللشيخ المقدم في عدد من المدن منها «طنطا» و«الإسكندرية»، وفي الإسكندرية ألقيت كثيراً من المحاضرات في مختلف الأماكن، في الجامعة والجوامع وفي مركز لدعوة غير المسلمين، واطلعت على جمعية دعوية تطبع كتباً للدعوة إلى الإسلام وتنشرها حول العالم، وممن يعمل في هذه الجمعية الدكتور صبري -رحمه الله- وآخرون من أطيب الناس قلباً وحباً للإسلام، جزاهم الله خيراً، كما شاركت في ندوة عُقدت للكلام عن الفيلم الذي صدر عن النبي ﷺ وفيه إساءة إلى مقامه الشريف بأبي هو وأمي، وكان في هذه الندوة: الشيخ ياسر برهامي والشيخ عبد المنعم الشحات.

كذلك دعاني الشيخ محمد سعد الأزهري إلى مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية وهو مسجد الشيخ أبي إسحاق الحويني في مدينة «كفر الشيخ» وألقيت هناك محاضرة أيضاً.

وكذلك ألقيت محاضرتين في «الأزهر الشريف».

وليس من الممكن أن أحصي الآن كل المحاضرات التي ألقيتها والمواضيع التي تناولتها وما تبع ذلك من مواقف وأحداث وما رأيته خلال هذه المدة من عاطفة جياشة وحب شديد للإسلام من قِبل المصريين، ولا أظن أنك ستجد شعباً يحب الله ورسوله - بغض النظر عن الممارسات وأي

شي آخر - كحب المصريين لله ولرسوله ﷺ، إنهم يتنفسون حب الإسلام، ،والتدين متجذر في فطرتهم تجذراً عجيباً، رغم أنهم خضعوا للاحتلال الفرنسي والإنجليزي وفعلوا بهم الأفاعيل، ومع ذلك فطرتهم الدينية قوية جداً، فكيف إذن كان التدين في مصر إبان عصور ازدهار الحضارة الإسلامية وفي القرون الأولى؟

لقد قضيت هذه المدة «من **٢٠١١**م إلى **٢٠١٣**» بين كتاب أدرسه ومحاضرة ألقيها ومدينة أزورها، ومشايخ أتعرف عليهم وأتبادل معهم الخبرات الدعوية، وأصدقاء من شتى الجنسيات لا يربط بيني وبينهم إلا رباط الأخوة والمحبة.

لقد كان جدولي حافلاً بالتحصيل والعطاء في هذه المدة، وأنا أزعم أن العلم الذي حصّلته في هذه المدة يفوق العلم الذي حصّلته في مكة المكرمة، مع أن مرحلة مكة كانت مهمة جداً لي أيضاً واستفدت منها كثيراً أيضاً، إذ لولاها لما تمكنتُ من فهم ما أدرسه في المرحلة المصرية، وذلك لأن المرحلة المكية كانت كالتمهيد والتأسيس لكل ما درسته في مصر.

❖ ثورة يناير ٢٠١١م

لقد كان لي الشرف أن أعاصر وأشهد وأعايش أحداث ثورة يناير التي نتج عنها سقوط «حسني مبارك» الذي كان نظامه واحداً من أبشع الأنظمة الديكتاتورية الاستبدادية، سواء كان على الصعيد الديني أو على الصعيد الحياتي، ولما سقط نظام حسني بعد ثورة أبهرت العالم المتحضر = تنفسنا الحرية، وفتحت أبواب الدعوة على مصراعيها لا سيما بعد أن أخذتْ بزمام الأمور «جماعة الإخوان المسلمين» عشنا أياماً كانت من أجمل الأيام في زمنهم القصير الأشبه بالحلم الجميل والذي ما لبثنا أن استيقظنا منه على كابوس الانقلاب الدموي الأسود.

وكل من يقول غير ذلك مثل أن أيام الإخوان كانت سيئة وكئيبة ومأساوية = فهو كاذبٌ كذباً أكبر، وغالب من يقول هذا فهو من التيارات المعادية للدين التي شرقت بوصول جماعة إسلامية إلى الحكم وغاظها ذلك، إنهم من أولئك الأقوام الذين لا مانع عندهم أن يصل إلى الحكم حزب شيوعي أو بوذي أو نصراني أو يهودي أو مجوسي أو إلحادي، ولكن قيامتهم تقوم حين يصل إلى السلطة والحكم حزبٌ لا أقول إنه حزب إسلامي ١٠٠٪ وإنما أقول حزبٌ فيه رائحة الإسلام وليس فيه طعمه!

وأنا هنا لست في صدد الدفاع عن جماعة معينة أو تقويمها ودراستها، وإنما أنا هنا أسرد سرداً تاريخياً لما رأيته وشهدته في أيامي هذه، وأنا أعلم أن هناك أناساً حمقى يحسبون كل صيحة عليهم، وأن هناك أناساً عندهم مرض اسمه «فوبيا الإخوان» فكلما رأوا رجلاً أنصف الإخوان وقال كلمة الحق وصدع بما رآه بعينه وشهده = اتهموه بأنه ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين! وأنا أقول هذا رغم إن الإخوان المسلمين في ألمانيا هم من أشد الناس محاربةً لي، ولكني الآن أفرق بين المقامين، بين ألمانيا ومصر، فالإنصاف واجب، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعَام: ١٦٤].

كما أنني لست الآن في صدد دراسة الثورة وأسبابها ونتائجها فهذا قد قُتل بحثاً وكتابةً، فكل ما يعنيني الآن هو التأريخ لحياتي الشخصية.

كما قلت بعد الثورة تنفسنا نسائم الحرية، فكنا نصول في البلاد شرقاً وغرباً لإلقاء المحاضرات دون أن يعترضنا أحد، ومما أذكره أني ألقيت محاضرة في جامعة عين شمس، وألقيت كذلك في مقر حزب النور.

شاركت أيضاً في كثير من القنوات الفضائية مثل: «قناة الندى» وهي للشيخ أبي إسحاق، و«قناة الناس» و«قناة الحكمة».

وألقيت أيضاً محاضرة مع الشيخ محمد حسان في القاهرة.

❖ مع الشيخ المقدم

أما الشيخ محمد إسماعيل المقدم فقد كانت لي معه علاقة جيدة، فقد سافرت معه للدعوة إلى «أسوان» وألقيت معه العديد من المحاضرات في «طنطا» و«الإسكندرية» وغيرهما، كما زرته في بيته، وكانت لنا جلسات رائعة أنا وهو في بيت الشيخ أبي إسحاق الحويني، وقد كان الشيخ المقدم - وما زال - قمة في التواضع، ما زلت أذكر لقاء لي معه حينما كنت في زيارة لمكة المكرمة سنة **٢٠١٣**م لأداء العمرة، فسمع الشيخ عن وجودي في مسجد الشيخ ابن باز في العزيزية، فجاء إلى المسجد بنفسه فقط لأجل أن يراني، وقد أكبرتُ ذلك منه على جلالة قدره وعلمه، وأنا أعد الشيخ من طبقة شيوخي، لذلك كم كان محرجاً حينما جاء شاب سعودي ليلتقط صورة معي في حين أنه لم يعرف الشيخ أساساً ولم يعطه أي اهتمام! لذلك أقول: الشهرة ليست معياراً على شيء، وكون الرجل ليس مشهوراً فلا يعني هذا الحط من قدره.

ومن نصائح الشيخ المقدم الذهبية لي أنه قال لي مرةً:

أرى فيك موهبة عظيمة في التأثير على الناس بخطابك، فلا تضيعنّ لحظة من عمرك في غير الدعوة والإصلاح.

ومرةً كنت مشتركاً معه في إلقاء محاضرةً فقال مداعباً للجمهور وهم يسمعون: سأتحدث أنا قبلك كي ينام الناس، ثم تأتي أنت وتوقظهم!

ومن تواضعه الجم أنه كان بجانبي مرة في إحدى المحاضرات التي ألقيتُها، وفي أثناء المحاضرة لمحته يخرج ورقة وقلماً ويسجل بعض الملاحظات، فاستغربت من ذلك وسألته، فقال لي: لقد قلتَ كلاماً فأعجبني فدوّنته كي لا أنساه! في الحقيقة كان هذا درساً تربوياً عظيماً لي في التواضع وهضم النفس.

وأما بقية المشايخ كالشيخ محمد حسان ومحمد حسين يعقوب، وكذلك الشيخ محمد عبد المقصود فلم تكن لي بهم صلة قوية، وإنما لقاءات عابرة، حيث ألقيت محاضرة مع الشيخ محمد حسان في القاهرة عن «فلسطين».

❖ الدعوة في الحديقة

كنت مرةً أتجول في حديقة «الأزهر» فرآني شابٌ وأقبل إليّ مسلماً ومرحباً وأظهر لي الفرح باللقاء وذكر أنه معجب جداً بي ثم تطرقنا للحديث عن الدعوة وجرنا الكلام إلى السياسة، فسألته قائلاً:

- من انتخبتَ؟ حزب النور السلفي؟ أم الإخوان؟
- فقال: لا هؤلاء ولا هؤلاء، بل انتخبتُ حزباً اشتراكياً.

أنا هنا أصبتُ بصدمة خفيفة، حيث لم أستوعب أن هذا الرجل الذي فرح بي ويزعم أنه يحبني كداعية، ويناقشني في شؤون الدعوة أن ينتخب حزباً ليس إسلامياً!

- فقلت له: ولماذا فعلتَ ذلك؟
- فقال: لأنهم سيقيمون العدل.
- فقلت له: أليس الشريعة تدعو إلى العدل في نصوص كثيرة؟
- فقال: بلى، وأنا ليست عندي مشكلة مع الشريعة نفسها، ولكن عندي مشكلة مع القائمين عليها والذين يدّعون تطبيقها، فأنا في الحقيقة لا أثق في الإسلاميين.
- فقلت له: ألا تثق بمن يستيقظ فجراً ليصلي صلاة الفجر خوفاً من الله عز وجل؟ هل ينبغي لمثل هذا أن يظلم الناس؟ ألا يستحق من كانت هذه صفته شيئاً من ثقتك له؟ وبالمقابل تثق فيمن لا يبالي بالدين.
- فقال: بلى.

وبينما نحن كذلك، إذ أقبلتْ فتاةٌ شابة ودخلت معنا في الحوار المفتوح وكانت تلك الفتاة ليست محجبةً وكانت متشككة جداً في وجوب الحجاب، وسألتني عن رأيي في ذلك؟

- فقلت لها لا شك ولا ريب في وجوب الحجاب على المسلمة وهو أمر اتفقت فيه كلمة المسلمين ولا نزاع ولا خلاف فيه منذ عصر النبوة وإلى الآن أنه يجب على المرأة أن تغطي رأسها، ثم سردتُ لها بعض الأدلة على ذلك من سورة الأحزاب وسورة النور.

كنتُ أتوقع منها أنها لن تجادلني في وجود هذه النصوص في القرآن، لأنه لا أحد ينكر وجودها في المصحف، بل ستجادلني في فهم هذه النصوص، وستقول مثلاً كلمة «جلباب» لا يُقصد بها كذا وكذا، وكلمة «حجاب» يقصد بها كذا وكذا، بمعنى أنها ستقوم بتأويل هذه الآيات بما يتوافق مع رؤيتها، لكنها فاجأتني قائلةً مباشرةً بلا تردد:

- إذن الحجاب واجب.

لم يكن هذا بسبب براعتي في الحوار ولا مهارتي في المناظرة والمحاججة أبداً، بل إني لا أسمي هذا مناظرة، ولم أدخل معها أصلاً في تفاصيل وجدال، كل الذي قلته لها إنه واجب، وذكرت لها الآيات فقط، والذي فهمته من كلامها أنها لم تكن تعلم أصلاً بوجود هذه الآيات في القرآن، فلذلك حين علمتْ بوجودها بادرت إلى الإقرار به، هذا كل ما في الأمر، فليس من حنكتي ولا من ذكائي، ولك أن تتخيل أن إنساناً يعيش في القاهرة حيث الأزهر والعلم ثم تخفى عليه مثل هذه الأمور، فما الظن بغيرهم؟

ثم إني قلتُ لها:

- دعيني أسألك عن أمرٍ هو أهم جداً من الحجاب، وهذا الأمر إن كنتِ تفعلينه فأمر الحجاب يهون، وإن كنتِ لا تفعلينه فلا فائدة من لبس الحجاب إذن، هل أنتِ تصلين الصلوات الخمس؟

- فقالت: لا.
- فقلت لها، الله عز وجل يقول ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١] وسردتُ عليها جملة من النصوص القرآنية والنبوية في ذلك.
- ثم سألتني مستفسرةً لا معترضة ومجادلة: هل النصارى كفار؟
- فقلت لها: نعم، وذكرتُ لها بعض الآيات الناطقة الصريحة بذلك.
- فكأنها قالت: صدقتَ، وكأني قلتُ «عجبنا له يسأله ويصدقه» كنت أستغرب وأتحير من سرعة تسليمها بالنصوص، وكأنها لم تكن بحاجة إلى إقناع بقدر ما كانت بحاجة فقط إلى أن تقف على هذه النصوص!

وكنت في تلك الفترة أستغرب وجود فئة من الناس تعيش في بلاد المسلمين وحولهم العلماء والفقهاء وفي بلد كمصر فيه الأزهر والمعاهد ثم يكون بينهم من لا يعرف هذه المسلمات التي لا نشك نحن فيها طرفة عين ونحن في بلد بعيد عن نور الإسلام كألمانيا مثلاً، ولكن هذا الأمر أفادني كثيراً من الناحية الدعوية حيث اطلعت على فئات مختلفة.

كما استفدت أيضاً من هذا الحوار بأن علمتُ أنه ليس كل من ينتخب حزباً غير إسلامي أنه لا يحب الإسلام. «كما كنت أظن ذلك في السابق» بل قد يكون محباً جداً للإسلام وللدين - كهذا الشاب والشابة - ولكن عندهما بعض الشبهات والتأويلات، وهذا الأمر جعلني أنظر بنظرة مختلفة إلى أولئك الذين يقعون في أخطاء جهلاً منهم مع كونهم في بيئة غير إسلامية.

أيضاً هذا الحوار شجعني كثيراً على المضي قدماً في دعوة المسلمين خصوصاً، وأن كثيراً من المسلمين يجهلون دينهم، ويجهلون أموراً هي معلومة من الدين بالضرورة، وقد يكون إنكارها كفراً بالله عز وجل وهم لا يشعرون، وأن كثيراً منهم لا يحتاجون إلى أكثر من مجرد ذكر الآية لهم أو الحديث مع الأسلوب الحسن.

❖ **قبيل فوز د. محمد مرسي**

كنت في هذه الفترة أتابع ما تقوله الصحف الألمانية عن هذه المرحلة الحرجة من تاريخ مصر، لقد سقط نظام مبارك، ولكن من البديل؟ فهناك مؤشرات تقول إن الإسلاميين سيجلسون على السلطة، وهو الأمر الذي كلف الغرب مئات السنين كي لا يحصل، لقد كانت شعبية الإسلاميين كبيرة فمن المتوقع أن ينتخبهم الناس إذن، وكثير من الناس يرى أن الإخوان المسلمين يريدون التدرج في تحكيم الشريعة، وإذا صدق الإخوان في ذلك فستكون كارثة كبرى على العالم الغربي وأكبر مهدد لحضارتهم الغربية فيما يزعمون.

وهنا أمر مهم يجب أن نعرفه: لقد أقنع الإعلام الغربي الناسَ عندنا أن كل الشعوب العربية التي ثارت إنما ثارت على الطغيان وتطالب بالحرية والديموقراطية الغربية وليست تريد إطلاقاً حكماً إسلامياً.

لذلك كان فوز مرسي بالنسبة لهم صفعة كبيرةً، فهذا بلد عربي ضخم وله ثقله في العالم العربي ومكانته يصل تعداده إلى ١٠٠ مليون يفوز فيه رجل ذو توجه إسلامي ويحصل على **٥١,٧٣** ٪ من الأصوات**!** لك أن تتخيل مدى المصيبة التي حلت بالقوم من جراء ذلك، إذن هناك عدد كبير من الشعوب العربية - لا يمكن تجاهله بحال من الأحوال - لا يريد أن يعيش مثل الغرب، وإنما يريد حياة إسلامية تقوم على شريعة القرآن والسنة النبوية.

وقعت الصحف الغربية والرأي العام في حيرة كبيرة من تزايد شعبية الإسلاميين في مصر وتونس وغيرها من الدول: إن تصويت هذه الأمم المتكاثرة للإسلاميين ظاهرة تحتاج إلى تعليل ورصد، فمن التعليلات التي وقفت عليها:

- بعض الصحف كانت تقول: إن الإخوان في مصر مثلاً كانوا يستغلون حاجة الفقراء والمساكين فقاموا بمساعدتهم بالمال والإغاثة، وبهذه

الطريقة كسبوا شعبية كبيرة من البسطاء والفقراء الذين يشكلون غالب الشعب المصري.

- ومنهم من يقول إنّ هؤلاء البسطاء من الشعب المصري يجهل حقيقة الديمقراطية ويجهل نعيم الحرية في الحياة الغربية، فلو أدركها جيداً لما طالب بالشريعة ولما عدل عن النظام الغربي.
- ومنهم من يقول: إن الإنسان يبحث عن الجديد دائماً، كما قال الشاعر العربي «لكل جديد لذة» فهؤلاء الذين يطالبون بالشريعة يريدون أن يجربوا حكم الشريعة، ليس ليقينهم بصلاحية الشريعة لهذا الزمن، وإنما من باب «لنجرب! ماذا سنخسر؟» لقد جربنا الاشتراكية والشيوعية والقومية والعلمانية وكل شيء، فلماذا لا نجرب الشريعة الإسلامية؟

وأفضل طريقة تقنع بها الإنسان في خطأ شيء أو صوابه هو أن تجعله يجرب بنفسه، لقد شعرتُ أن أوروبا حريصة على فوز الإسلاميين لا لشيء إلا ليثبتوا للعرب أن الإسلاميين لا يصلحون للحكم، وأن الغرب سيعملون كل ما في وسعهم كي يجعلوا هذه التجربة هي من أفشل التجارب في الحكم على مرّ تاريخ مصر، وهذا الذي حصل بالضبط، الخطة تقول باختصار شديد «دعوهم يحكمون فإننا نجلعهم يفشلون وسنفعل كل شيء كي يفشلوا ثم حينها سيقتنع الناس أن النظام الإسلامي لا يصلح للحكم أبداً، وأنه لا بديل عن الديموقراطية والعلمانية»

لقد فهمت ما يرمي إليه الغرب جيداً وأدركت ما بين سطور الصحف الغربية لأني أفهم لغتهم الظاهرة والباطنة، فألقيت محاضرة بعنوان «الربيع العربي» وذكرت فيها ما فهمته من الصحف الغربية والتحليل الذي توصلت إليه كان هذا قبيل فوز د. محمد مرسي بالرئاسة بأربعة أشهر، وحدث ما توقعته.

كانت هناك حملات إعلامية تسعى إلى شيطنة الإخوان وتصويرهم على

أنهم ظلمة فسدة، مع أنهم ليس لهم في الحكم إلا أياماً معدودات، وكان هذا الأمر بعد انتخاب حكومة الإخوان وقبل فوز د. مرسي، وقد لمست سخطاً غير مبرر من الناس على الإخوان، وهو لا شك من تأثير الدعاية الإعلامية ضدهم، وأنا لم أكن يوماً قط في حياتي من الإخوان المسلمين ولكن ديني يأمرني بالعدل والإنصاف:

كنت مرةً عائداً من «شبرا» إلى مدينة «نصر» مع سائق تاكسي،فوجدته ساخطاً متذمراً متأففاً من الأوضاع الاقتصادية والسياسية ويعزو ذلك كله إلى الإخوان المسلمين ويشتمهم، ويدعي أن ما هم فيه إنما هو بسببهم،وكان هذا قبل انتخاب مرسي بكثير، فدخلت معه في حوار قائلاً له:

- هل كنت مؤيداً لثورة ٢٥ يناير؟
- نعم.
- ماذا كان هدفك حينما وقفت مع الثورة؟
- ففكر قليلاً لثوانٍ ثم قال «أنا عايز مساواة»!
- فاستغربتُ وقلت: ماذا تقصد بالمساواة؟
- فصرخ قائلاً: «لماذا مدير الجامعة يتقاضى راتباً يصل إلى ٤٠ ألف جنيه، بينما عامل النظافة راتبه ٨٠٠ جنيه!»

هنا أدركتُ حقيقة مشكلة في طريقة التفكير، وأنهم يرددون ألفاظاً ومصطلحات من نحو «الحرية والمساواة والعدالة» وغيرها وهم لا يعون ما تحتها من معانٍ، ولا يدركون حقيقتها، لذلك قلتُ لهذا الأخ مباشرة:

- وهل أنت تظن أن الرجل الذي درس واجتهد في الجامعة وأصبح طبيباً مثلاً عندنا في الغرب أو ألمانيا يتقاضى مثل الراتب الذي يتقاضاه شخص لم يدرس ولم يجتهد وينظف في الشارع أو يعمل عملاً يحسنه كل أحد؟ لا يستويان مثلاً ولا عقلاً ولا قانوناً! كيف تريد أن تساوي

بين رجل درس سنين واجتهد وصبر وصابر وسهر وناله ما ناله من التعب والنصب والوصب في سبيل الحصول على الشهادة العلمية مع رجل لم يفعل من ذلك من شيء؟

ولم يكن هذا النقاش الوحيد الذي أجريته في الشارع المصري العام، بل دخلت في نقاشات عديدة مع عدد كبير منهم، فوجدت مع الأسف أن هناك خللاً في الوعي وإدراك الأمور ومآلاتها عند كثير من أعداء الإخوان.

إنّ كثيراً من الناس يظن أن الدولة عبارة عن «مطعم فلافل» وأنه ما عليه سوى أن يدخل ويأمر «المعلم» بشطيرة فلافل، ثم يحدد له ما يريد وما لا يريد من مكونات وجبته.

إنّ ألمانيا الغربية أنفقت الملايين والملايين لأجل أن تنهض شقيقتها الصغرى ألمانيا الشرقية، وإلى يومنا هذا وساعتنا هذه = ما زالت نسبة البطالة في الشرق أكثر بكثير من الغربية،رغم مرور ثلاثين سنة على الاتحاد، فكيف تريدون من الإخوان أو غيرهم أن يصلحوا دولة في مثل حجم وثقل مصر في ثلاثة أشهر أو أربعة؟ هذا لا يقوله إلا من يجهل التاريخ والسياسة وطبيعة قيام الدول.

❖ مظاهرات ضد د. محمد مرسي

كنت مرةً أتجول مع أصحابي في مدينة «نصر» بالقاهرة، فوجدت جموعاً مكتظة تهتف بهتافات، وترفع لوحات، وتصرخ بالتنديد، فعلمتُ أنها مظاهرة ضد الرئيس، فقلتُ لمن حولي:

- أريد الذهاب إليهم ومحاورتهم.

في البداية رفض الإخوة ذلك خوفاً عليّ من أذيتهم، لكنني أصررت،قائلاً: لا تقلقوا، الله معنا، وذهبنا إليهم.

أقبلتُ إلى أحدهم وقلتُ له بكل لُطف:

- لو سمحتَ، أنا رجل من ألمانيا وأريد أن أسألك بعض الأسئلة.
- فقال لي: تفضل.
- فقلت: لماذا تتظاهرون؟
- فقال: ضد محمد مرسي والإخوان.
- فقلت له: ولماذا؟
- فقال: هم أفسدوا البلد.
- هنا أخرجتُ ورقة وقلماً وقلتُ له كالمستعلم: جميل، وكيف أفسدوا البلد؟

فما كان منه إلا أن أعطاني ظهره وولى مدبراً ولم يعقب!

وقد كنت أعلم أنه سيعجز عن الإجابة، وأنه كحال كثير منهم مجرد غوغاء لا يفهمون عن طبيعة التغيير شيئاً، ويظنون أنه سيأتي رجل مثل «السوبرمان» ويغير كل شيء، ونسوا أن التغيير يبدأ من الفرد نفسه كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرّعد: ١١].

أقبلتُ إلى رجل آخر:

- فقلت له: لماذا تتظاهرون!؟
- فقال: أنا شاب جامعي ولا أجد وظيفة أعمل فيها، أليس هذا ظلماً، البلد تعاني من البطالة والظلم بسبب الإخوان.
- فقلت له: وأنا لدي أصدقاء ألمانيون جامعيون ولا يجدون وظائف، وفي كل بلد تجد هذا، ثم قلتُ له: وهل كانت لك وظيفة في عهد مبارك؟!
- فقال لي: لا.
- فقلت له: إذن لماذا تتظاهر؟

❖ لقاء مع شيخ

زرت مرة أحد المشايخ المصريين، وكان هذا الشيخ من الداعمين لحزب النور، ولا أريد الآن أن أذكر اسمه «وبالمناسبة ليس هو ياسر برهامي» واقترحتُ عليه أن ينزلوا للناس ويتحاوروا مهم ويجيبوا عن إشكالاتهم حول القضية المصرية والأزمة الحالية في الاقتصاد والسياسة، لأن هذه الجماهير الغاضبة تحتاج من يوجهها ويستمع إليها، واقترحت عليه مبادرة عملية بأن يفتحوا مخيمات كبيرة تستوعب أعداداً ضخمة، ويُرشد فيها الناس إلى ما ينفعهم وما فيه مصلحتهم ومصلحة بلادهم قبل أن تضيع منهم هذه الفرصة التاريخية.

❖ تخوفي من سقوط مرسي!

لقد أبديت لهذا الشيخ بكل صدق وأمانة وصراحة ووضوح أني ألمح بداية إرهاصات سقوط الرئيس مرسي، ومع مرور الأيام والأحداث وصلتُ إلى منزلة اليقين أن الدكتور محمد مرسي ساقطٌ لا محالة، وإنما المسألة مسألة وقت فحسب، وهذا الذي جعلني أحزم أمتعتي وأغادر مصر قبيل الانقلاب العسكري بيومين فقط.

والذي جعلني أجزم بسقوط هذا الرجل ليس وحياً من الله كوحي المرسلين ولا إلهاماً كإلهام الصالحين، كل ما في الأمر أني تأملتُ في سنن الله الكونية، وربطت ذلك بالتاريخ الحديث، لا سيما تجربتنا الألمانية وأسباب سقوط جدار برلين، الذي ما أسقطه إلا الغضب، واستنتجتُ ذلك أيضاً من خلال ما قرأته في الصحف الألمانية والعربية ومحاوراتي الكثيرة مع الشارع المصري، أضف إلى ذلك الحرب الإعلامية الشرسة التي كانت موجهة إلى حكومة الإخوان والرئيس مرسي شخصياً، وكيف استطاع هذا الإعلام الساحر الماكر أن يحول الملايين من مؤيدين لمرسي إلى ناقمين وغاضبين ومطالبين بإسقاط هذا الرجل.

كل هذه الأسباب وغيرها: جعلتني أجزم بأن مسألة سقوط الإخوان إنما هي مسألة وقت، وأنها قريبة جداً أقرب إلى الواحد منا من شراك نعله.

كان رد الشيخ رغم ذكائه وفهمه للواقع في العادة ما معناه:

"لا تقلق، ولا تخف ولا تحزن، إن هذه الجموع التي تهتف الآن ضد مرسي إنما هم شرذمة قليلون، وإنّ هؤلاء الشرذمة مهما بلغوا وأوتوا من قوة ومكر وتدبير لن يصلوا عشر معشار ما كان عليه نظام مبارك من قوة وبطش وجبروت ورسوخ وتوطيد لأركانه في أرض مصر، ومع ذلك أسقطه الله تعالى، وقد كان سقوطه أشبه بالمستحيل عندنا معشر المصريين، فإذا زال هذا الشبح الأكبر والخطر الأحمر فما دونه أتفه وأحقر، فلماذا الخوف إذن؟

لقد تجاوزنا في زمن مبارك عقبات جسيمة ومعوقات عظيمة، فماذا تشكل هذه الأزمة اليسيرة من شي أمام ما كنا فيه من محن وظلام؟!"

فتبين لي أنه وكثير من المشايخ يستخفون جداً بالأوضاع.

فقلت له: يا شيخ لو سمحتم، أنا أخالفكم في ذلك، لأني أرى هذه الأحوال أخطر، لأن الخطأ الآن يُنسب إلى الإسلاميين، وقبل ذلك كان يُنسب إلى نظام مبارك.

❖ استجواب صديقي أبي آدم

قبل الانقلاب بأسبوعين تقريباً سافر صديقي الأثير سفين لاو «أبو آدم حسين الألماني» الذي كان يعيش هو الآخر في مصر لطلب العلم، سافر إلى ألمانيا، وفي مطار القاهرة أوقفه رجال أمن الدولة وأخضعوه للتحقيق المزعج، ثم تركوه يغادر، اتصل بي أبو آدم بعدها وأبدى لي انزعاجه من هذا التحقيق الغريب الذي لم يحصل لنا طوال سنتين إلا هذه المرة، إلى درجة أنّا كنّا نشعر أحياناً أنه لم يعد هناك وجود لما يسمى «بجهاز أمن

الدولة»، فقلت لأبي آدم: بل كانوا موجودين طوال هذه المدة، ويراقبون الأشخاص والأمور عن كثب، حتى إذا جاءت الفرصة المواتية المناسبة ألقوا القبض على من أرادوا، ثم قلتُ في نفسي: إذا كانوا أوقفوا أبا آدم وهو لم يكن مشهوراً وليس له نشاط دعوي إعلامي بارز في مصر، فماذا سيفعلون بي إذن؟

❖ سجن أبي آدم

لما أنهى أبو آدم زيارته السريعة لألمانيا وفرغ من شغله، قفل راجعاً إلى مصر، وكان لا بد له أن يرجع حيث أسرته وأولاده ما زالوا في مصر، فكانت المفاجأة أن رجال أمن الدولة منعوه من دخول مصر، وألقوا القبض عليه، ثم قادوه إلى سجن مؤقت في المطار، ولبث في السجن يومين، ثم أرجعوه من حيث أتى إلى ألمانيا.

لما نمى إلى علمي هذا الخبر جزمتُ أن القوم يتربصون بي الدوائر ويريدون بي سوءاً، وأن رجال أمن الدولة لم يتجرؤوا على رفع رؤوسهم وإظهار أنفسهم إلا لضعف حكومة مرسي، وما ذاك إلا أمارة على قرب سقوط حكومة الإخوان.

❖ الدعوات إلى التظاهر يوم ٣٠ يونيو «الانقلاب»

لما بدأ القوم يدعون إلى هذا التجمع الكبير، الذي هو إرهاصات الانقلاب العسكري على الرئيس المنتخب الشرعي محمد مرسي = عزمت على مغادرة مصر قبلها، وأن أراقب الأحداث والأخبار من ألمانيا، فإن فشل الانقلاب - وهو ما كنت أتمناه - عدتُ إلى مصر كأن شيئاً لم يكن، وإن نجح الانقلاب - وهو ما حصل - مكثتُ في ألمانيا ونجوتُ من حملة الاعتقالات التي طالت البشر والشجر والحجر.

وهنا حصلت لي مشكلة تتعلق بجواز سفر ابني محمد، فقد رزقني الله بمولود في القاهرة **١٢** فبراير **٢٠١٢**م في مستشفى «كيلوبترا» وسميته محمداً، والإخوة المصريون يعرفون ماذا تعني الولادة في هذا المستشفى ـ حيث يعد من أفضل المستشفيات في القاهرة، وتكاليفه عالية عليّ، ولم أكن أملك من الأموال ما يخولني لأنْ تلد زوجتي في مستشفى مناسب، وهنا أحب أن أنتهز الفرصة كي أشكر الله أولاً ثم أشكر الأخ «أحمد.ح» الذي تكفل - مشكوراً مأجوراً - بكافة تكاليف الولادة في هذا المستشفى «كيلوبترا»، فجزاه الله عني خير الجزاء وأجزل الله له المثوبة وأخلف الله عليه خيراً.

أقول: حصلت مشكلة في جواز ابني محمد المذكور، وهذه المشكلة عرقلت مغادرتنا جميعاً من مصر، فاضطررت أن أذهب إلى «الزمالك» حيث السفارة الألمانية، وبعد أن شرحت لهم المشكلة أعطوني خيارين:

١ - إما أن أصلح مشكلة الجواز هنا في مصر، وهذا سيتطلب تجميع أوراق كثيرة من هنا وهناك، الأمر الذي سيأخذ وقتاً طويلاً.

٢ - وإما أن ترجعوا كلكم إلى ألمانيا، وهناك تصلح مشكلة الجواز بسهولة.

لا شك أن الخيار الثاني أفضل لي بكثير، ولكن المشكلة من أين لي المال الذي سأحجز به تذاكر سفر أسرتي كاملة؟

وقد كنت استخرتُ الله عز وجل قبل الذهاب إلى السفارة، وطلبت منه تيسير السفر والفرج، ثم خطر لي أن أكلم أمي وأضعها في الصورة ففاجأتني وبشرتني بأنها قد حجزت التذاكر دون طلب مني - جزاها الله خيراً وبارك الله فيها ورزقها الله الصحة والعافية- وهكذا خرجنا قبل يومين فقط من الانقلاب العسكري والحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

على كل حال... وكما توقعتُ أوقفوني في المطار أثناء مغادرتي،

وأخرجوني من صف الطابور، وخضعت للتحقيق، ثم تركوني، وهنا علمتُ أني إذا رجعت مستقبلاً إلى هذه البلاد فإنهم سيعتقلونني، فصرفت النظر عن مصر، وكلي حزن وأسى وأسف على ذلك، وغادرتُ مصر وهي من أحب بلاد الله إليّ وأكرر أني قضيت فيها أجمل سنتين من حياتي، ولا أبالغ إذا قلت إني أحببتها أكثر من بلدي، ولقد بكيت على فراقها وعلى الأحداث التي حلت بها من دمار وخراب، وبكت معي أسرتي وخصوصاً ابني حمزة الذي أحبها حباً جماً وعند الله العوض والجزاء، رغم أني لا أبكي إلا نادراً جداً.

❖ مصير أصحابي المصريين

أصحابي المصريون الذين كانوا كنقاء الماء، والذين لم يكن لهم هم إلا الدعوة والخير، بعيداً عن كل أعمال العنف، أصبح مصيرهم لا يسر، فمنهم من اعتقل كالصديق «أحمد.م» الذي ما زال مسجوناً عند هذا النظام الجائر، ومنهم من اختفى في ظروف غامضة ولا أدري عن مصيره شيئاً كالصديق عمار، وقد يكون قُتل شهيداً -إنّ شاء الله- في مذبحة رابعة العدوية الشهيرة، وأذكر رجلاً تعرفت عليه أيضاً كان ينتمي إلى الإخوان المسلمين، وكان في أول الامر منقبضاً مني لأنه ظن أنني أدعو إلى التفجير والتخريب والعنف، فلما عرف أني ضد هذه الأمور فتح لي قلبه وأصبح محباً وصديقاً، هذا الرجل كان من المشاركين في تجمع رابعة العدوية، وأصيب بطلق ناري، ومنهم من فرّ خارج مصر إلى تركيا مثلاً مثل صديقي مصطفى، وهكذا تفرّق أصحابي شذر مذر.

❖ يا مصر صباحك نور

لعلي أختم كلامي عن صفحة مهمة من صحفات حياتي وهي صفحة مصر = بالكلام عن هذه الأنشودة التي لها وقع عظيم في قلبي، هذه الأنشودة

أنشدها الأخ ياسر أبو عمار في وقتٍ كنّا كلنا أملٌ وتفائل ويقين بمستقبل مشرق لمصر العظيمة، مصر العروبة والإسلام، وكانت هذه الأنشودة - وأدعو القارئ إلى الاستماع إليها - تبث فيّ روح الأمل كثيراً، وتجعلني أشعر أن هذا الشعب المقهور طيلة سنين يستحق الأفضل، ويستحق أن يعيش حياة كريمة تليق به كإنسان، وأن هذا الوقت قد حان وجاء، فها هم ولأول مرة ينتخبون رئيسهم في انتخابات نزيهة، وها هم الإسلاميون يتنافسون لخدمة دينهم وبلدهم – أو هكذا ظننا في بعضهم –... إنّ هذه الأنشودة وبكلماتها المصرية العامية البسيطة، وبلحنها الهادئ كانت - وما زالت - تحرك جميع أحاسيس قلبي وجوارحي، رغم أني لا يهزني شيء بسهولة، وإلى يومنا هذا وبعد مرور هذه السنين على أيامي في مصر كلما استمعت إلى هذه الأنشودة = قفّ شعر رأسي، وخفق قلبي، وربما اغرورقت الدموع في عيني، لأني شعرتُ أن ناظمها ومنشدها قد أراد الخير والعدل والسلام والنهضة والتقدم لهذه البلدة المنكوبة، ولكن لا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

❖ الاستقرار في ألمانيا

قضيت هذه المدة أراقب بوجل وحزن وبقلب متألم الأحداث العظيمة في مصر، تلك الأحداث التي آلمت قلب كل مسلم وعربي وحر شريف في العالم، والتي آلمت كل من يمت إلى الإنسانية بصلة، لقد سقط مرسي واعتقل، وقتل من قتل، واعتقل من اعتقل، وهرب من هرب، وعادت مصر إلى الوراء، وخرب السفهاء بيوتهم بأيديهم، فاعتبروا يا أولي الأبصار، وكان ما كان من أحداث جسام لن تنسى في تاريخ الإسلام، مما يعلمه كل أحد، فلا حاجة إلى سرد تفاصيل مجرياته لأنها موثقة ومسجلة.

كنت في هذه الفترة أدافع عن الإسلاميين في مصر في كل محفل، وأفند

أباطيل الإعلام الغربي والعربي الذي وجّه سهامه إلى الإخوان واتهمهم ظلماً وزوراً وبهتاناً بأنهم إرهابيون، تلك التهمة الجاهزة المعلبة التي يرمون بها كل من يريدون التخلص منه، وإن بين الإخوان والإرهاب المزعوم كما بين المشرق والمغرب، وأشهد أن القوم لا علاقة لهم بالإرهاب ولا العنف لا من قريب ولا من بعيد، بل قد وصلوا إلى مرحلة من التسامح والسلام والتذلل الذي نخالفهم فيه ما هو معلوم ومشاهد، وقد كررت في مناسبات كثيرة أني أخالف الإخوان في أمور وأوافقهم في أخرى ـ ولم أكن منهم يوماً قط، ولكن الله حرم الظلم وأمر بالعدل في القول والعمل.

لقد كنت أتكلم في خطاباتي عن مصر والإخوان كلام الخبير العارف المطلع المعايش للأحداث، لأني كنت جزءاً منها، ولم يكن كلامي معتمداً على «قيل وقال» بل كان معتمداً على «شاهدتُ ورأيتُ»،

لقد كانت هناك دعوات تطالب باستعمال العنف على المتظاهرين ضد مرسي، وكان الإخوان من أشد الناس معارضة لاستعمال أي عنف مع أي مخالف، وشهدت ذلك بنفسي، فإذا كان هذا صنيعهم مع مخالفيهم ومن يتظاهرون ضدهم فكيف بمن سالمهم؟ لقد كان الإخوان يريدون السلام والخير لكل من على أرض مصر، ولكن هل يصلح العطار ما أفسد الدهرُ؟

وهنا أحب أن أسجل رسالةً وأنبه على حقيقة تاريخية سياسية شرعية، إنّ عدوك - أيها المسلم - مهما تنازلت له عن دينك وقدمت له كل ما يريد فإنه لن يرضى عنك ما دامت فيك رائحة الإسلام، حتى لو أعلنت له أنك لا تريد تطبيق الشريعة وأنك تسعى إلى علمانية ناعمة غير معادية للدين فإن هذا لن يجعلك تسلم منهم ومن شرهم ما دمتَ تحب الله ورسوله وتظهر الغيرة على الدين، وتصلي الصلوات الخمس، وتنوي تطبيق الشريعة ولو بعد ألف سنة.

❖ ضيق العيش في ألمانيا

بعد أن كنت في مصر مدللاً مكرماً بحمد الله، لي شقة واسعة مجانية، ويأتيني مصروف شهري بانتظام من الأخ «محمد.ح» - بارك الله في ماله - والحياة رخيصة جداً = فجأةً انقطع كل ذلك، ورجعت إلى ألمانيا حيث لا بيت لي ولا وظيفة ولا مال ولا شيء من متاع الدنيا. والحياة غالية جداً هنا كما هو معلوم مقارنةً بمصر.

وأحمدُ الله عز وجل على كل حال، فله الحمد والمنة، ونعمة الهداية والإيمان تفوق كل ذلك، وأما الدنيا فهي تغدو وتروح، وتقبل وتدبر، وهي ونحن إلى زوال.

هذا الأمر اضطرني أن أسكن أنا وعائلتي في بيت أمي في قرية صغيرة بجوار مدينة «بون» العاصمة السابقة لألمانيا الغربية.

ولو كنت أعيش وحدي مع أمي وأبي لهان الأمر، ولكن أنا وعائلتي ستة أشخاص، فلا شك أن الأمر لم يكن هيناً عليّ، فكيف سأنفق على هذه الأنفس؟ علاوةً على أن البيت ضاق بنا جداً.

ولكن الحمد لله كلما ضاق الأمر اتسع، كانت جدتي تملك شقةً، وهذه الشقة مؤجرة على امرأة منذ عام **١٩٨٩** م وقدر الله أن هذه المرأة المستأجرة قررت أن تترك البيت، فأجرتني جدتي هذه الشقة مقابل مبلغ زهيد وانتقلنا إليها بفضل الله.

والشقة بحمد الله واسعة، ولكن كنا نعاني من بعض الأمور، فمثلاً: المطبخ لم يكن فيه ماء، وليس عندي من الأموال ما يمكنني من وضع صنبور فيه، فمكثنا سنتين نطبخ من ماء الحمام[١]، وكذلك واجهتنا مشكلة جهاز التدفئة فهو ليس مجانياً وتكلفته باهظة، فكنّا نعاني في أيام الشتاء ولا نستطيع

---

(١) ولا أنسى هنا أن أذكر أن صديقي القديم ـ قبل إسلامي ـ الإيراني فردات، الذي ذكرته

تشغيل التدفئة في جميع غرف البيت، فنضطر في الشتاء أن نبيتَ في غرفة واحدة نحن الستة، كي نقتصد في تشغيل مدفئة واحدة، كذلك كانت هناك بعض المشاكل الأساسية في دورة المياه وكنا نعجز عن إصلاحها.

ثم دخلت في دوامة البحث عن مدارس مناسبة للأطفال، وكان قلبي يتألم جداً حين أتذكر النعيم الذي كان فيه أولادي حيث أرسلهم وأنا مطمئن إلى مدرسة يتعلمون فيها دينهم ولغتهم العربية ومحاسن الأخلاق والآداب، حيث لا اختلاط ولا كفر ولا أخلاق سيئة، فمن الصعب جداً على الأب المسلم أن يرى أولاده يذهبون إلى مدراس ألمانية لا تقيم للدين والإيمان وزناً.

❖ التفكير بالهجرة إلى لندن

لما أغلقت أبواب الدول العربية في وجهي، يممت وجهي جهة الغرب، لعلي أجد مكاناً مناسباً لأسرتي، فقد تهادى إلى سمعي أن بريطانيا فيها مدارس عربية وإسلامية، وسمعت أن فيها مدرسة سعودية وأخرى قطرية وهكذا، قررت أن أسافر مع ابني حمزة إلى لندن وأستكشف الأمر وحدي قبل أن أنقل أسرتي، وفي نفس الوقت كانت لي بعض المهام الدعوية هناك.

في أوائل الكتاب، وذكرت أنه لا علاقة له بالإسلام إلا الاسم وهو كذلك إلى الآن، وأتمنى له من قلبي الهداية = أنه وقف معي وقفة في محنتي المالية هذه لم يقفها معي إلا القلة القليلون، وذلك أن علاقتي به انقطعت لسنين طويلة، وفي هذه المدة من عام **٢٠١٥**م تيسر لي المال لشراء مطبخ ولكن لا خبرة لدي في تركيبه، والغريب أن والديّ كانا على تواصل معه، واتصلا به وأخبراه بالأمر،وذلك لأنه يملك شركة تُعنى بذلك، فجاء الرجل من مسافة **٤٠٠** كيلو متر، ومعه رجال ثلاثة أعوان له، وسكن في فندق لمدة يومين، وقد ظننت أنه سيركب المطبخ فقط، فإذا به يصلح عدة أشياء في البيت واشترى المعدات اللازمة لذلك، وقام بأمور مكلفة مالياً، فاحترت كيف سأدفع له كل هذا؟ تكاليف السفر والفندق والتصليح والمعدات الخ، لكن العجب أنه رفض المال ولم يطلب شيئاً، وفعل كل ذلك مجاناً!

سافرت هناك في شهر أكتوبر من هذه السنة، ولكني وجدتُ أن الأمر ليس بتلك السهولة، ووجدت الحياة هنا غالية جداً ليست بعيدة عن ألمانيا بل أغلى بكثير، وخصوصاً في لندن.

في لندن انتهزتُ الفرصة وزرت مشروع «أكاديمية البحث والمنهج الإسلامي» المعروف اختصاراً ب « IERA» والذي يديره الشيخ عبد الرحيم غرين، وسعدت جداً بجهودهم، كما رتبوا لي خطبة جمعة هناك، ومحاضرة أخرى قريبة من لندن.

وفي الحقيقة: أعجبتني بريطانيا جداً، ووصلت إلى قناعة أن أفضل بلد يمكن للمسلمين أن يعيشوا فيه بحرية في أوروبا هي بريطانيا، لا أعلم بلداً نظيراً لها، حيث المدارس الإسلامية متناثرة، والمسلمون بالملايين من شتى الجنسيات، والحكومة متسامحة معهم إلى حد كبير جداً، والمساجد حدث ولا حرج، والدعوة متاحة، ورأيت الحجاب منتشراً جداً لا أقول في الشوارع العامة بل في مفاصل الدولة والحكومة كالمطار والمستشفى والشرطة ونحو ذلك.

❖ الاستجواب في مطار لندن

فاتني أن أذكر أني حين وصلت إلى مطار لندن أوقفوني لمدة ساعتين، وخضعتُ للتحقيق، وأنا في الحقيقة لا ألومهم على ذلك، لأن المخابرات الألمانية لم تقصر في تخويفهم منّي، وحينما وجهوا لي الأسئلة في التحقيق أجبتهم عن كل شيء بمنتهى الصراحة والوضوح كعادتي دائماً، فقال لي الإنجليز: في الحقيقة نحن لا نعرف ما مشكلة الألمان معك؟ فقد أوصلوا لنا كلاماً مفاده أنك رجل خطير!

فقلت لهم: المعايير تختلف، فمن يراه الألمان خطيراً وداعية إلى العنف والإرهاب = يراه الإنجليز داعية سلام، ثم بعد ذلك تركوني في حال سبيلي.

وبعد سنوات يسيرة، وتحديداً في عام ٢٠١٧م عزمت على السفر إلى بريطانيا مرة أخرى لزيارة صديق لي، وكانت طائرتي تقلع في ألمانيا من مدينة صغيرة ليست من المدن الكبرى الحساسة، وبعد أن أنهيت جميع إجراءات السفر، ولم يبق على صعود الطائرة إلا دقائق، جاءتني الشرطة الألمانية وأخضعوني للتحقيق:

لماذا ستذهب إلى بريطانيا؟

وماذا ستفعل هناك؟ وعند من ستسكن؟ إلى آخر تلك الأسئلة.

ثم إنهم فتشوني مرة أخرى تفتيشاً دقيقاً رغم أنهم قد فتشوني سابقاً مع عموم الناس، ثم تركوني أذهب وبالكاد أدركت الطائرة قبل إقلاعها.

ولما وصلت بريطانيا توقعت أنهم سيعيدون معي نفس التحقيق السابق وأني سأنزل في ضيافة المخابرات البريطانية مدة ساعتين أيضاً، لكن المفاجأة كانت أنهم لم يسألوني سؤالاً واحداً، وتركوني أدخل بسلاسة.

❖ **البروفيسور مهند خورشيد**(١)

أعلم أن أغلب القراء العرب لا يعرفونه، وخيرٌ لهم ذلك، فإنّ هذا

---

(١) من أصل فلسطيني ومواليد بيروت عام ١٩٧١م، بعد انتهائه من الثانوية العامة في المملكة العربية السعودية درس العلوم الإسلامية في جامعة الأوزاعي في بيروت وبعدها درس علم اجتماع الدين في جامعة فيينا في النمسا وحصل منها على درجة الماجستير ثم الدكتوراه ثم عمل في جامعة فيينا في مجال التربية الإسلامية.
وفى عام ٢٠١٠ حصل د. مهند على لقب الأستاذية من جامعة مونستر الألمانية في مجال التربية الإسلامية حيث يعمل هناك أستاذاً ومديراً لمركز الدراسات الإسلامية..
من أهم مؤلفاته التي صدرت باللغة الألمانية:
"الإسلام دين الرحمة"
"الشريعة الإسلامية وكيف سيء فهمها"
الله يثق بالإنسان، مع الإسلام لتأسيس إنسانية حديثة" "

الرجل قد صدرت منه أقوال لا يقول بها أحد من المسلمين، وخالف القرآن والسنة والإجماع في عدة مسائل.

وحتى لا يتشعب الكلام ويطول بنا: الرجل يدعو إلى إسلام جديد يتواكب مع المزاج العام والجو العالمي، إسلام ناعم مقصص الجناحين، ليس فيه عزة ولا أنفة ولا هوية، ووصل به الحال والتمييع والانبطاح إلى أن أنكر عذاب النار وذلك في كتابه المثير للجدل «الإسلام دين الرحمة».

يقول هو في حوار له منشور:

«جهنم ليست إلا مواجهة مع النزوات الذاتية»

ويقول في عبارة أخرى أوضح من هذه وينتقد فيها المسلمين الذين يؤمنون أن النار حق وحقيقة وليست أمراً مجازياً فيقول:

«الفقه التقليدي لم يرَ الجنة والنار في الواقع كمجاز إنما فهمهما فهمًا حرفيًا بوصفهما فضائين ملموسين فيهما القصاص الملموس والسعادة الملموسة»[(١)].

كما يدعو المدعو مهند إلى تفسير القرآن بتفسير جديد ورؤية عصرية، وفي الحقيقة التفسير الجديد هو التفسير الغربي والأمريكي، ولكنه لا يجرؤ على التصريح بذلك.

شارك د. مهند خورشيد فى لقاءات حوار الأديان، حيث التقى البابا السابق بندكت السادس عشر في عام ٢٠١١ وألقى أمامه الكلمة باسم مسلمي ألمانيا وأصدر عام ٢٠١٧ كتاباً مع الكاردينال كسبر، مستشار البابا الحالي للفاتيكان فرنسيس.

في عام ٢٠١٣ زار الرئيس الألمانى يوأخم غاوك مدينة مونستر لزيارة معهد الدراسات الإسلامية الذى يرأسه البروفيسور مهند، مشدداً على ضرورة دعم صورة الإسلام كدين الرحمة «موقع صوت الأمة».

(١) من حوار منشور له على الشبكة أجراه معه «آرنفريد شِنك ومارتين شبيفاك» وترجمه يوسف حجازي.

كما أنه يرى أن النصارى والملاحدة ليسوا كفاراً ويتأول لهم تأويلات مضحكة.

وقد بلغني أن الإخوة المسلمين استطاعوا طرده من النمسا، ثم جاء هنا إلى ألمانيا حيث استعملته الحكومة استعمالاً جيداً وتبرزه كثيراً في وسائل الإعلام وتثني عليه ثناء عطراً ليُفسد ويُغير الإسلام من الداخل، وهيهات، فأنّى له ذلك، والحال أن الله قد تكفل بحفظ دينه.

ولما رأيت أن أحداً لم يتصدَ للرد عليه رداً مفصلاً كما ينبغي ورأيته لم يقبل دعوة المناظرة العلنية التي دعوته إليها = عزمت على الرد عليه في سلسلة محاضرات وصلت إلى **٢٠** حلقة، وبينتُ مخالفته للقرآن والسنة وما عليه المسلمون منذ قرون وإلى الآن، ووضحت أيضاً أنه رجل يتحرى الكذب ويتعمده، ويمتهن التدليس والتلبيس على الناس، ومن طرائف ما وقع فيها - عمداً - أنه استدل في كتاب له بأثر لعمر بن الخطاب ونسبه في الحاشية إلى كتاب «الموضوعات» لابن الجوزي، وكتب بالحروف اللاتينية « Mauduat» دون ترجمة، طبعاً لأن الكتاب باللغة الألمانية فالقارئ الألماني لا يعرف ما معنى موضوعات، ولا يعلم أن كلمة «موضوعات» هي مصطلح في علم الحديث يُقصد به الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ، وبالمقابل عندما نقل من كتب «إحياء علوم الدين» للغزالي، قام بترجمة عنوان الكتاب إلى اللغة الألمانية.

وقد يلومني لائم على إيراد خبر هذا الرجل في هذا الكتاب وأن في ذلك ترويجاً له، وليس الأمر كذلك:

أولاً: الرجل اشتهر في ألمانيا، ومدفوع دفعاً في وسائل الإعلام التي يظهر فيها بشكل متكرر، بل قد مثّل المسلمين في بعض المحافل الدولية.

ثانياً: حتى يعلم القراء العرب كم نعاني نحن الدعاة في أوروبا من خطر هولاء الذين يفسدون الدين من الداخل.

ثالثاً: كي يعلم العرب أيضاً: ما هي النماذج التي يحبها ويفضلها الغرب، إذا أردت أن تعرف من الذي إذا تكلمَ في الإعلام الغربي صفقوا له، وطربوا لقوله = فدونك هذا النموذج، وقس عليه قياساً جلياً.

رابعاً: رسالة أحب أن أبعثها إلى أولئك الدعاة الإسلاميين الذين يريدون أن يجعلوا الإسلام ذا شعرٍ أشقر، وعين زرقاء = مهما فعلتم لن يرضى عنكم الغرب، وهذا مصداق قول الله عز وجل «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم» مهما فعلتم لهم وتنازلتم عن مبادئكم وميعتم لهم الدين تمييعاً وتغنيتم بأناشيد السلام والحب والإخاء والرحمة = فستظلون في أعينهم همجاً رعاعاً عرباً محتقرين إرهابيين لا قيمة لكم ولا وزن، وما نموذج «طارق رمضان» عنّا ببعيد.

وأنا هنا لا أعمم على جميع الأفراد ولكن أتكلم عن الملأ.

❖ عهد الاندماج

في هذه السنة أعني **٢٠١٤**م كثفنا محاضراتنا المفتوحة في الشوارع التي تشبه المظاهرات، واشتد التضييق علينا من جهة الحكومة في إلقاء المحاضرات في المساجد والقاعات،فلذلك صارت محاضراتنا في الشارع هي الأصل.

أضف إلى ذلك أن الحكومة جمعت مدراء المساجد وألزمتهم بالتوقيع على مذكرة «عهد الاندماج»[١] التي يلزمون فيها المسلمين بالاندماج مع الألمان بالصورة التي يريدونها، ووقع عليها غالبهم، وبهذه الطريقة استطاعت الحكومة أن تتدخل في استضافة المساجد للدعاة والمشايخ، فتسمح لمن تشاء وترفض من تشاء بحجة أن هذا الداعية يخالف بنود «عهد الاندماج».

---

(١) و«عهد الاندماج» قد بدأ قبل ذلك في عام **٢٠٠٧**م وعام **٢٠١١**م.

❖ **أعمال شغب المشجعين**

كنا مرة في محاضرة وتفاجأنا بوجود فريق مشجعين كرة القدم، يقال لهم «Hooligans» وهؤلاء القوم معرفون بأعمالهم العنيفة ومشاغباتهم، فلما رأيتهم طلبت من الإخوة تجاهلهم، وعدم التعرض لهم، فبدأوا في التحرش بنا، ورموا علينا الزجاج ونحو ذلك تشويشاً علينا، فجاءت الشرطة قبل أن يخرج الأمر عن السيطرة، واشتبكوا معهم وتضاربوا وسجنوا بعضهم.

في الحقيقة لقد استغربنا من وجودهم لأن محاضرتنا لا علاقة لها بالكرة لا من بعيد ولا من قريب، حتى أني شككت أن يكون هؤلاء قد أُمروا أمراً لحضور محاضرتنا، وأسررت بهذا الأمر لصديقي «أبي آدم الألماني»، فلما ذكرت له ذلك روى لي ما يؤكد شكوكي فقال:

«لمحتُ أحد هؤلاء المشجعين وعرفته جيداً، فهذا الرجل حاول مرة الهجوم علي أنا وأسرتي في عام **٢٠١٠**م في مدينة «منشن لادباخ» وكان هذا الرجل معه سبعة رجال، فهربت إلى البيت وأغلقت الباب، وكان باب بيتي من زجاج، فكسروا الباب، وأرادوا ضربي، وقد تركت زوجتي في السيارة وأغلقت عليها الباب.

كنت متوتراً ومرتبكاً لاسيما أن عددهم سبعة، وبينما نحن كذلك إذْ شاهدنا رجلٌ ألماني من الجيران ينظر من النافذة في الشارع المقابل، ورآني على هذه الحال المتشنجة القلقة فقال ساخراً ومستهزئاً بي:

«أين الله الآن؟ أين هو؟ دعه ينقذك من ورطتك هذه!»

وما كاد الرجل يتم كلامه حتى مرّ مجموعة من الإخوة المسلمين مصادفةً ورأوا ما يحدث، وأن هؤلاء المتطرفين العنصريين يريدون الإضرار بي، فتدخلوا في اللحظة الحاسمة وضربوا هؤلاء العنصريين وفرقوا جمعهم»

بعد ذلك أصبحنا كلما ألقينا محاضرة مفتوحة في الشارع في مدينةٍ ما =

نجد هؤلاء المشجعين العنصريين أمامنا، لأجل الصراخ والتشويش والشغب، وهنا ازدادت شكوكي أن هؤلاء مدفعون دفعاً للتشويش علينا، لكن من الذي دفعهم؟ العلم عند الله ولكني أظن أن المخابرات لهم يد في ذلك، ثم بعد سنوات مات زعيمهم فكتب في الجريدة أن زعيم ومؤسس Hooligans كان يعمل مع المخابرات.

❖ اعتقال أبي آدم الألماني

في هذه الفترة العصيبة اعتقل أخي أبو آدم حسين الألماني «سفين لاو» بتهمة الإرهاب، ونظمنا مظاهرات تنديد ضد هذا الاعتقال، وبيّنا للرأي العام براءته من هذه التهمة.

وقد تفاجأنا هذه المرة ليس بوجود فريق تشجيع واحد، بل ثلاث مجموعات تشجيع، لثلاث فرق، والعجيب أن هذه الفِرَق الثلاث بينهم من العداء والشحناء والبغضاء ما لا يعلمه إلا الله، كالعداء الموجود بين «الزمالك» و«الأهلي» ومع ذلك كانوا صفاً واحداً يهتفون ضدنا في المظاهرة، وزاد الطين بلة أن انضم معهم أعداء الأمة على مر التاريخ وهم الشيعة الروافض.

وكلما قلنا كلمة للدفاع عن أبي آدم والدفاع عن أفكارنا ودعوتنا = صرخ الرافضة يقولون «لا تصدقوهم، إنهم لكاذبون»!

كانت الرافضة والعنصريون كلهم صفاً واحداً ضدنا.

وكان الروافض يشتموننا بأقذع الألفاظ التي أستحيي في الحقيقة من إيرادها لكم كما قالوها لنا، فمثلاً كانوا يقولون لنا «أنتم كلكم أولاد زنا وعهر» ونحو ذلك، وكل ذلك موثق ومسجل بالصوت والصورة.

ثم إننا قرأنا القرآن على المنصة، لعل ذلك يجلب الهدوء والسكينة على

الأقل من الروافض المنتسبين للإسلام، لكن العجب أن ذلك لم يسكتهم وأخذوا يصرخون ويرفعون أصواتهم ويخرجون من أفواههم ذاك الصوت الذي تخرجه الجماهير بشكل جماعي حينما يتحدث الشخص بكلام غير مرغوب فيه، ويريدون إسكاته!

وكانوا يرددون هتافات بأصوات عالية وقد عصبوا رؤوسهم بشعار حزب الله اللبناني، ويقولون:

«ياحسين.... ياعلي.... يا حسين....يا علي...»

وكانوا يقولون أيضاً لنا:

«الكنيسة في برلين، والمسجد في إسطنبول»

وذلك إشارةٌ منهم إلى أنه لا مكان لكم أيها المسلمون هنا في ألمانيا وأوروبا.

❖ صحفية تدافع عن أبي آدم الألماني

كانت هناك سيدة ألمانية صحفية اسمها «دلهاس» «وهي مسيحية» وظهر لها بجهودها الخاصة أن كل الأقاويل التي قيلت عن أبي آدم ما هي إلا أباطيل وأكاذيب، وبالطبع انتشر كلامها وعلم به الناس وتناقلوه.

وبفضل الله عز وجل أولاً ثم بفضل مظاهراتنا ثانياً ثم بفضل جهود هذه الصحفية الألمانية المسيحية المنصفة ثالثاً = أُطلق سراح أبي آدم وخرج حراً طليقاً من السجن، والحمد لله رب العالمين.

❖ الانتقال إلى مدينة «هامبورغ»

عرض علي أحد الأصدقاء فكرة الانتقال إلى مدينة «هامبورغ» التي تعد أكبر مدينة في ألمانيا بعد العاصمة «برلين»، ورتب لي هذا الصديق مع مسجد

من المساجد هناك بحيث أتمكن من إلقاء المحاضرات فيه، والمميز في «هامبورغ» دون غيرها من المدن ما يلي:

أولاً: من حيث الموقع والجغرافيا كما ذكرت لكم هي أكبر مدينة بعد العاصمة، وسادس أكبر مدن الاتحاد الأوروبي، إذن هي مدينة مهمة جداً.

ثانياً: عدد المسلمين فيها كبير جداً وليس بالهين.

ثالثاً: لنا فيها أتباع لدعوتنا كثيرون ولله الحمد.

فأراد صديقي المذكور أن أنتقل إليها وأحصر دعوتي فيها وأركز جهدي عليها، فانتقلتُ في هذه السنة وتحديداً في **٢٣** يوليو من عام **٢٠١٤**م إلى شقة صديقي في «هامبروغ» وقد تكفل هو بدفع أجرتها.

مكثنا أنا وأسرتي في هذه الشقة أياماً لأجرب العيش فيها، وبرغم أن الشقة صغيرة على ستة أشخاص حيث كان مساحتها **٧٨** متر مربع فقط إلا أن أسرتي ارتاحت فيها نسبياً رغم أن شقة جدتي التي كنا فيها أوسع وأشرح، ولكن وجدنا مصلحة دعوية في انتقالنا إلى هذه المدينة والسكن فيها، حيث سأتمكن - بعد انقطاعٍ لسنين - أن ألقي درساً أسبوعياً في بيت من بيوت الله، فقد اشتقتُ لدروس المساجد التي حُرمنا منها.

❖ ظهور داعش واشتهارهم في الغرب

قبل أقل من شهر من استقراري في «هامبورغ» وهو الأمر الذي ساء كثيراً أعداء الدعوة وساء المخابرات الألمانية تحديداً، أقول قبل أقل من شهر وتحديداً في العاشر من يونيو = سيطرت داعش على مدينة «الموصل» في العراق، وأصبح الحديث عن داعش هو الشغل الشاغل لوسائل الإعلام في كل مكان وفي ألمانيا بطبيعة الحال، وكما أشرت قبل قليل: إن انتقالي إلى «هامبورغ» وتفرغي للدعوة فيه بعد أن كنت أسكن في قرية نائية منزوية حيث

شقة جدتي وتوفيق الله لي على إقناع الألمان بسهولة للدخول في الإسلام = هذا الأمر ساء الخصوم والأعداء كثيراً، ولما تزامن ذلك مع بروز وظهور اسم «داعش» بقوة على الساحة = استُغل ذلك ضدي استغلالاً جيداً، وإليكم القصة بالتفصيل:

بعد استقراري في «هامبورغ» وبزوغ اسم «داعش» بدأ الإعلام الألماني بالتحريض ضدي شخصياً، واستعملوا وسائل كثيرة لتخويف الناس مني وتشويه سمعتي والنيل مني، وتصويري على أني داعية إرهاب وعنف.

بدأت النار تشتعل أكثر حينما قامت داعش في **١٤** من أغسطس **٢٠١٤**م بعد سقوط الموصل وبعد سقوط مدينة «سنجار» الإيزيدية بيد المسلحين= بقتل المئات وسبي أعداد كبيرة من النساء والأطفال وكذلك هجرة الآلاف منهم من مدنهم وقراهم فراراً من بطش تنظيم داعش!

هذا الخبر أحدث ضجة كبيرة في ألمانيا، وأخذ الإعلام الألماني يأخذ ويعطي ويبدئ ويعيد فيها، وفي هذه الفترة نفسها ظهر رجل سياسي من حزب « FDP» وتكلم عبر صفحته في الفيس بوك أننا نحن الذين نرسل الشباب إلى العراق لينضموا إلى داعش ويشاركوا في عمليات الإبادة الوحشية هذه.

ثم ظهرت أيضاً صحيفة «فوكوس FOCUS» وكتبت مثل هذا أيضاً، بل قامت الجريدة بفعل شنيع عارٍ عن المهنية والموضوعية، وامتطوا مطية الكذب والتدليس على الناس والتزوير، فنشروا صورةً في جريدتهم، صورة للقتلى الذين قُتلوا على يد تنظيم «داعش» ثم وضعوا في الصورة نفسها على الزاوية صورتي وصورة الصديق أبي آدم الألماني، وكتبوا «هؤلاء هم الذين يجندون الشباب لداعش في ألمانيا!»

وكما نعلم أن «داعش» قتلت عدداً كبيراً من الإيزيدية والأكراد، وفي ألمانيا الألوف من هذين الصنفين، وكان الإعلام الألماني يضرب على هذا الوتر الطائفي كثيراً، كي يثور الأكراد والإيزيديون ضدنا!

وأنا لا أعمم في كلامي على الأكراد، وإنما أقصد صنفاً منهم، خصوصاً أتباع المدعو «عبد الله أوجلان» المؤسس الأول والقائد لحزب العمال الكردستاني الذي أسس منظمة مسلحة، وحُكم عليه بالإعدام في تركيا ثم خفف إلى السجن المؤبد، وتصنفه ألمانيا نفسها وغيرها من دول العالم الأول على أنه رجل إرهابي وجماعته كذلك وهم كثيرون جداً في «هامبورغ»، والعجيب أن أتباعه في ألمانيا بالألوف، وتسمح لهم الحكومة بحرية التحرك والتظاهر ضد تركيا مثلاً، ويرفع أتباعه في المظاهرات صوره عالياً في شوارع ألمانيا،مع أنه ممنوع حسب القانون الألماني.

❖ **الإعلام يكشف عنوان بيتي للناس**

بعد أن فرغوا من تحريض أطياف وأصناف من الناس ضدي، فحرضوا النازيين والمتطرفين والعنصريين والأكراد والإيزيديين وغيرهم، قاموا بعمل شنيع لا يمكن تفسيره بتفسير حسن، كشفوا مكان سكني لعموم الناس.

طبعاً ومن المعلوم أنه لا يجوز قانونياً لأي جهة إعلامية أن تكشف للناس عن مكان سكنك إلا بعد موافقتك، ولكنهم كي يتخلصوا من هذا الحرج، ماذا فعلوا؟!

التقط الصحفيون صورةً لي وأنا أهم بالدخول إلى بيتي، وظهرت في الصورة رقم «الشقة» ونشروا هذه الصورة، بحيث إذا اعترضت عليهم كيف تنشرون موقع بيتي دون إذني؟ فلهم أن يقولوا نحن لم نقصد ذلك، وإنما قصدنا التقاط صورة لك، فظهر رقم «الشقة» بالخطأ.

بعد نشر الصورة بمدة وجيزة:

اتصل بي أخ من مدينة «هنوفا» - وكان لا يعرف أين أسكن بالضبط - فقال لي:

- هل أنت تسكن في مكان كذا وكذا، وذكر لي مكان شقتي بالضبط.
- فقلت له: نعم، وكيف عرفتَ ذلك؟
- فقال: حين رأيت صورتك في الجريدة، ورقم الشقة، لم يستغرق مني البحث عبر النت إلا ٤ دقائق.

❖ منعي من دروس المسجد

بدأت وتيرة الأحداث تتسارع، وأبلغتني إدارة المسجد الذي كنت أريد أن ألقي فيه دروساً أسبوعية بأني لن أستطيع ذلك واعتذروا مني، وللأمانة والإنصاف: فإني ما رأيت من هؤلاء الإخوة القائمين على المسجد إلا كل خير وود واحترام، ولكنّ الضغوط كانت كبيرة عليهم، والتحريض ضدي كان مستمراً ومتصاعداً، وقد صرح لي الإخوة أن طلبهم هذا لم يكن نابعاً من كرههم لي أو نحو ذلك، بل كانوا معي قلباً وقالباً - كما قالوا - ولكن الظروف الأمنية ومصلحة المسجد فوق ذلك، فتفهمتُ موقفهم جداً وتقبلته، وأسأل الله أن يعوضني خيراً.

فلما رأيت ما آلت إليه الأوضاع، وصار الغرض الذي لأجله انتقلت إلى «هامبورغ» معطلاً،ولم أستطع أن ألقي درساً في المسجد، ولم يتضح لي هل سيدخل ولدي في مدرسة جيدة أم لا، وكانت الشقة صغيرة جداً =بدأت في التفكير بالانتقال والعودة إلى مدينتي وشقة جدتي بمدينة «باركهايم» فاستخرت الله.

❖ إشاعة تعنيف ابني

في أثناء ترددي وتفكيري في ترك «هامبورغ» ذهبت إلى شقتي القديمة في «بركلن» حيث شقة جدتي، وذلك لآخذ بعض الأمتعة.

وبينما أنا وأسرتي بعيداً في «باركهايم» = اتصل بي صديق من

«هامبورغ» وأخبرني بأنه جاءت الحكومة ممثلة في أفراد من منسوبي «شؤون الأطفال والشباب» وسألوا الجيران عني وعن كيفية تعاملي مع أولادي، وذلك أنهم وصلتهم إشاعة مكذوبة مفادها: أن أحد المارة شاهدني أمشي مع ابني وعلى وجهه آثار كدمات وضربات! وكل ذلك كذب مضحك وسخيف.

وكان الرجل المحقق يريد أن يتثبت لأنه إذا ثبت ذلك فسيسحبون مني أولادي.

حين وصل إليّ الخبر رأيت أن هذه لعلها إشارة من الله عز وجل أن غادر هذه المدينة فهي لا تصلح لك.

❖ العودة إلى شقة جدتي

لما عدت إلى شقتي السابقة وهي شقة جدتي، والتقطت وسائل الإعلام صورة أخرى لي تبين أني رجعت إلى «بركهايم» حيث شقتي السابقة، شعر صديقي إبراهيم توماس أن سلامتي وسلامة أسرتي مهددة، ولا بد من أخذ جميع الاحتياطات الأمنية، فجاءت فكرة وضع أجهزة حماية أمنية لبيتي، وهذا في الحقيقة مكلف ولا مال لي لذلك.

❖ الحماية الأمنية

قرر «إبراهيم توماس» أن يجمع مالاً من الإخوة لشراء أجهزة الحماية الأمنية لبيتي، وقد كان هذا الاجتهاد منه دون علمٍ مني، فوضع إعلاناً في النت لجمع التبرعات لأجلي، وتمكن من جمع المالِ الكافي.

علمت وسائل الإعلام باجتهاد الأخ توماس ونشرت خبراً ساخراً بعنوان «الداعية الألماني أبو حمزة خائف، وهو يجمع تبرعات لحماية نفسه» بهذا المعنى!

حين بلغني الخبر عاتبت توماس على ذلك وقلت له: كيف فعلتَ ذلك دون إذنٍ مني؟

فقال: حمايتك وسلامتك فوق كل شيء، ثم إني لو استأذنتُك فلن تأذن لي، ولم أجد طريقة أخرى لجمع المال إلا هذه الطريقة.

اشترى لي الأخ إبراهيم توماس من هذا المال أربعة أشياء:

١ - كاميرات مراقبة.

٢ - حامي للزجاج الخارجي من الكسر.

٣ - وجهاز يرصد صوت أي حركة داخل البيت وحواليه.

٤ - وجرس إنذار مزعج عند حصول طارئ.

وزد على ذلك أمراً خامساً كان باجتهاد مني وهو:

٥ - اشتريت سلاحاً شخصياً قاتلاً، وهذا السلاح مرخص من الدولة.

والذي دعاني إلى وضع السلاح في بيتي هو أن هؤلاء المجرمين أعني النازيين والهولقنز «المشجعين العنصريين» والأكراد من أتباع جماعة «عبد الله أوجلان» الإرهابية = ليسوا بمأموني الجانب، والأخيرون قد اقتحموا مرة مركزاً للشرطة في مدينة «هنوفا»! فما ظنك بما سيفعلون مع رجل أعزل يعيش في قرية مع أسرته مثلي؟ لا سيما أني قرأت في مواقعهم كثيراً يدعون إلى قتلي والتخلص مني بكل صراحة.

كان منزلي قد تعرض للتفتيش من قبل الشرطة ثلاث مرات، مرة في ٢٠٠٨م ومرتين في ٢٠١٠م وعادوا خائبين بحمد لله ولم يرجعوا بشيء، وقد اعتدتُ منهم أنهم لا يقومون بالتفتيش إلا من بعد الساعة السادسة صباحاً، هذه عادتهم في المرات الثلاث، وكان التفتيش يتم بطريقة هادئة حيث يرنون الجرس ويدخلون بإذن، وليس على طريقة الهجوم والمداهمة.

في هذه الأيام كنت أتحدث مع صاحبي عبر الهاتف، وأنا أعلم أن

جميع اتصالاتي مراقبة، وذكرت له عمداً أن بيتي مزود بأجهزة الحماية، وذكرتُ له عمداً أن التفتيش في العادة يكون بعد السادسة صباحاً، وذكرتُ أيضاً في المكالمة أنه إذا دخل علي أحدٌ قبل السادسة فإني لن أتردد في الدفاع عن نفسي، لأنه لن يكون شرطياً.

وكانت عادتي في هذه الأيام أني أسهر الليل لحماية أسرتي ولا أنام، وأستغل هذا الوقت في القراءة والمذاكرة ونحو ذلك، لكن صادف مرة أني نمت على خلاف العادة.

وبينما أنا نائم إذ سمعت صوت كسر قوي وارتطام جسم بالباب، ورن جرس الإنذار بقوة في البيت، فقمتُ فزعاً من النوم وهرعتُ مباشرة إلى سلاحي، فإذا أنا برجل واقف أمامي، ولم أتبين في بادئ الأمر من هو وما هو، وما كان بين أن أرميه وأرديه قتيلاً إلا ثانية واحدة، في هذه اللحظة الأخيرة = دققت في الرجل فتبين لي أنه شرطي!

وأنه - على خلاف العادة - اقتحم منزلي بهذه الطريقة الجنونية وكأنه يبحث عن مجرم خطير، وكأنه لا يعلم أنه لو طرق عليّ الباب لفتحته له ورحبت به بكل سهولة، كما حصل ذلك في المرات الثلاث السابقة.

حين اكتشفت أنه شرطي، مباشرةً ودون تردد، وضعتُ سلاحي على الأرض، واستدرتُ إلى الجهة العكسية للشرطي وأعطيته ظهري وقفايَ، ثم استلقيت على الأرض كهيئة المستسلم وأنا أردد من أعماق قلبي:

«ربِ إني مغلوب فانتصر»

«لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»

حين رددت هذا الكلام العظيم من القرآن الكريم = أنزل الله السكينة على قلبي، وشعرت بالهدوء والثبات والوقار، وبدأت أشعر أني أقوى منهم وأنهم هم الخائفون مني.

ثم أخذت أناقشهم.

وقد كان أفراد الشرطة على عكس حالتي، حيث بدا عليهم التوتر والارتباك وكانوا يلهثون وتتسارع أنفاسهم بسرعة كهيئة من جرى لمسافات طويلة.

وقد يقول قائل: لماذا أعطيته ظهرك؟

فالجواب: أني قلت في نفسي إنّ هؤلاء لا أستبعد منهم أي شي، فخشيت إن أنا بقيت على حالتي مواجهاً له وجهاً لوجه = أن يطلق عليّ النار، ويدّعي بعد ذلك أنه كان يدافع عن نفسه وأني قد هجمتُ عليه، أما إذا أعطيت ظهري ورمى علي النار فليس هناك مجال للقول بأني كنت أهجم عليه، وهذا قريب من فكرة وقصة قميص يوسف مع امرأة العزيز.

بعد دقائق جاء كبير أفراد الشرطة وقال لي:

- سيد بيير فوجل، في الحقيقة نحن لم نأتِ بحثاً عنك ولا طلباً لك، وإنما في الحقيقة جئنا بحثاً عن أبيك، الذي - كما تعلم - ينتسب إلى عصابة «هلس إنجلس».

طبعاً هذه حجة مضحكة واعتذار بارد، وأترك للقارئ المنصف حرية الحكم،هل هذا الكلام مقبول منطقياً أم لا؟

إنّ الشرطة والأجهزة الأمنية تراقب كل صغيرة وكبيرة وهمس ونفس يخصني، وهم يعلمون علم اليقين أنّ أبي ليس عندي في البيت وقتها، ويعلمون يقيناً أنه يسكن في مكان آخر، وأنهم ألقوا عليه القبض في اليوم نفسه والوقت ذاته،بل لو قلت إنهم يعلمون مقاس ملابسه الداخلية لم أكن مبالغاً، فعلى من يضحكون؟

وقد قام أفراد الشرطة أثناء الاقتحام بتدمير جميع الأجهزة الأمنية الأربعة التي وضعتها لحمايتي، إضافة إلى ذلك أنهم حطموا باب البيت الرئيس.

والعجيب أن أحد الجيران ذكر لي أنه رأى بعض وسائل الإعلام تقف أمام بيتي وتصور البيت قبل اقتحام الشرطة بنصف ساعة! فكيف يمكن تفسير ذلك؟

❖ أين المسلمون؟!

بعد هذه الحادثة وتتابع الأحداث تنامى لدي شعور أني أصارع وحيداً، فلم يقف معي أحد ولم يواسني أحد ولم يعضدني أحد إلا الله عز وجل ثم بعض الأصحاب المقربين وهم معدودون على الأصابع، وأخذتُ أتساءل من أعماق قلبي وأقول:

أين المسلمون؟!

أين الأتباع والألوف المؤلفة؟

أين الجماهير التي كانت تهتف معي في المحاضرة بكلمة «الله أكبر»؟

أين الذين يدّعون محبتي ويوقفونني في كل مكان لالتقاط صورة معي؟

لقد علمت هنا أن الأتباع مجرد سراب ووهم، يهتفون معك ويعطونك من أعذب الكلام حينما تكون أنت في الرخاء والسراء، وأما حين تأتي الشدة والضراء والمحن والفتن والابتلاءات فإنهم يفرون منك ولا يبقى لك إلا الله عز وجل ثم رجال قليلون جداً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وعلموا أن الأيام دولٌ، فيوم لك ويوم عليك ويقفون معك في السراء والضراء، والحمد لله أن الإنسان يجب عليه أن يخلص النية لله في دعوته، وأن الأجر ليس من الناس بل من الله، والآخرة خير وأبقى.

كم خجلتُ من نفسي وخجلتُ على حال المسلمين حينما يأتي جاري النصراني الألماني كي يتبرع ويتطوع بإصلاح باب بيتي المكسور بنفسه، بينما يتفرج المسلمون على ما أصابني دون أن يحركوا ساكناً، ولسان حال كل واحد منهم «نفسي، نفسي».

هل هذه هي أخوة الإيمان والإسلام!

ثم ليت هؤلاء المسلمين كفوا شرهم وخيرهم عني، بل إن بعضهم حين علم بأني أسعى إلى حماية نفسي كان يقول:

«أين التوكل على الله؟»

فقد توهم أن الأخذ بالأسباب الكونية ينافي التوكل على الله، وهذا مسلك صوفي، لا يصدر إلا من جاهل بالشريعة.

«اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى قريب ملّكته أمري إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك لك الحمد حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلى بك»

❖ إصابتي بمرض الصرع

في شهر نوفمبر من عام ٢٠١٤م بينما كنت نائماً على سريري أصبتُ بحالة الصرع، وهذا المرض في الحقيقة قديم فيّ ولست أدري هل كان موجوداً قبل إسلامي أم بعده، ولكنه كان خفيفاً جداً أشبه بالمعدوم، لكن في هذه المرة حين أتاني الصرع بصورة عنيفة، فأخذت أرعد وأزبد وأنتفض ويخرج الزبد من فمي، وعضضت لساني بشدة وأصدر صوتاً يشبه صوت المخنوق، وكان يُخيل إليّ أني أرى الشيء وأنا لا أراه، وقد دخلت على إثر ذلك المستشفى لمدة أسبوع، ومُنعتُ من قيادة السيارة لمدة ستة أشهر، والحمد لله على كل حال.

❖ محاولة اقتحام بيتي مرة أخرى

بعد شهرين تقريباً من حادثة الاقتحام هذه التي رويتها لكم اتصل بي رجل تونسي، ضخم جداً، طوله متران، ووزنه ١٦٠، وذكر لي أنه يبحث عن شقة ولا مكان له ليبيت فيه، وطلب أن ينام عندي، وقد أردتُ أن أفعل له خيراً من باب التعاون والأخوة، وسألته عن رأيه في داعش وأمور أخرى فنفى أن تكون له صلة بهم أو أن يؤيدهم.

فجاءني يوم الخميس ومكث معي إلى يوم الإثنين، وفي ليلة الثلاثاء صدر أمرٌ بإلقاء القبض عليه، وجاءت الشرطة وأرادت أن تقتحم بيتي بالطريقة نفسها التي اقتحمت بها في المرة الأولى.

وقدر الله عز وجل هذه المرة بأني كنت جالساً لا نائماً، فلما هجموا على الباب فتحته لهم مباشرة بعد أن كسروا الباب كما كسروه أول مرة، واستدرتُ إلى الوراء تماماً كما فعلت وشرحت لكم في المرة الأولى.

وألقوا القبض على الرجل ووجهوا له تهمة أنه ينوي «مجرد ينوي» السفر إلى سوريا، والقتال مع «جنود الشام».

وأنا هنا أتساءل سؤالاً ساذجاً:

إنّ الرجل يتجول في ألمانيا وفي مدينة «بون» تحديداً حراً طليقاً لمدة شهور تحت مرأى ومسمع من الناس ومن أجهزة الأمن والشرطة، فلماذا لم يصدر الأمر باعتقاله إلا حين بات عندي؟

❖ اعتقال أبي آدم الألماني للمرة الثانية

في شهر ديسمبر من هذه السنة **٢٠١٥**م وبكل أسى وألم صدر الأمر باعتقال أبي آدم حسين الألماني «سفين لاو» ووجهت له تهمة دعم «جيش المهاجرين والأنصار» في سوريا.

فمن هو الصديق أبو آدم الذي تكرر اسمه في هذا الكتاب كثيراً؟
لقد آن الأوان لتعرفوا جيداً من هو هذا الرجل:

❖ سيرة أبي آدم الألماني

اسمه قبل الإسلام: «سفن لاو» ويصغرني بسنتين، وأسلم قبلي، وهو أساساً من مدينة «منشنجلادباخ»

تزوج أبو آدم مرتين، تزوج بسيدة ألمانية وأنجبت له طفلين، ثم طلقها، فتزوج بسيدة مغربية وأنجبت له ثلاثة، فالمجموع خمسة أولاد وهم: «آدم ونوح ويوسف ومحمد وعثمان»

كان قبل إسلامه رجلاً عادياً -كما يقولون- وكان يعمل في «إطفاء الحريق» ولما أسلم وأطلق لحيته لم يستطع الاستمرار في العمل بسبب لحيته، فاستقال من العمل.

ومن عجائبه وغرائبه أنه مكث برهةً من الدهر أول إسلامه لا يدري أن قضاء الحاجة يوجب الوضوء فقط ولا يوجب الغسل، وقد فهم خطأً أنه يجب عليه أن يغتسل بعد كل قضاء للحاجة، والتزم بذلك ومكث على ذلك زمناً حتى تبين له خطأ هذا، ولك أن تتخيل المشقة التي لحقته بسبب ذلك، حتى إنه كان ربما يضظر للاغتسال في الحمامات العمومية.

تعلم العربية في بروكسل عام **٢٠٠٩**م ثم سافر معي إلى مصر وتعلم العربية والشريعة في الإسكندرية كما تقدم.

وهو رجل رقيق القلب، سريع الدمعة[١]، مفعم بالعاطفة الجياشة، يتأثر

---

(١) كنت معه مرة في السيارة في «بروكسل»، وكان يبكي لأن عمه أو خاله- الشك مني- ليس مسلماً، فقلت له ادع الله له بالهداية، وكان صائماً ففعلَ،واستجاب الله دعاءه وأسلم الرجل بعدها، ولله الحمد.

لأدنى شيء، ويغلبه البكاء كثيراً على أحوال المسلمين ويتألم لذلك، وكان ديدنه ومواعظه تدور حول الترغيب والترهيب والرقائق والزهد والتعلق بالله واليوم الآخر، وأنا أشهد أنه رجل من المخلصين الصادقين الناصحين، أحسبه كذلك والله حسيبه.

وأما قضية اعتقاله للمرة الثانية فأعتبرها زوراً وبهتاناً فخبرها أن أبا آدم رجلٌ يتألم كثيراً لقضايا المسلمين في كل مكان ويريد أن يغيثهم بكل ما يستطيع، فلذلك سافر إلى «بورما» للإغاثة، وسافر أيضاً إلى سوريا ولكن ليس لأجل القتال مع المجاهدين بل لأجل العمل الإغاثي كتوزيع الدواء والغذاء ونحو ذلك، وهذا ما أعرفه عنه كما أخبرني به.

والعمل الإغاثي ليس جريمة بل عمل إسلامي إنساني شريف ونبيل.

وقد وجهت لأبي آدم تهمتان:

١ - أنه سافر إلى سوريا لدعم العناصر المقاتلة.

٢ - أنه التقى برجل لبناني في العمرة عام **٢٠١٣**م، وتزعم المخابرات أن أبا آدم أرسله إلى سوريا، وهذا في رأيي كذب محض.

وقامت الأجهزة الأمنية باعتقال الاثنين أعني أبا آدم، وهذا الرجل الذي التقى هو به في العمرة، وقد كنت أنا معتمراً معه في تلك السنة نفسها.

بعد أيام من اعتقاله سألوه:

هل أرسلك أبو آدم إلى سوريا؟

فأنكر الرجل ذلك في أول الأمر.

بعدها بزمان طويل، ولا ندري في الحقيقة ماذا فعلوا معه وماذا قالوا له في الكواليس، بعدها بأيام جاؤوا بالرجل مرة أخرى وسألوه:

هل أعطاك أبو آدم رقماً لأحد المجاهدين في سوريا كي تلتحق بهم؟

فقال الرجل: نعم.

وفي اليوم التالي مباشرةً أطلقوا سراح هذا الرجل الذي من المفترض أنه سافر للقتال! وظل أبو آدم معتقلاً رغم أنه لم يقاتل! وكأنهم أرادوا منه فقط أن يشهد ضد أبي آدم، فلما شهد زوراً وأدّى دوره المطلوب - شعر بذلك أم لم يشعر - أطلقوا سراحه، ولم تعد لهم به حاجة.

وينبغي أن نعلم أنه في تلك الفترة كان الذهاب إلى سوريا أمر ميسور ولا يحتاج هذا الرجل إلى وساطة أبي آدم ولا غيره، وكانت هناك مواقع وصفحات على الفيس بوك وغيره توضح طريقة الدخول إلى سوريا، فما عليه إلا أن يحجز إلى إسطنبول ومنها إلى «غازي عنتاب» وهناك سيجد من يوصله إلى الداخل.

ثم هذا الرجل الذي زعموا أنه ذهب بأمر من أبي آدم وتنسيق معه = لم يكن على علاقة وطيدة ولا قوية مع أبي آدم، فكيف له أن يفاتح أبا آدم في موضوع حساس كهذا ويثق به بهذه السهولة؟ دون أن يخاف أن يكون أبو آدم يعمل مع المباحث مثلاً؟

وفي تفاصيل التهمة الموجهة لأبي آدم وحيثياتها لا يملك الإنسان إلا أن يعجب ويضحك، فقد قالوا له:

- إنك دعمتَ جيش «المهاجرين والأنصار» في سوريا بمبلغٍ قدره **٢٥٠** يورو
- وأعطيتهم جهازاً كاشفاً في الليل
- وأعطيتَ الرجل المذكور «الذي شهد ضدك» رقماً لأحد أفراد جيش «المهاجرين والأنصار».

وكل هذه الدعاوى والمزاعم لا دليل عليها ولا برهان!

ولو فرضنا أنها صحيحة جدلاً، فهل العقوبة التي أنزلوها به توازي حجم التهم الموجهة له؟

على كل حال سُجن أبو آدم ظلماً - في رأيي- وهو يكمل الآن عامه الثاني -وقت كتابة هذه السطور- رهن الاعتقال[1]، ويسمحون لأسرته بزيارته مرة كل أسبوعين.

❖ حضور محكمة أبي آدم

هذا الحدث حصل عام **٢٠١٧**م وكان ينبغي ذكره هناك، ولكني آثرت ذكره هنا مع سيرة أبي آدم كي تكون القصة واحدة متصلة.

جاءتني دعوة بحضور المحكمة وأن أكون شاهداً على براءة أبي آدم.

ترددت في أول الأمر لأن إجابة الدعوة إلزامية، ولكن الإجابة على الأسئلة ليست إلزامية: فإما أن أسكت عن كل الأسئلة أو أجيب على الكل، واستشرتُ المحامي فقال لي:

«هذا خطر عليك، لأنهم سيوجهون لك أسئلة كثيرة، وعليك أن تجيب، ثم قد يحورون في الكلام ويتلاعبون بالقضية، ويقلبون الأمر ضدك، ويتهمونك أنت بالأرهاب»

لكن كلام المحامي لم يؤثر فيّ، ورأيت أنه من الخذلان لأخي وصاحبي وصديقي أن أتركه يصارع الظلم وحده وأنا أتفرج وأنام مع أسرتي في البيت، فقد أتيحت لي الفرصة أن أنصره بشهادة الحق، ولعل الله ينفعه بذلك، فجاهدتُ نفسي واستعنتُ بالله وقلتُ لا بد من أن يتخذ الإنسان موقفاً وقراراً شجاعاً في مثل هذه الحالات،لا سيما أن أكثر الإخوة الذين طُلب منهم أن يشهدوا له رفضوا الكلام.

ذهبتُ إلى المحكمة مرتين.

---

(١) ثم أفرج عنه أثناء تحرير مادة الكتاب، كما تقدم.

ولاحظت من خلال أسئلتهم أن الغرض لم يكن بهدف الإدلاء بشهادة قد تنفع أبا آدم وتكشف بعض حيثيات القضية، أعني أن الأسئلة لم يكن الهدف منها نفع أبي آدم ولا استقصاء كل ما يتعلق بالقضية، بل لاحظت أن الأسئلة كلها كانت تهدف إلى الإيقاع بي، وتوجيه تهمة الإرهاب لي.

فمثلاً من الأسئلة المستفزة التي وجهوها لي:

- ماذا قلت في الهاتف لأبي آدم عام ٢٠١٤م بعد محاضرة لك في مدينة «منش لادباخ»؟

فقلت لهم:

أنا اتصلت بأبي آدم منذ أن عرفته آلاف المرات، فكيف لي أن أتذكر ماذا قلت له في تلك المكالمة بعينها؟!

طبعاً هذه طريقة معروفة في المرافعات، فهم يعرفون مسبقاً الكلام الذي قلتُه أنا ونسيته بطبيعة الحال، ولكنهم يوجهون لك هذا السؤال وينتطرون منك أن ترتبك أو تخاف أو تتوتر، وقد تضطر إلى اختراع كلام من نسج خيالك وتكذب كي تخرج من الموقف، المهم أنهم يريدون أن يشاهدوا ردة فعلك، فلما أجبته بأني لا أتذكر قالوا لي:

- لقد قلتَ لأبي آدم في هذه المكالمة إنّ الذين يقاتلون في سوريا إنما ينشدون الحرية! من كنت تقصد بكلامك هذا؟ من هم الذين يقاتلون لأجل نيل الحرية؟

فقلت لهم: إنّ كلامي كان عاماً ولم أحدد جماعة معينة، ولم أقصد بذلك فئة معينة، بل قصدت عموم الناس والشعب الأعزل الذي يقاتل بشار الأسد وأنه إنما يقاتل لنيل الحرية، وهذا الكلام قد كنتم تقولونه أنتم أيضاً في بدايات الثورة السورية من عام ٢٠١١-٢٠١٢م.

هذا مجمل ردي عليهم، ومعلوم لكل متابع ومراقب أن الثورة السورية

في أولها كانت نزيهة نقية وكان الجميع يقف مع الثوار المدنيين، وذلك قبل أن تدخل داعش عام **٢٠١٤**م تقريباً وتقلب الموازين وتشوه صورة النضال الحر، ولا يخفى على أحد أن دولاً غربية ورؤساء غربيين صرحوا تصريحات كثيرة بالوقوف مع الشعب ضد بشار الأسد.

رغم أن جهاز الأمن يملك مئات الدقائق والمكالمات المسجلة بيني وبين أبي آدم إلا أنهم عجزوا عن إمساك كلمة واحدة تدينني أو تدين أبا آدم بشكل مباشر، لذلك أخذوا يبحثون عن أي شي يفيدهم ولو كان تافهاً.

فمن ذلك: أنهم عرضوا تسجيلاً بيننا يقول فيه أبو آدم لي:

«إنّ الدواعش قوم حمقى، إنهم يكفرون المسلمين ومن خالفهم، هل تصدق إنهم يكفرون الجيش الحر؟ هذا أمرٌ عجيب، لقد شاهدت أنا الجيش الحر وجالستهم فما رأيتهم كفاراً بل رأيتهم مسلمين»

وطلبوا مني التعليق على هذا الكلام، فقلت لهم:

هذا الكلام لنا وليس علينا! فهو تصريحٌ منا بأننا ضد تنظيم داعش، وأن أبا آدم شاهد الجيش الحر فهو لا ينكر أنه سافر للإغاثة ولا مانع أن يكون شاهدهم.

كان أبو آدم في كل ذلك حاضراً يقف خلف زجاج، ومعه حارس يحرسه، ولما رأيته على حالته هذه ورأيت شقيق روحي ورفيق دربي في مكان ما كان ليكون فيه وغيره أولى به منه، حين رأيت ذلك = لم أتمالك دموعي، فانهالتْ تسح من عيني، وقد جاهدتُ نفسي كي لا أظهر أمام الناس في المحكمة بمظهر الضعف والخور، فبكيتُ بكاءً كبكاء الرجل وليس كبكاء النساء والصبيان بالعويل والنحيب والشهيق، إنما نزلت مني دموع الرحمة والشفقة على هذا الرجل الذي هو من أحب الناس إليّ، ولما سلمت عليه أول مرة تعمدتُ أن أسلم عليه سلاماً رسمياً جافاً وليس سلام منكسر مهزوم، كي لا يشمت بنا شامت ولا يسخر منا ساخر.

والحمد لله رب العالمين دخلتُ وخرجتُ من المحكمة سليماً سالماً، ونجاني الله من ألاعيبهم وكيدهم وانقلبت بفضل من الله ونعمة لم يمسسني سوء، والله ذو الفضل العظيم.

❖ داعش تهدر دمي[1]

حين وقعت هجمات باريس في نوفمبر عام **٢٠١٥**م أصدرتُ بياناً على اليوتيوب وبينت أنه حرام شرعاً، على إثرها أصدرت مؤسسة دابق للإنتاج الإعلامي - وهي الناطق الرسمي لداعش - مقطع فيديو يتحدث عني، وكذبوا فيه عليّ واتهموني زوراً وبهتاناً بأني عميل المخابرات، وأني أظاهر المشركين على إخواني المسلمين وأني مرتد، وعليه فيجب قتلي، وتعليقي على هذا الفيديو الذي صدر عام **٢٠١٦**م أنه نعمة من الله وشهادة إضافية لي أني لست على منهج هؤلاء البغاة، وقد قيل «والحق ما شهدتْ به الأعداء» ولذلك خفّ الضغط الإعلامي والحكومي عليّ نوعاً ما بعد هذا الفيديو، والحمد لله.

❖ مع السلفية الصوفية

هؤلاء القوم يحاربون الدعاة في الشرق والغرب، وضررهم وشرهم بات واضحاً للعيان وللجميع، يُعرفون في المشرق باسم «الجامية» وأحياناً باسم «المداخلة» وأنا في الحقيقة أسميهم باسم «السلفية الصوفية» لأنهم يسلكون مسلك المتصوفة المتدروشة في ترك العمل الدعوي الحركي، ويميلون إلى التواكل وينتظرون النصر من الله دون عمل دعوي مؤثر، فحالهم هذه تشبه

---

(١) أصدرت داعش قائمة بأسماء شخصيات غربية حكموا عليها بالردة ووجوب قتلهم ومن ضمنهم «بيير فوجل، وبلال فيلبس، وآخرون» انظر «مجلة دابق» بعنوان «اقتلوا أئمة الكفر في الغرب».

حال المتصوفة من وجوه كثيرة، وهؤلاء القوم - كما هي عادتهم - يتصيدون الزلات والهفوات والعثرات للعلماء والدعاة والصالحين، ويغضون الطرف عن النصارى واليهود والعلمانيين والليبراليين وغيرهم، ولما كنتُ واحداً من العاملين في حقل الدعوة نالتني سهامهم كما نالت غيري، وهم وإن كانوا قلة في ألمانيا بحمد الله إلا أن لهم وجوداً، وخلافي معهم يمكن أن أوجزه في النقاط التالية:

أولاً: دعوة الأنبياء في جملتها كانت دعوة للناس، فهي دعوة فيها اشتباك وتلاحم وأخذ ورد ومشي في الأسواق والطرقات كما أخبر القرآن عنهم، ونحن حين ضاقت بنا السبل وأغلقت المساجد في وجوهنا لم نجد أمامنا إلا الشارع، فهو المكان الوحيد الذي بقي مفتوحاً لنا يكفله القانون لنا تحت اسم «المظاهرة» كما شرحت ذلك لكم بالتفصيل، وقد كان هؤلاء السلفيون الصوفيون «المداخلة» يعترضون علينا في ذلك، فهم يرون أن وسائل الدعوة محصورة في كيفيات معينة، ويزعمون أن السلف لم يفعلوا ما نفعله نحن من الدعوة في الشوارع!

وسبحان الله لست أدري ما المانع في الاقتداء بالأنبياء الذين قال الله فيهم ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفُرقان: ٢٠]؟! ولنبكِ على أنفسنا وعلى الإسلام إن كنا نرى الناس تتخطفهم الضلالات من الشبهات والشهوات والكفر والإلحاد = والمسلمون يتناقشون حول جواز الدعوة في الشارع؟

إنها الحماقة بعينها إن كنا نشك في استحباب هذا فضلاً عن جوازه أعني الدعوة في الشوارع التي لا تتعارض مع قانون الشريعة ولا مع قانون ألمانيا.

وهؤلاء المتصوفة الذين يدعون الانتساب إلى السلفية كانوا يقفون في طريقنا كلما سلكنا طريقاً دعوياً غير مألوف لديهم، وهم يظنون أن بدراستهم

للأصول الثلاثة في المساجد، وبصلاتهم على مذهب الشيخ الألباني = سينزل عليهم النصر من السماء دون عمل ولا جهد؟

أليست هذه دروشة؟

أن تظن أن الله سينصرك وأن الدعوة ستنتشر وأن الناس ستسلم وأن مجد الإسلام سيعود ويشرق = كل ذلك بمجرد دراستك لبضعة متون دون أن تخرج من مسجدك ومن بيتك؟

إذا كان الأمر كذلك فلماذا تحرك النبي ﷺ وسافر إلى الطائف ثم هاجر إلى المدينة، وخرج أصحابه بعده للجهاد والدعوة والعمل في جزيرة العرب وغيرها؟

هذا أمر مفروغ منه ومركوز في الفطر السليمة والعقول والشرائع أن = لا ثمرة بلا عمل.

ومن المضحكات المبكيات أن رجلاً كويتياً ينتسب إلى هذه الفئة المعوجة جاء مرة إلى ألمانيا وسأله أتباعه عن حكم المظاهرات في الشارع في ألمانيا؟ وهم يريدون استعمال فتواه ضدنا، فأفتاهم بأنّ ذلك لا يجوز وهو نوع من الخروج على ولاة الأمر في ألمانيا!

وهذا الكلام المتهافت يغنينا إيراده عن التشاغل برده، وأبسط ما يمكن أن أقوله له: إن ولي الأمر هذا الذي تتكلم عنه هو الذي سمح لنا بالمظاهرات! ولكنكم قومٌ تجهلون.

ثانياً: من مظاهر الخلاف بيني وبين هؤلاء القوم العجيبين أصحاب الآراء والفتاوى المضحكة الشاذة: قضية دعوة غير العالم.

وأعني بذلك:

أني ذكرت في مناسبة من المناسبات أن الوضع الدعوي عندنا في ألمانيا يختلف جذرياً عن الوضع الدعوي في الخليج عموماً والسعودية خصوصاً فلا تقيسوا هذا بذاك، وضربت لهم مثالاً وقلت:

ففي السعودية مثلاً قد تجد في كل مدينة تذهب إليها متعلماً أو طالب علم على الأقل يعرف أصول الإسلام والشرائع العامة، فلا غرابة أن يقال لهم لا يدعو منكم إلى الله إلا من كان عالماً متمكناً.

أما عندنا في ألمانيا إذا قلت لهم لا يدعو إلى الله إلا العلماء، فسأقول لك أنت في أوروبا يا أخي وفي ألمانيا، أين هم العلماء؟[1].

وإذا وجدوا فهل قاموا بواجب الدعوة أصلاً؟

فلذلك قلت للإخوة:

على كل مسلم أن يدعو في ألمانيا، كلٌ بما يعلم، وكلٌ بما يستطيع، وليس معنى هذا أن يرتقي المنبر جاهل فيفتي ويخطب كلا، بل المقصود أن يتحرك الإنسان في المساحة المتاحة له، فإذا كنت تعلم كيف تصلي فادع إلى الصلاة، وهكذا.

وهذا أمر لا إشكال فيه، ولا يلزم من الدعوة الدخول في دقائق الفتوى والقضاء والمناظرات،فقد كان معنا مجموعة من الإخوة المسلمين المحبين للدعوة، وهم ليسوا طلاب علم فضلاً عن أن يكونوا علماء، وكانوا يعملون معنا في الدعوة، وكان عملهم مقصوراً على ما يحسنون من الأعمال فقط، فمثلاً كنا نطلب منهم توزيع «السي ديات» مثلاً أو توزيع المطويات ونحو ذلك، فأين الغضاضة في ذلك؟

وكنا نؤكد لهم ألا يجيبوا على أسئلة الجمهور ولا يدخلوا في نقاشات ومجادلات جانبية، وأن يحيلوا السؤال إلى العلماء والمشايخ.

كان هؤلاء المداخلة يسخرون منا ويعترضون علينا ويقولون كيف يدعو

---

(١) راجع فتوى ابن عثيمين من كتاب فتاوى علماء البلد الحرام ص ١٠٨٦ بعنوان: «كيف يدعو إلى الله من لا علم له»

هؤلاء إلى الله وهم جهلة؟ وإنّ أحدهم لا يعرف حتى أنواع التوحيد الثلاثة.

فلما بلغني هذا الكلام رددت عليهم في محاضرة لي وقلت:

«ليس من شروط الدعوة العلم بأنواع التوحيد الثلاثة الاصطلاحية، فالعامي يعرف معاني هذه الأنواع الثلاثة ويكفيه ذلك، ولا يلزمه أن يحيط علماً بالمصطلحات العلمية»

ثم بسطت الأدلة على ذلك، واستشهدت بفتوى للشيخ ابن عثيمين في كتابه «العلم» حيث ذكر فيها جواز الدعوة لطالب العلم وللعامي أيضاً على الوجه الذي شرحناه آنفاً.

فطار المداخلة بكلامي هذا فرحاً وشنعوا علي تشنيعاً كبيراً، ووصل كلامي إلى المدينة المنورة حيث يعيش فيها مجموعة من كبرائهم ورؤسائهم، وسألوا أحدهم عني دون التصريح باسمي، وحوروا السؤال رأساً على عقب ونسبوا لي كلاماً ما قلته - كما هي عادتهم في الكذب - وقالوا لشيخهم العجول هذا «ما رأيك فيمن يقول إنه لا يشترط تعلم أنواع التوحيد الثلاثة للداعية؟ وما رأيك فيمن يدعو إلى الصلاة قبل التوحيد؟» ونحو ذلك من الأسئلة الغبية.

ومن سمع السؤال عرف مباشرة أني المقصود به،وقد كتبوا على عنوان المقطع «رد الشيخ... على بيير فوجل»

وللأسف فإن الرجل دون أن يتثبت أو يتحرى أو يعرف تفاصيل الأوضاع في أوروبا قال بالحرف الواحد:

«هذا إما جاهلٌ أو كذابٌ»!

سبحان الله، هل يجوز للمفتي أن يفتي في قضية دون التثبت من أبعادها وحيثياتها، فمن شروط الفتوى المعلومة لكل أحد أن يكون المفتي عالماً بتفاصيل الواقعة قبل أن يتكلم، كفانا الله شرهم.

❖ **مسلمة تطعن شرطياً**

في عام ٢٠١٦م قامت شابة ألمانية مسلمة، من أب ألماني وأم مغربية، تدعى «صفية» ذات خمس عشرة سنة بطعن شرطي في محطة القطار بمدينة «هنوفاغ Hannover» وكانت الطعنة في حلقه.

وهذه الشابة كنت قد التقيتُ بها ثلاث أو أربع مرات، وآخر مرة التقيت بها كانت قبل ست سنوات تقريباً، وذلك أني كنت إذا زرت مدينتها وهي مدينة «هنوفا» وألقيت محاضرة، كانت هي تأتي وتقرأ القرآن في المحاضرة، وكنت أسمح لها بذلك، وأشجعها لأنها كانت تقرأ القرآن بصوت حسن وتجويد جيد، وأردنا بذلك أن نقدمها قدوة للفتيات.

هذه كل علاقتي بتلك الفتاة، تأتي إلى المحاضرة وتقرأ القرآن قليلاً وندعو لها بالتوفيق ثم تنصرف، وكان عمرها حينها ٩ أو ١٠ سنوات.

لما انقطعت عنها ست سنوات وظهرت داعش على الساحة كانت هذه الفتاة واحدة من بين مئات الفتيات في الغرب اللاتي تأثرن بفكر داعش، وقد تأثرت هي بهم كثيراً عبر نشاطهم في النت، وأصبحت تتواصل معهم، وكانت تريد الهجرة إلى سوريا بالتنسيق مع داعش، فسافرت إلى إسطنبول ولكنها لم تتمكن من الدخول إلى سوريا لأمر ما، فلحقتْ بها أمها وأدركتها وأرجعتها معها إلى ألمانيا.

لما عادت من تركيا ظلت تتواصل مع داعش، وشرحت لهم ما حصل لها وأنها أرادت الانضمام مع التنظيم ولكنها فشلت، وذكرت لهم أنها تعيش في ألمانيا، فما الذي يمكنها أن تقدمه لنصرة التنظيم؟

فقالوا لها افعلي أي شيء، ولو أن تطعني شرطياً، وهكذا فعلت ذلك.

انتشر خبر صفية في كل ألمانيا وذاع وشاع، وكان أول تعليق لي على الحادثة أني قلت: «يجب علينا أولاً أن نتثبت من تفاصيل القصة وألا نصدق

كل ما يقوله الإعلام، فقد تكون هناك تفاصيل مهمة تخفى علينا أو أخفاها الإعلام، وأنا لستُ أصدقهم ولا أكذبهم ولكن القرآن أمرنا بالتثبت»

سافرت مسافة ٤٠٠ كيلو متر إلى «هنوفاغ» وهناك التقيتُ بأمها المغربية.

شرحت لي الأم كل شي وأكدت لي صدق ما قالته وسائل الإعلام وثبت لدي أن صفية متأثرة بأفكار تنظيم داعش.

وهنا اتضح لي أن صفية هي مجرد ضحية ومغرر بها ومخطوفة منا، والواجب علينا نحن المسلمين أن نعيدها إلينا لما انحرفت، وقد حاولت مساعدتها بكل ما أستطيع وتحدثت مع محاميين ولكن دون جدوى.

❖ **استغلال الإعلام للحادثة**

وكما هي عادة وسائل الإعلام الألمانية معي يبحثون عن أي شي للإساءة إلي، وتشويه سمعتي، وإلصاقي بالإرهاب بكل طريقة ووسيلة.

نشرت وسائل الإعلام صوراً جمعتني بتلك الفتاة لما كانت تقرأ القرآن بجانبي في المسجد من ٢٠٠٧م إلى ٢٠١٠ م وكتبوا على تلك الصورة قائلين:

«هذه الفتاة هي من ضحايا أبي حمزة، وإنّ أفكار ودعوة أبي حمزة هي التي تفرخ وتنتج أمثال هذه الفتاة من الإرهابيين الدواعش»!

وقد كذبوا في ذلك، ولو أنهم أنصفوا لعلموا أن العكس هو الصحيح، وذلك أني طول غيابي عن مدينة «هنوفا» ست سنوات وتوقفت دعوتي في مدينة «صفية» ما نتج عنه أني لم أعد على تواصل بها وإرشاد لها، فلعلها حين لم تجد من يحتويها اتجهت إلى داعش، وذلك أنه قد ثبت لدينا أن الدواعش لا يتصيدون ولا يستهدفون إلا الخاوية قلوبهم، والجهال بالشريعة، المتحمسين للدين على جهل وتهور، وألمانيا تعلم جيداً أن دعوتي لم تكن

يوماً ما دعوة إلى العنف والتطرف، وما دعوت في حياتي قط إلى تفجير أو تخريب، بل إني أحث المسلمين على أن يدعو إلى الله بمنهج القرآن، بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

وأنا مضطر أن أستشهد بشهادة كاتبة يهودية حين أنصفتني في كتابها(١) وقالت:

«أستطيع أن أؤكد شخصياً...بأن أغلب دعاة السلفيين اتخذوا مواقف واضحة ضد العنف الديني، أستطيع أن أؤكد ذلك بواقع تحليلي لمئات المحاضرات والتصريحات لدعاة التيار العام...**على سبيل المثال فإنّ «بيير فوجل» عكف في السنين الأخيرة على نشر براهين وحجج مستخلصة بعناية من النصوص الدينية معارضةً لمناحي العنف**»

على كل حال، باءت محاولاتنا بالفشل، وحكمت المحكمة على صفية بالسجن ٦ سنوات.

❖ السفر إلى الصومال

في شهر سبتمبر من هذا العام **٢٠١٦**م سافرتُ إلى «الصومال» وكانت هي المرة الأولى لي ثم زرتها بعد ذلك مرتين في عام **٢٠١٧**م.

وكنت مع أخ صومالي اسمه «عبد الرحمن» وهو يملك مؤسسة إغاثية، ووفقنا الله عز وجل في العمل الإغاثي، وسجلنا هناك بعض الحلقات الدعوية، وتيسر لنا حفر بئر بواسطة تبرعات بعض أهل الخير من ألمانيا بحمد الله.

أعجبني في الصومال أن أهلها كلهم مسلمون وسنة، وشعرتُ براحة

---

(١) وهي الكاتبة نينا فيدل، في كتابها «حول صناعة سلفية ألمانية» ص**١٣٧** الذي تكرر النقل منه في كتابنا.

نفسية هناك، وترى في كل مكان مسجداً أو حلقة قرآن، ومدارس عربية وإسلامية كثيرة، والنساء محجبات، والناس على أخلاق طيبة في الجملة، وقد قيل لي إن هناك مناطق بعيدة خطيرة وليست آمنة، بخلاف المدينة التي كنت فيها فقد كانت آمنة تماماً.

لما أعجبتني الأوضاع الدينية في البلد جاءتني فكرة - قد يراها البعض فكرة متهورة - وهو أني فكرت جدياً بالهجرة إلى الصومال.

ولكني صرفت الفكرة من رأسي فعلى ما في البلد من خير، إلا أنها من الناحية الطبية = لا تناسبني بسبب مرض ابنتي.

العودة إلى ألمانيا وحال الدعوة

في هذه الفترة أصبحت دعوتنا محصورة جداً بسبب تضييق السلطات علينا، وصارت دعوتنا محصورة في:

- الشقق.
- وفي توزيع المطويات والكتب.
- وفي النت وهو المجال الأوسع والأرحب لنا.

وصرت أشعر أن وجودي في ألمانيا لم يعد له تلك الأهمية الكبيرة، لأني أستطيع أن أمارس دعوتي عبرت النت من أي مكان في العالم.

❖ ألمانيا...قبل دعوتنا وبعدها[1]

لا يشك مراقب للحالة الإسلامية الدعوية في ألمانيا أن وجه ألمانيا الديني اختلف تماماً بعد دعوتنا التي انطلقت في **٢٠٠٦**م، وأنا حينما أقول

---

(١) «تعتبر الحركة السلفية أسرع الحركات الإسلامية نمواً في ألمانيا، وأحد أنجح العوامل المتسببة في التحول إلى الإسلام في ألمانيا» من كتاب «حول صناعة سلفية ألمانية» ص **٢٤** وقد اعتمدت الكاتبة في ذلك على تصريح من وزارة الخارجية الاتحادية.

«دعوتنا» فإني لا أنسب كل الجهود إلى شخصي، بل أقصد أني كنت أحد المؤسسين المؤثرين في الدعوة الألمانية، ولم أكن أعمل وحدي بل كنت أعمل مع مجموعة من الإخوة الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب[1].

ولما كانت دعوتنا ليست موجهة ولا محصورة على غير المسلمين فحسب، بل كانت تشمل جميع الناس فإنّ الثمار التي جنيناها ولمسناها بل وتذوقناها بأنفسنا كانت عظيمة، ولا ينكر هذا إلا جاهل بالحالة أو مكابر معاند، وأنا أضرب لكم أمثلة توضح لكم اختلاف الأحوال قبل الدعوة الألمانية وبعدها:

- من حيث تمسك الشباب المسلم بدينه: كل مراقب يعلم أن غالبية شباب المسلمين ليس في ألمانيا فحسب بل في عموم أوروبا = بعيدون جداً عن دينهم، لأسباب ليس هذا محلها الآن لكن من أبرزها البيئة المفتوحة على الفتن بكل ألوانه وأشكاله، وكانت المساجد تشتكي وتبكي فقدَ الشباب، وبحمد الله بعد دعوتنا رأينا كيف رجع - وأقولها بكل اطمئنان - آلاف الشباب المسلم إلى دينهم، وليس كذلك فحسب، بل صاروا يفتخرون بدينهم ويعتزون به بعد أن كان الواحد منهم لربما يخجل أن يقول أمام أحد إنه مسلم.
- بالنسبة للبنات المسلمات فكذلك: كان كثير من البنات المسلمات لا يتحجبن وربما تستحي الواحدة من حجابها وتراه رمزاً وشعاراً للتخلف والرجعية، ولكن بعد توفيق الله لنا وتيسيره تمكنا من تكثيف

---

(١) «يظل بيير فوجل فاعلاً هاماً في الحركة السلفية الألمانية، ونستطيع أن نستبين ذلك فيما نستبين من مشاهدة ما تثيره محاضراته ومواقفه من ردود فعل كبيرة عند الدعاة السلفيين والنشطاء الآخرين حتى الآن، إلى جانب ذلك فإنّ صفحته الشخصية... هي أكبر صفحات السلفيين في ألمانيا من حيث عدد المتابعين على الفيس بوك» من كتاب «حول صناعة سلفية ألمانية، ص ١٧٨»

المحاضرات حول هذه القضية، ورددنا فيها على الشبهات المثارة حول وجوب الحجاب = رجع كثير من الفتيات إلى حجابهن، وليس عندي في ذلك إحصاء، ولكن أعدادهن كبيرة ومشاهدة وملموسة، وأستطيع أن أقول إنها باتت تشكل ظاهرة في بعض المدن، كما توقف الجدل والنقاش حول هذه المسألة، ولم يُثر أحد هذه القضية، وبات الحجاب شعاراً للمسلمين ومن المسلمات التي لا نقاش فيها.

- وإذا نظرنا إلى مسألة الرحلة في طلب العلم الشرعي، وخروج الشباب الألماني المسلم مهاجراً إلى بلاد العرب لتعلم العلم الشرعي واللغة العربية = فإن الأعداد كبيرة جداً، وأضرب لكم مثالاً على المستوى الشخصي، حينما ذهبتُ لدراسة الشريعة في مكة لكم أن تتخيلوا بأنه لا يوجد طالب ألماني غيري في جامعة أم القرى، ولكن بفضل الله ثم بجهود دعوتنا تجاوز عدد المبتعثين الألمان المسلمين في السعودية ١٠٠ طالب، وهذا عدد ضخم لا شك ونقلة نوعية لا يستهان بها.

- من القضايا المهمة أنّ بعد دعوتنا وصل الإسلام الصحيح إلى أسماع وأذهان ملايين الألمان، وقامت الحجة والبلاغ على ملايين منهم، وهذا ليس بالأمر الهين، وقد وصلنا في مرحلة من مراحل الدعوة أنه يندر أن تجد ألمانياً لم يسمع - مجرد سماع - أن هناك مجموعة من الألمان يدعون إلى دين اسمه الإسلام، وكتابهم القرآن ورسولهم محمد ﷺ، ويزعمون أن دينهم حق وغيره باطل، هذه الأمور وصلت إلى كل بيت ألماني يقتني أهله التلفاز، ومن لم يكن عنده تلفاز فلا شك أنه قرأ هذا في غيره من وسائل الإعلام، ومرادي من هذا: أننا في فترة ما كنا حديث الإعلام الألماني ومادته الدسمة، وصورنا كانت تملأ الشاشات، لقد كنا حقاً ملء السمع والبصر في ألمانيا، وأستبعد حقاً أن تجد ألمانياً لم يسمع بنا قط ولو سماعاً مشوهاً، إلا أن يكون رجلاً منعزلاً تماماً ولا يتابع الأخبار وليس عنده أي وسيلة إعلامية،

ومثل هذا الصنف في الحقيقة نادر في ألمانيا، وهذا كله بفضل الله حصل بعد دعوتنا.

- على ذكر الإعلام: لقد تغير أسلوب الخطاب في وسائل الإعلام الألمانية، فقبل دعوتنا: كان الهجوم موجهاً على الإسلام ككل، وكان أسلوب التعميم حاضراً بشدة في الخطاب الألماني، وترسخت صورة في أذهان الألمان أن المسلمين قومٌ سيئون كلهم ولا قيمة لهم، وكي أكون منصفاً فإن هذه الصورة تكاد تكون منتشرة أيضاً في عموم أوروبا، ثم بعد دعوتنا بحمد الله تعالى تغير الخطاب جداً، وصار يميل إلى محاولة الاحتواء مع الهجوم الماكر دون مصادمة واستعداء، فمثلاً تجدهم يقولون: الإسلام دينٌ عظيم، ونحن نحترمه ونقدره، ولكن مشكلتنا مع الإسلام السياسي أو الأصولي، أو مشكلتنا مع هؤلاء السلفيين، وما السلفيون في ألمانيا إلا قومٌ يجتهدون في موافقة ما كان عليه السلف الصالح على ضوء الكتاب والسنة.

❖ هكذا أسلموا

من أكثر الأسئلة التي توجه إليّ حين ألتقي بإخواني العرب والمسلمين هي «كم شخصاً أسلم على يدك؟» وفي الحقيقة هذا السؤال لا أحب الإجابة عليه لأمرين:

- لأنه ليس عندي في ذلك إحصائية دقيقة صادقة، ولا أنا أحسب عددهم، هم كثير لا شك، لكن كم عددهم بالدقة لا أستطيع أن أفصل في ذلك.
- والأمر الآخر هو الخوف من الإعجاب بالنفس، فنسأله سبحانه الثبات والقبول.

ولكن مع إلحاح بعض الإخوة على معرفة رقم تقريبي لذلك بحثت في الأمر فوجدت التالي:

- في عام ٢٠٠٧م قرأت إحصائية حكومية أنّ عدد الذين أسلموا عام ٢٠٠٤م هم ألف شخصٍ.
- في عام ٢٠٠٥م بلغ العدد أربعة آلاف: وكان هذا في العام الذي وزعنا فيه دعايات عن الإسلام.
- في عام ٢٠٠٦م بلغ العدد أكثر من أربعة عشر ألفاً، وهو العام الذي تجولنا فيه في أنحاء ألمانيا، ثم بعد ذلك لم ألتفتْ إلى الإحصائيات[1].

أما قصص المعتنقين للإسلام فهي كثيرة جداً، وتعجبني القصص التي فيها عبرة وعظة ولا أحب القصص العاطفية التي تلعب على وتر العاطفة، وإليكم بعض تلك الأخبار والقصص:

❖ قصة الصديق إبراهيم توماس

كان إبراهيم نصرانياً، يكبرني بأربع سنوات، وكان من عصابة يُقال لها « Bandios» وكان من أولئك الذين يضعون الوشم على كامل أجسامهم، وسبب هدايته أنه نشأ في حي يكثر فيه المسلمون فسأل عن دينهم وبحث وأسلم، كان هذا الكلام منذ أكثر من عشرين سنة، أي أنه أسلم قبلي، وكان حريصاً على أن يدخل مضمار الدعوة لكنه لم يجد مساعدة من المسلمين الذين حوله، فقُدر له أن شاهد محاضراتنا في النت، وجاء إلينا عام ٢٠٠٧م ولما اختلفت مع أبي ناجي وافترقنا، قرر توماس أن ينضم معي وما زال كذلك، تزوج توماس بامرأة أردنية وهاجر معها إلى المغرب ومكث فيها سنتين ولم يعجبه الوضع هناك فرجع.

---

(١) جاء في كتاب «حول صناعة سلفية ألمانية» أن عدد الألمان المتحولين إلى الإسلام يُقدر بين ١٠,٠٠٠ و١٠٠,٠٠٠ والإسلام هو الديانة الثانية من حيث العدد بعد المسيحية»، ص ٣١.

❖ قصة كارل

كارل رجل ألماني عمره واحد وتسعون عاماً، كان جيرانه مسلمين من الشيشان، وهم أناس ليسوا دعاة ولا طلاب علم، لكنهم محافظون على دينهم، فعاملوه بأخلاق أهل الإسلام الحسنة، فتأثر بهم، وقرر أن يسلم، جئته إلى بيته ونطق بالشهادتين على يديّ، ووثقنا ذلك بالفيديو وهو موجود على «اليوتيوب».

ومن أعظم ما نستفيده من هذه القصة:

١ - ترك اليأس من دعوة الناس، فهذا رجل في التسعين وأسلم، ولا تقولنّ قد طبع الله على قلبه فلا أمل في إسلامه، فنحن نرجو الهداية للجميع ولا نقنط.

٢ - أثر الأخلاق الحسنة في دعوة الناس، فهذا الرجل لم يسلم بمناظرة علمية ولا محاضرة دعوية، بل بالمعاملة الحسنة، وفي الحديث المشهور «وخالق الناس بخلق حسن» تأمل قوله «الناس» ولم يقل «المسلمين».

❖ قصة هانس

أما هانس، فهو رجل ألماني بلغ الثمانين من عمره، كان له جار باكستاني، وكان يعامله بالأخلاق الحسنة، ولكن ذلك لم يكن كافياً لهدايته، فتحدث معه الباكستاني عن الإسلام وشرح له بما يعرف، فاعتنق الإسلام بحمد الله، وكان ذلك قبل وفاته بأيام.

***

في إحدى محاضراتي لمحت امرأة كبيرة في السن وسط الجمهور، وشعرت أنها متأثرة بكلامي، وبعد المحاضرة جاءت إليّ وأخبرتني أنها كانت

تفكر في الانتحار، لكنها وقعت بالصدفة على محاضرة لي في النت حول الغاية من الحياة، فأعجبها الكلام ثم أسلمتْ.

***

وكنت مرة أيضاً في إحدى المحاضرات فوردتني ورقة فيها سؤال تقول فيها السائلة «أنا مقتنعة بالإسلام ولكن عندي سؤال»، فنظرت إلى الجمهور وتوقعت أنها صاحبة السؤال، كانت فتاة في الواحد والعشرين من عمرها تقريباً، وبعد المحاضرة: جاءني شاب مغربي وقال لي: تلك الفتاة تُوشك أن تسلم، بل قد تُسلم اليوم، فذهبتُ إليها وقلت لها «سمعت أنك قريبة من الإسلام فكيف أساعدكِ»؟

قالت: أنا مقتنعة، ولكني خائفة من التقصير في تطبيق الإسلام، وأخاف من الوقوع في الذنوب بعد الإسلام، وأشك في قدرتي على التدين.

فقلت لها: وأنا متأكد أنك لا تستطيعين تطبيق الدين ١٠٠٪ ومتأكد أنك ستقصرين، وكل أهل الأرض مقصرون، وأنا منهم، فهذه ليست مشكلة، وأمرها يسير، ونحن مطالبون أن نجتهد في فعل الأفضل، وإذا وقعنا في ذنب أن نبادر بالتوبة، ولكن سؤالي الأهم لكِ «هل تضمنين العيش إلى غدٍ، ألا تخافين من الموت على الكفر»؟

قالت «أريد أن أخبر أبويَ أولاً»

فقلت لها:

أولاً: ليس من شروط دخول الإسلام إخبارهما بذلك.

ثانياً: هل تظنين أنكِ حين تبشرينهم بهذا الخبر سيقولون لكِ «رائع يا بُنيتي، هذا حجاب لكِ،فاحتجبي»! الغالب أنهم سيعارضون ويرفضون.

فاقتنعت بذلك، ونطقتْ بالشهادتين والحمد لله، ثم روتْ لي خبرها فقالت:

«كنت أرقص في أحد المراقص، ولما أردت الرجوع إلى البيت لم أجد من يساعدني، فتطوع شاب مغربي لإيصالي، وفي الطريق تجاذبنا أطراف الحديث، وكان فيما قال لي «أنا لا أشرب الخمر» ثم قال «وأؤمن أن من مات على الكفر والشرك أنه يدخل النار» فلما سمعتُ ذلك رددتُ يدي على فمي وقلت «أنا لا أريد دخول النار» فقال لي «ادعي بهذا الدعاء: اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه» ثم نمت، واستيقظت وفكرة دخول الإسلام تدور في رأسي، فكلمتُ الشاب المغربي عن الأمر، فعرّفني على أخته، وأعطتني محاضراتٍ لك عن النصرانية، فشاهدتها، وخافتْ علي أمي ودعت قسيساً وكنت قد جهزت أسئلة استقتها من محاضرتك، وطرحتها على القسيس فلم يجبني بأجوبة مقنعة، فزادني ذلك حرصاً وقناعة للدخول في الإسلام» إلى أن ساقها الله إلى محاضرتنا كما ذكرت لكم والحمد لله.

***

أيضاً شاب في بداية العشرين من عمره، شاهد محاضرات لي عن النصرانية في النت، وسمعني أقول إن من مات على النصرانية بعد قيام الحجة عليه فإنه في النار، فلما سمع ذلك أبغضني جداً وحقد عليّ، وحين حاول النوم تزاحمت الأسئلة في رأسه «ماذا لو كان كلامه صحيحاً؟ ماذا لو مت ودخلت النار؟ ماذا لو كانت النصرانية باطلة؟...ماذا لو...» فأصابه خوف، ثم بدأ يبحث عن الإسلام ويقرأ حتى هداه الله وأسلم وسمى نفسه «عبد الملك»، وهو منشغل الآن بالدعوة وأسس مجموعة اسمها «المفتاح إلى الجنة» ويقومون بتوزيع المنشورات والسيديهات،وأسلم على يديه أناس، وله قناة دعوية على اليوتيوب اسمها DSZP ومعناها: المفتاح إلى الجنة، ويعمل أيضاً في منظمة للدفاع عن حقوق المسلمين في ألمانيا اسمها FDU، وصفحته على «الفيسبوك» يتابعه فيها ٤٥ ألفاً، وفقه الله.

***

امرأة ألمانية رأتْ في المنام رجلاً يوزع دعايات عن الإسلام على طاولة، ثم استيقظت، بعدها بأسبوع تقريباً شاهدت - قدراً - رجلاً في فيديو يتحدث عن الإسلام، وما كان ذاك الرجل في المنام والفيديو إلا أنا، ثم استمرت في البحث وشاهدت مقاطع حتى أسلمتْ، وروتْ القصة لأحد الإخوة الذين أثق بهم.

***

على هامش إحدى المحاضرات جاءني رجل نصراني يعترض على حد الرجم في الإسلام وقال لي إنّ المسيح عيسى عليه السلام كان رحيماً لذلك لم يرجم حين عُرضتْ عليه قضية زنا، فقلت له: أنا أريد أن أجيبك أمام الجمهور كي يستفيد الجميع، فوقفت أمام الجمهور وأعدت سؤال النصراني وقلت للناس:

طبقاً للأديان الثلاثة فإنّ المَلَك قد دمر قوم لوط بأمر من الله،وتدمير قرية بأكملها وكل من فيها أعظم من رجم زانٍ، فهل يليق بالملك أن يرفض الأمر الرباني بتدمير القرية ويقول «إنّ هؤلاء الشواذ مساكين ولا ينبغي إهلاكهم»؟ فكذلك محمد ﷺ جاءه أمر رباني برجم الزاني المحصن ولا يملك أن يرفض لأنه عبد مطيع لله، أما إذا كنت ترفض أن محمداً يوحى عليه، فحينئذ ننقل النقاش من قضية الرجم إلى قضية إثبات النبوة، **هذا أولاً**.

ثانياً: بالنسبة لي أرى أن محمداً أفضل من عيسى عليهما السلام لأنه رجم، أي أنّ الرجم أفضل من ترك الرجم، فهي مَنقبة وليست مذمة في حقه، لما يترتب على إقامة حد الرجم من ردع الناس عن الزنا.

ثالثاً: في القصة التي احتججت بها عليّ أن عيسى لم يرجم: ليس هناك شهود في القضية ولا اعتراف، فشروط وأركان الجريمة غير مكتملة، فقد يقال لذلك هو لم يرجم، بل حتى الرجل الزاني ليس له ذكر في القصة.

رابعاً: أن عيسى لم يكن سلطاناً حاكماً أو ملكاً على الناس، بل كان

نبياً رسولاً وداعياً، أما محمد ﷺ فقد جمع الله له بين النبوة والسلطان فلذلك أقام الحدود.

حين سمع النصراني هذه الحجج لم يسلم، ولكنه قال «أحتاج مزيداً من الوقت للتفكير» وانصرف، لكن العجيب أن أحد الحاضرين من الجمهور كان ملحداً فجاء إليّ وقال «أنا أريد أن أسلم الآن» ولا أجد لهذا تفسيراً إلا أنها هداية ربانية ونداء للفطرة.

***

كنت مرة أيضاً في محاضرة لي، فصعد رجل على المنصة وأخذ اللاقط الصوتي «المايك» وقال بنبرة كلها تحدي وسخرية واستهزاء:

«لو أسلمتُ ثم ارتددت عن الإسلام، فما مصيري؟ هل سأقتل؟»

وانتظر جوابي، وظنّ أنه أوقعني في حيصَ بيصَ، وأني سأتهرب من الجواب وسأخجل من ديني، فأخذت «اللاقط» وقلتُ بكل هدوء:

«هذا سؤال جيد، وجوابي هو: نعم تُقتل»! ولم أزد على ذلك، والتفتُ إلى الجمهور منتظراً منهم سؤالاً آخر، وكأن شيئاً لم يكن.

نظر إليّ الرجل فاغراً فاه مدهوشاً ثم عاد يسحب أذيال الخيبة إلى كرسيه منكسراً كسيفاً.

ثم ذكرت نصاً في الكتاب المقدس «سفر تثنية الاشتراع **١٣/ ٧**» أوله «وإنْ أغراك سراً أخوك ابن أمك...بل اقتله قتلاً» ص **٣٨٠**. ومعناه: إذا دعاك أي شخص إلى الردة فاقتله.

ثم قلت: هناك نصوص شديدة في العهد القديم أن موسى فعل كذا وكذا من القتل، ولا أحد يتكلم، ولتعلم أن حفظ الدين عندنا مقدم على حفظ النفس.

بعدها بأسبوع، وردتني رسالة على الفيس بوك مضمونها:

«أنا الرجل الذي سألتك في المحاضرة عن «الردة»، في الحقيقة: أنا قسيس وخطيب ومنصر، وكنت معجباً ليس بمضمون محاضرتك لأني أعرفه كله، ولكني معجب بشخصيتك و«الكاريزما» التي تتمتع بها، وثقتك بنفسك، ونحن النصارى نؤمن أن مثل هذا لا يكون إلا بتأييد من روح القدس ولكنك لستَ نصرانياً فقل لي: من الذي يؤيدك؟ لقد تعلمت لغات أجنبية، وأريد الآن أن أتعلم العربية كي أفهم الإسلام أكثر»

ثم بعد ستة أشهر من البحث والتأمل والقراءة أرسل لي رسالة يقول فيها «إنّ حجج النصارى ضعيفة، وأبشرك أني أسلمت اليوم» وقد رأيتُ له صورة أطلق فيها لحيته، وأسأل الله له ولنا الثبات.

***

في برلين، لقيت شاباً عمره ست عشرة سنة قد اعتنق الإسلام، فتعجبت من ذلك لصغر سنه، فسألته كيف أسلمتَ؟ قال: شاهدتُ محاضرة لك: فأبغضتك بغضاً شديداً، فعزمت على مشاهدة جميع موادك الدعوية لأتصيد لك الأخطاء والزلات، ومع الأيام تلاشى ذلك البغض وبدأت أقتنع، وأسلمت حمداً لله، ودعوتُ أخي الأكبر أيضاً إلى الإسلام فأسلم أيضاً.

***

رجل عربي كان يسمع القرآن دائماً في سيارته، ركب معه مرة صديق له غير مسلم، فضغط على زر التشغيل عن طريق الخطأ واشتغل صوت القرآن بصوت مرتفع جداً، فقال: ما هذا؟ ثم أخذ ينصت وفجأة لا شعورياً أخذ يبكي، ثم بعد مدة طويلة منّ الله عليه بالهداية فأسلم.

ولذلك أنا أحرص في محاضراتي على قراءة القرآن بالعربية لأن له تأثيراً كبيراً في نفوس الناس.

وعلى ذكر تأثير القرآن: أذكر أنه في عام **٢٠٠٦**م أو **٢٠٠٧** م جاءتني راهبتان وطلبتا مني تسجيلاً للقرآن وقالا: «نحب أن نسمع القرآن، لأنه جميل جداً»

***

مما يستغربه بعض الناس أن يسلم أناس هم أبعد ما يكونون عن الخير والهداية: فمن ذلك أن امرأة بغياً أسلمتْ، وهذا أيضاً شاهد آخر على أنه يجب أن لا نيأس ولا نقنط من رحمة الله.

***

في محاضرة لي جنوب ألمانيا قلت للحضور في القاعة: هل يوجد هنا من أسلم ليحكي لنا قصته؟ فجاء رجل عمره فوق الأربعين سنة وصعد على المنصة وقال: فتحت مرة صندوق بريدي ووجدتُ رسالة تتضمن كلاماً عن نصرة فلسطين ومعه رابط عن موقع «الدين الحق» وكانت هي صفحتنا الدعوية، فشاهدتُ المقاطع الدعوية وأسلمتُ، فلما قال ذلك: بكتْ امرأة تركية في الخلف عند جمهور النساء فجأةً، واكتشفنا لاحقاً أنها هي التي وضعت الرسالة في الصندوق، ومن هنا انتبهنا إلى أهمية فكرة وضع الرسائل في الصناديق، ففعلنا ذلك لاحقاً، ووزعنا منها آلاف الرسائل، وأسلم بسببها أناس، من ضمنهم القصة القادمة:

***

في مصر... كنت أدرّس مجموعة من الألمان في شقتي، فروى لي أحدهم قصة إسلامه وقال «كان لي صديق مسلم وأعطاني منشوراً فيه دعاية عن الإسلام ومن ضمن المنشور حديث النبي ﷺ «لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا كان من أهل النار» ثم بحث وأسلم، فتعجبت من ذلك، لأن هذا المنشور الذي تحدثَ عنه كنتُ أنا الذي أمليتُه على رجل، ونحن جالسون في السيارة، وطبعناها ووزعنا منها آلاف النسخ،

وما يعلم جنود ربك إلا هو، وما هي إلا ذكرى للبشر، والله أعلم كم أسلم بسبب هذه الرسالة، نسأل الله القبول.

***

خالتي كانت مريضة بالسرطان، ذهبتُ إليها وشرحتُ لها الإسلام وهي على فراش الموت، وأسلمتْ قبيل موتها بأيام، والحمد لله.

***

امرأة مسنة ذات أربع وسبعين سنة، كانت تؤمن بكل ما يؤمن به المسلمون من قضايا الإيمان والعقيدة، لكن لم يقل لها أحد انطقي بالشهادتين، وكنت أنا وقتها حديث عهد بإسلام، ليس عندي علم ولا خبرة دعوية، فزرتها وأهديتها آية الكرسي، فأخذتها مني وعلقتها في بيتها، وكانت تراها قيّمة وأحبتها، وأعطيتها أيضاً تميمة ومسبحة، ثم شرحت لها الإسلام مجملاً وأركان الإيمان مجملةً، وسألتها: هل تؤمنين بكل هذا؟ فقالت: نعم، وجهلاً مني لم آمرها بنطق الشهادتين.

تلك المرأة المسنة لم تكن سوى جدتي، وأرجو الله أن يعذر حالها.

***

من العجائب أننا كنا ننشر أوراقاً تتضمن دعوة المسلمين لإقامة الصلاة وبيان فضلها وأهميتها، فكان بعض الناس يسلم بسببها.

***

عند بعض الإخوة الأكراد ما يسمى «بجريمة الشرف» أذكر أني التقيت برجل منهم فأخذني على جانب وقال لي «أشكرك» لأن أختي كان لها صديق، وقد عزمتُ على قتلها وجهزتُ كل شيء لقتلها، حتى مكان الدفن في الغابة كان جاهزاً، وأعددت لذلك خطة محكمة، ثم شاهدتُ محاضرة لك تتحدث فيها عن جرائم الشرف وأنها ليست من الإسلام في شيء، وكان كلامك في هذا شديداً وواضحاً، فتركت ذلك، والحمد لله.

الخاتمة

يعيش أبو حمزة الألماني حالياً بهدوء في مدينة «كولن» الألمانية، ويمارس دعوته بكثافة عبر «وسائل التواصل الاجتماعي» منتظراً وآملاً أن يحقق الله أمنيته ليهاجر هو وأسرته إلى بلد عربي مسلم.

تم الكتاب


ملحق صور


٢



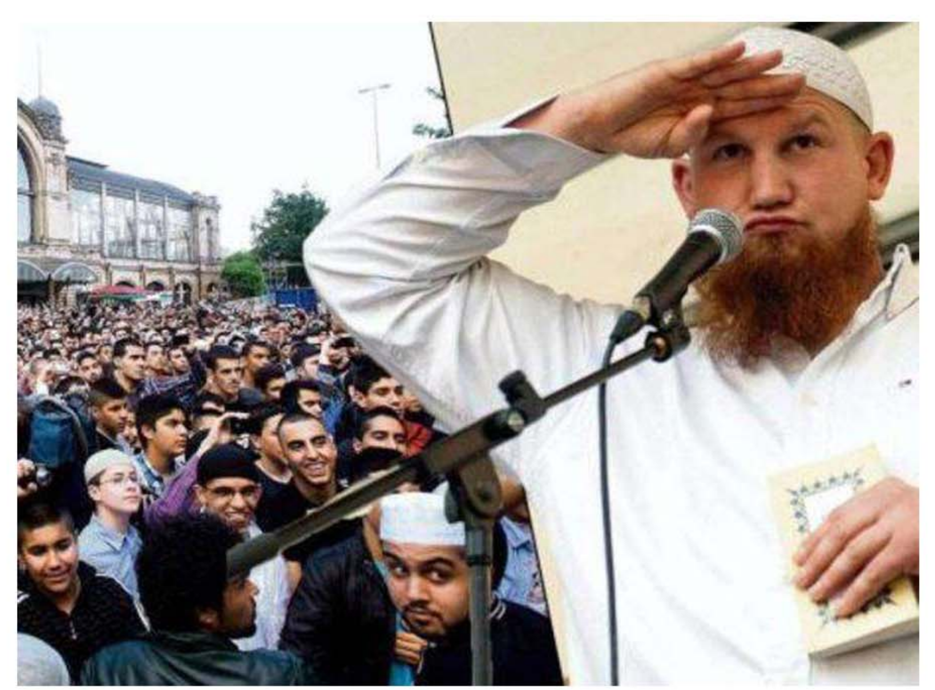
في مدينة هامبورغ



محاضرة لي ضد داعش مع وجود الشرطة بمدينة «بريمن»







وأنا أسأل الجمهور: من يريد أن يُسلم؟!



مع الألماني كارل الذي أسلم وعمره ٩١ سنة

ملحق صور





مع بعض الأخوة في طريقي إلى إلقاء محاضرتي



في محاضرة لي عن «حقوق المرأة» بمدينة هامبورغ وبيدي كتاب لفيلسوف فرنسي



في مدينة فرانكفورت، وهو اليوم الذي كان من أيام الله، وأسلَمَ فيه ١٧ شخصاً دفعة واحدة.



في الإسكندرية



ملحق صور ٢



في قناة الحكمة، مع رجل تشيكي أشْهَرَ إسلامه في البرنامج



تظهر خلفي قلعة صلاح الدين الأيوبي، وهو الاسم الذي اخترته لنفسي بعد إسلامي، حيث تسميت بـ «صلاح الدين الألماني»

ملحق صور





محاضرة لي في جامعة الأزهر



أثناء كلمة لي بعنوان «الاعتزاز باللغة العربية» في قطر

ملحق صور





مع الصديق إبراهيم توماس



في العاصمة الصومالية مقديشو

ملحق صور





في المغرب، بدايات إسلامي مع بالعربي العجيب



مع الشيخ أبي أسحاق الحويني في ألمانيا، وهو يلقن رجلاً ألمانياً الشهادتين



ملحق صور



لقاء تلفزيوني في قناة ألمانيا حول قضية «قتل الشرف»



في تظاهرة كبيرة في ألمانيا

ملحق صور





مع الدكتور بلال فيلبس



مع الأخ التركي عزيز كارا أوغلو



ختم مغادرتي من مطار القاهرة، قبل التظاهرات ضد د. مرسي رحمه الله بيومين





رجل من أقصى المدينة

السيرة الذاتية للداعية الألماني بيير فوجل

"وبينما كنت نائماً، سمعت صوت كسر قوي وارتطام شيء في الباب، ورن جرس الإنذار بقوة في البيت، فقمتُ فزعاً من النوم وهرعتُ مباشرة إلى سلاحي، فإذا برجل واقف أمامي، ولم أتبين في بادئ الأمر من وما هو، وما كان بين أن أرميه أو أرديه قتيلاً إلا ثوان، في هذه اللحظة الأخيرة = دققت في الرجل فتبين لي أنه شرطي!

وأنه ـ على خلاف العادة ـ اقتحم منزلي بهذه الطريقة الجنونية وكأنه يبحث عن مجرم خطير، وكأنه لا يعلم أنه لو طرق بابي لفتحته له ورحبت به بكل سهولة، كما حصل ذلك في المرات الثلاث السابقة.

حين اكتشفت أنه شرطي، مباشرةً ومن دون تردد، وضعتُ سلاحي على الأرض واستدرتُ إلى الجهة المعاكسة له وأعطيته ظهري، ثم استلقيت على الأرض كهيئة المستسلم وأنا أردد من أعماق قلبي: ﴿رب إني مغلوب فانتصر﴾".

ابن النديم للنشر والتوزيع

الجزائر: حي 180 مسكن عمارة 3
محل رقم 1، المحمدية
تلفاكس: 88 97 25 41 213+
خلوي: 03 76 20 661 213+
email: nadimedition@yahoo.fr

دار الروافد الثقافية ـ ناشرون

الحمراء – شارع ليون – برج ليون، ط6
بيروت–لبنان – ص. ب. 113/6058
خلوي: 28 28 69 3 961+
هاتف: 37 04 74 1 961+
email: rw.culture@yahoo.com

ISBN 978-614-466-103-1

